مجلة تعنى بقضية كل شهر
تصدر عن جريدة «السفير»

العدد الرابع بعد المائة تموز / يوليو ٢٠١٢

إعداد وتقديم:

بادية حيدر

إخراج وتنفيذ:

أحمد رياض سلمان

Maaloumat

A Monthly Periodical Journal
Published by Assafir Newspaper

No. 104 July 2012

المدير المسؤول:

أحمد طلال سلمان

بيروت ـ الحمراء ـ نزلة السارولا
هاتف: ٠١/٣٥٠٠٨٠ ـ ٠١/٧٤٣٦٠١
ص. ب. ٨٢٨ / ١٣٥ بيروت ـ لبنان

e.mail: maaloumat@assafir.com

لشراء النسخة الالكترونية:
www.arabicebook.com

Issn: 1993-8084

معلومات

قسيمة الاشتراك

اشترك اليوم واحصل على حسم ٢٠ ٪

نعم!

أرجو قبول اشتراكي بالنسخة:

☐ الورقية ~~٨٠~~ $: ٦٥ $

☐ الالكترونية (PDF) ~~٨٠~~ $: ٦٥ $

الاسم:..

العنوان الكامل:..

....

العنوان الالكتروني:...

مدة الاشتراك:.................................... عدد النسخ:.......................................

طريقة الدفع:

○ نقداً

○ مرفق شيك بقيمة............ صادر لأمر «شركة السفير ش. م. ل.»

○ بطاقة اعتماد:

○ فيزا ○ ماستر كارد

رقم البطاقة: |_|_|_|_|_|_|_|_|_|_|_|_|_|_|_|_|

تاريخ انتهاء الصلاحية: |_|_|_|_|

المحتويات

الترتيب الزمني للوثائق والأحداث

الدراسات

تقديم

المسيح يُقتل من جديد

على الرغم من أنه يمكن تعداد مجموعة من الصور السلفية للمسيحية الغربية، فإننا نكتفي هنا بالتركيز على الدور السياسي للمشيخات أو الكنائس الإنجيلية في الولايات المتحدة الأميركية خصوصاً، نظراً إلى خطورة هذا الدور الذي يتداعى للقيام به تيار مسيحي أصولي ويميني واسع ومعتنق للأفكار الألفية التي تهدد صميم الوجود العربي (الإسلامي ـ المسيحي) في فلسطين، وتحث على الأسرلة فالتهويد..

ولا بد من التأكيد بداية أن المسيحيين الشرقيين يجمعون على نبذ هذه الأصولية، ويقرون بأخطارها الجسيمة على العرب، والمسلمين خصوصاً. ويتمسكون في المقابل بأصالة دينية نقية، داعين إلى توحيد جهود مسيحيي الشرق ومسلميه لمواجهة الأخطار المحدقة بهم.

فما هي ملامح الدور السياسي لهذه الأصولية؟

منذ سبعينيات هذا القرن، تمكنت الحركة الأصولية البروتستانتية من أن تلعب دوراً مؤثراً في الحياة السياسية الأميركية، إذ تمت استعادة المفاهيم والتصورات النظرية النقية التي طرحتها في بدايات القرن، وصبغها بأبعاد سياسية، واستخدامها في الواقع السياسي الأميركي، ومن ثم في السياسة الخارجية الأميركية.

وتنبئنا البحوث الأكاديمية المبكرة حول هذه الظاهرة أن حركة «بعث الشعب اليهودي» بلغت ذروتها في القرن العشرين في مذهب العصمة الحرفية الأميركي الذي يصر على أن إسرائيل هي التحقيق الواقعي للنبوءة في العصر الحديث، وكانت قد واجهت استياء عاماً في أوروبا القرن السابع عشر، لكن هذا الاستياء أخذ بالتراخي مع الثورة البيوريتانية في إنكلترا، والتي تمثل أشد أشكال البروتستانتية تطرفاً في إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء أولوية قصوى للعهد القديم.

وهكذا تشكلت المؤتمرات المسيحية الصهيونية للمساعدة في تأسيس «دولة

إسرائيل الكبرى»، إذ أن تأسيسها هو أحد شروط المجيء الثاني للمسيح ليحكم من أورشليم العالم لمدة ألف عام سعيد.

هذا التفسير التوراتي الذي أتت به حركة الإصلاح الديني، ثم ترسخ وتعمّق في الثقافة الغربية بعامة يناقض التفسير التوراتي كما وضعته الكنيسة الكاثوليكية. إنها ترى أن الفقرات الواردة في التوراة وبخاصة في العهد القديم، والتي تشير إلى عودة اليهود إلى وطنهم لا تنطبق على اليهود بل على الكنيسة المسيحية مجازاً. لمَ؟ لأن اليهود اقترفوا إثماً فطردهم الله من فلسطين إلى المنفى في بابل، ثم أنكروا المسيح، فنفاهم الله ثانية، وبذلك انتهى وجود ما يسمى «الأمة اليهودية» إلى الأبد.

على أن هذا الخلاف المبدئي في التفسير التوراتي بين مسيحيي العالم لا يحجب حقيقة أن التنظيمات الأصولية المسيحية المسلحة بدأت تتكاثر في أوروبا اليوم. وهي تحمل في عقيدتها مبادئ المسيحية الصهيونية الأميركية مع اختلاف في تفاصيل الأولويات المحلية الخاصة بكل من أميركا وأوروبا، حيث تتوجه هذه المسيحية الصهيونية بعدائها في أوروبا نحو المسلمين والعرب، بينما تهتم في الولايات المتحدة الأميركية بضرورة دعم إسرائيل وبناء الهيكل مكان المسجد الأقصى، كما تعرضه أوراق هذا الملف.

وتخبرنا هذه الأوراق كذلك بأن الأصوليين المسيحيين المتدينين في أوروبا لا يحملون أي شعور بالود تجاه النفوذ اليهودي القوي في مؤسسات الدول الأوروبية، لكن تراجع التيار الكنسي التقليدي وعدم قدرته على التأثير في دوائر القرار ساهما في صعود تيار المسيحية الصهيونية المتأثر بالمحافظين الجدد في أميركا.

لقد أخذ هذا التيار المسيحي الأصولي اليميني ينتشر ويتمدد خارج الحدود الأميركية ليغزو أوروبا، ويثير فيها اضطرابات وتظاهرات بقيادة إسرائيلية تارة ضد هجرة المسلمين إليها، وطوراً ضد بناء المساجد..ودائماً ضد العرب والمسلمين وحدهم..

هذا بالإضافة إلى عمليات التفجير والاعتداءات على العرب والمسلمين والمسلمات. وما تفجيرا أوسلو إلا صدى أوروبي للدعوة إلى حرق القرآن في أميركا.

وما هذه الضراوة ضد ضم تركيا إلى أوروبا إلا شكل من أشكال هذا الصراع الخفي في الأصل، والذي بات يتخذ مظاهر شديدة السفور منذ حين.

فهل بتنا نشهد في كل يوم «هرمجدون» صغرى في عواصم الغرب ومدنه وقراه الهامشية قبل أن تشتعل «هرمجدون» الكبرى في سهلها بين القدس وعكا كما تنبئ القراءة التوراتية لسفر الرؤيا؟

إسرائيل وراء هذه الأصولية.. يقول مسيحيو المشرق..

ونقول إنها بهذا النهج ربما تكون قد قتلت المسيح (عليه السلام) مرتين!

«معلومات»

الترتيب الزمني للوثائق والأحداث

التيارات الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة: نبوءات وسياسة



قد لا يُستغرب وجود تيار بين الأميركيين يؤيد «حرب النجوم» معتبراً إياها «الأمل الأخير والوحيد» في مواجهة حاسمة مع «قوى الشر» تمهد لتدمير العالم، «تحقيقاً للنبوءات». ذلك أن إقحام المعتقدات الدينية وشبه ـ الدينية في الحياة السياسية أمر مألوف في المجتمع الاميركي. **لكن ما يدعو الكثيرين اليوم، لا للاستغراب فحسب بل للقلق أيضاً، تنامي قوة تيار ديني أصولي يعتبر أن «العد العكسي إلى هرمجدون» قد بدأ، وهو يعمل على التأثير المباشر في صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة** وعلى نحو ما، من خلال «المبشرين» وأجهزة الإعلام، خارجها. ماذا يعني العد العكسي المشار إليه؟ من هم قادة هذا التيار وما هي سعة نفوذهم؟ سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة ملتفتين، بنوع خاص، إلى موقف التيارات الأصولية من اليهودية ومن إسرائيل والذي يحتل مكانة بارزة، ولعلها الأبرز، في رؤيتها للعالم، الدينية والسياسية.

المستقبل بعين النبوءات

الحديث عن «هرمجدون» ليس نتاج مخيلة حفنة من الهامشيين، غريبي الأطوار. إنه من المكونات المعتقدية الأساسية لتيار مسيحي يصعب حصره بدقة، لكنه، في أضعف الاحتمالات يضم نحو العشرة ملايين شخص. وهو يتشكل خارج الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية التقليدية. هذه الفئة من المسيحيين المحافظين، بل بالأحرى الأصوليين، ترى المستقبل بعين النبوءات الواردة في الكتاب المقدس على نحو محدد. إنها

تدين بمعتقد «الألفية» أو «ما قبل الألفية» المستند إلى أسفار حزقيال ودانيال والرؤيا والقائل إن العالم كما نعرفه أشرف على النهاية، وإن ألفاً من السنين سيبدأ، بعد هذه النهاية، وهو يتميز بالسلام ووفرة الخيرات والأخوة بين الناس، وسيحل السلام بين الحيوانات أيضاً. العالم آت إلى نهاية لا بفعل جنون جنرال أو سياسي يشعل الحرب النووية، بل لأن هذا هو «قصد اللـه». **نهاية العالم ليست مدعاة للقلق بنظر «الألفيين» لأنها تمهد لمجيء المسيح الثاني. لكن، قبل هذا المجيء، على بعض الأحداث أن تقع، إنها «علامات الأزمنة»: تبشير العالم و«عودة» اليهود وإعادة بناء دولة إسرائيل وظهور المسيح الدجال وموجة من الصراعات والتقلبات. كل هذا يتوج بمعركة هرمجدون** [١] **(قرية مذكورة في سفر الرؤيا وهي تقع شمال القدس)** حيث تزج الأمم الكبيرة في معركة طاحنة بين «الحق والباطل».. وعند اقتراب إفناء العالم، يظهر المسيح. وهناك أكثر من رواية تفصيلية لهذا الحدث «الإنقضائي»، أبرزها القول بمرحلة، عمرها سبع سنين، يعرف العالم خلالها حرباً نووية وفوضى اجتماعية يجيء المسيح في آخرها ويخطف المسيحيين «**المولودين من جديد**» [٢] على سحابة فيلاقونه في الهواء، ويخلصون من الحرب والانهيار الاقتصادي والاجتماعي. مجيء المسيح يحسم الحرب ويسلم السلطة في الملكوت الجديد (الذي سيدوم ألف عام) لأرستقراطية «روحية» مؤلفة من المسيحيين المذكورين أعلاه. ويهتدي عندئذ إلى المسيحية كل اليهود الذين نجوا من الكارثة [٣]. مصير المسيحيين «المولودين من جديد» مختلف حسب رواية أخرى، فهم لن يخطفوا في السحب، بل سيعيشون الكارثة. لذلك عليهم أن يستعدوا لحماية أنفسهم خلال الحرب النووية [٤].

خلال هذه الكارثة التي «خطط اللـه لها»، على المسيحيين الأصوليين أن يعملوا ما بوسعهم لأجل إعطاء التاريخ دفعة إلى الأمام، أو بالأحرى لتسريع ما لا بد منه.

فالسلاح النووي يصبح، عندئذ، أداة لتحقيق مقاصد اللـه، والميل إلى تفسير أحداث السياسة الدولية بمنظور «نهاية العالم» مشروعاً لا بل ضرورياً. كل دعاة «الألفية» مجمعون على اعتبار الشرق الأوسط مسرحاً للحرب ـ الكارثة الموصوفة أعلاه. أما أفرقاء الحرب فهم، برأي الكثيرين، إسرائيل والولايات المتحدة من جهة والسوفيات والعرب والإيرانيون والاوروبيون والأفريقيون والصينيون من جهة أخرى.

أكثر الدعاة شعبية

في محاولتنا التعرّف إلى بعض رموز هذا التيار وقياس مدى تأثيره، نسجل أولاً أن نمطاً من التعامل مع الكتاب المقدس شائع في الولايات المتحدة يشكل أرضاً خصبة لانتشار الأفكار الألفية فقد ورد في تقرير نشره في العام ١٩٧٩ الاختصاصي في الاستفتاء جورج غالوب أن ثمانية وثلاثين بالمئة من الأميركيين يؤمنون بأن الكتاب المقدس هو كلمة اللـه الفعلية التي يجب أن تؤخذ بحرفيتها [٥]. وجاء في تقرير أعده اختصاصي آخر في الاستفتاء، ونشر في العام ١٩٨٤، أن أربعة من أصل عشرة أميركيين يعتقدون «أن الكتاب المقدس حين يتنبأ بأن الأرض ستدمر بالنار فهو يحدثنا عن الحرب النووية» [٦].

المؤشر الثاني عن انتشار الأفكار الألفية بين الأميركيين نجده في بيع أكثر من عشرين مليون نسخة من الكتاب الأكثر شعبية في الادب «الألفي» لهال لندسي وعنوانه **الأرض ذلك الكوكب الكبير المتأخر** [٧]. الكتاب يصف بالتفصيل مرحلة العد العكسي نحو حرب هرمجدون، ويعرض مجمل الأفكار السياسية المنبثقة من هذا التصوّر المستقبلي. هناك أيضاً ما يقارب الخمسة عشر مليوناً من الأميركيين يشاهدون أسبوعياً على التلفزيون برامج دينية تبث عظات تحمل الفكر «الألفي».

---

(١) المراجع كثيرة. نذكر منها:

- Jerry Falwell, «Nuclear War and the Second Coming of Jesus Christ», Lynchburg, Va, Old Time Gospel Hour, 1983.
- Hal Lindsey, *The Late Great Planet Earth*, New York, Bantham Books, 1973.
- Hal Lindsey, *The 1980's Countdown to Armageddon*, New York, Bantham Books, 1981.
- Pat Robertson, *The Secret Kingdom*, Nashville, Thomas Nelson, 1982.
- Millard J. Erickson, *Contemporary Options in Eschatology, a Study of the Millenium*, Grand Rapids, Baker Book House, 1977.

(٢) هناك تعريفات عدة للمولودين من جديد تشترك كلها في اعتبارهم جماعة الذين اختاروا شخصياً يسوع المسيح للحصول على الخلاص فولدوا من جديد. إنهم يعتبرون أن الكتاب المقدس لا يخطئ، أياً كانت المواضيع. وهم محافظون جداً في أخلاقهم الجنسية ولا يدخنون ولا يشربون الخمر ولا يلعبون القمار.

(٣) حسب روايتي جيري فالويل وهال لندسي. راجع الحاشية (١).

(٤) حسب رواية بات روبرتسون (راجع الحاشية (١)). أما جيم ماكيفر فيعطي إرشادات تساعد المسيحيين على النجاة من الحرب النووية.

Jim Mcheever, *Christians will go Through the Tribulation: And how to Prepare for it*, Medford Ore, Omega, 1978

(٥) William Proctor, *The Born Again Christian Catalogue*, New York, M. Evanis and Company, 1979, p.p. 1-7

(٦) Daniel Yanhelovitch, quoted in the *Politics of Armageddon*, in Convergence, Fall 1985, p.3

(٧) Hal Lindsey, *The Late Great Planet Earth*, New York, Bantham Books, 1971

أحد أكثر قادة التيار المسيحي الأصولي واليميني والمعتنق للأفكار «الألفية» تأثيراً هو القس جيري فالويل (Jerry Falwell) الذي أسس في العام ١٩٧٩ المنظمة الأكثر ضجيجاً في أوساط «اليمين المسيحي» وهي تدعى **«الأكثرية الأخلاقية»** (Moral Majority). غاية المنظمة «الدفاع عن الاقتصاد الحر والعائلة والأخلاق ذات المصدر الكتابي». وهي تعارض الإجهاض والمساواة في الحقوق بين الرجال والنساء، وتطالب بجعل الصلاة في المدارس إلزامية، وبتعليم قصة الخليقة حسب الكتاب المقدس لا بمقتضى النظريات الداروينية والتطورية. «الأكثرية الأخلاقية» تؤيد التسلح النووي، وتدعو لمساعدة الأنظمة اليمينية في العالم الثالث في إطار المواجهة التي لا هوادة فيها مع الشيوعية الملحدة. **وهي أيضاً من أشد مؤيدي الصهيونية**. لا بل تدعم الاتجاهات الأكثر تطرفاً داخل إسرائيل.

برنامج فالويل التلفزيوني يذاع عبر أكثر من ستمائة إذاعة ومحطة تلفزيون، ويتجاوز عدد مشاهديه الستة ملايين كل أسبوع. ويقول فالويل إنه ينفذ أمراً إلهياً باختراق أسوار الكونغرس، والنضال من أجل إقرار قوانين سوف تنقذ أميركا. وهو يرى أن «الغنى» المادي هو بركة من اللـه للذين يضعونه في المرتبة الأولى» [٨]. «الأكثرية الأخلاقية» مارست دوراً «انتخابياً» لا يستهان به إلى جانب الرئيس رونالد ريغان. وهي تؤكد أنها سجلت ثلاثة ملايين ناخب جديد.

إن التلفزيون هو بلا شك أداة الترويج المفضلة لأفكار الجماعات المسيحية الأصولية اليمينية. ففي العام ١٩٨٦، وبحسب الجمعية الوطنية لمنتجي البرامج الدينية، يشرف الأصوليون اليمينيون على مئتي محطة تلفزيون (من أصل ألف) وأربعمائة وثماني وستين شبكة تبث لمشتركيها. أما مجموع مداخيلها فيناهز المليار دولار [٩]. وإذا كان من الصعب تحديد مجموع الشاهدين بدقة، فإن استفتاء أجري في العام ١٩٨٦ أظهر أن «٤٠,٢٪ من الأميركيين يشاهدون برنامجاً دينياً مرة في الشهر على الأقل» [١٠].

بين البرامج الدينية الأكثر جاذبية تلك التي يقدمها الداعية ماريون ج. (المعروف ببات) روبرتسون (Pat Robertson) وهو اشترى في العام ١٩٦١ محطة تلفزيون في جنوب فرجينيا للتبشير بالإنجيل و«شفاء المرضى». وفي أحد أوائل برامجه أعلن أنه «يتوقع» أن يقوم المسيح بشيء عظيم خلال البرنامج... أحس بوجود السيد في هذه اللحظة في وسطنا. نحن أمام سرطان وقد شفي باسم يسوع! تعالوا كلكم الآن! اشكروا يسوع! المجد ليسوع! [١١].

والآن لا يكتفي روبرتسون «بشفاء» المرضى، بل يمارس النبوءة معلناً أن الانهيار الاقتصادي العالمي والحرب النووية واقعان في العام ١٩٩٠ [١٢].

في سنوات قليلة تحولت محطة التلفزيون في فرجينيا إلى شركة كبيرة تبلغ ميزانيتها السنوية مئتي مليون دولار وتدعى «شبكة البث المسيحية». وهذه الشبكة تملك أكثر من مئة محطة داخل الولايات المتحدة وفي الخارج مثل «تلفزيون الشرق الأوسط» الذي يبث من «الشريط الحدودي» الذي تحتله إسرائيل في جنوب لبنان.

أما إنتاج روبرتسون الأبرز فهو برنامجه التلفزيوني اليومي «نادي السبعمائة (٧٠٠)» الذي يبث عبر مئتي محطة تلفزيون ومئة وخمسين محطة إذاعة في الولايات المتحدة. ويقدر عدد مشاهديه والمستمعين إليه بخمسة ملايين.

بين التأثير السياسي والسعي إلى السلطة

من الدعاية المتلفزة إلى ممارسة النشاط السياسي المباشر لم يكن أمام روبرتسون إلا خطوة قصيرة اجتازها في العام ١٩٨١ فأسس «مجلس الحرية». هدف هذه الهيئة الجديدة العمل على انتخاب مسيحيين يمينيين. ويضم المجلس في عضويته مائتي ألف شخص، ويركز جهوده في المرحلة الأولى على محاربة الحزب الديموقراطي. وفي المرحلة الثانية، تحول «المجلس» إلى جهاز انتخابي لروبرتسون نفسه الذي أعلن عزمه على ترشيح نفسه في معركة اختيار مرشح الحزب الجمهوري في الانتخابات الرئاسية المقبلة. الخطوة الأولى، المهيئة للانتخابات التمهيدية داخل الحزب الجمهوري في ولاية ميشيغان أصابت نجاحاً لا يستهان به، فنال روبرتسون أصوات نصف المندوبين الحزبيين.

قوة روبرتسون الانتخابية ليست محصلة قوى مجموع التيارات المسيحية الأصولية اليمينية، ذلك أن زعامات بارزة، كالقس جيري فالويل، تؤيد خصمه المرشح جورج بوش (نائب رئيس الجمهورية الحالي ووريثه السياسي حسب الكثير من الدلائل). لقد نال الرئيس ريغان في الانتخابات الماضية دعماً واسعاً من الأوساط المسيحية الأصولية اليمينية التي رأت في برنامجه السياسي ما يعد بوضع حد لإضعاف هيبة أميركا «المسيحية» وتهديد القيم التقليدية. أضف إلى ذلك أن نظرة ريغان إلى العالم ليست بعيدة

---

(٨) مجلة «تايم» الأميركية، العدد الصادر في ١٥ أيلول / سبتمبر ١٩٨٠، مجلة «نيوزويك»، العدد الصادر في ١٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠.

(٩) Konrad Ege, «La derive politique d'un fondamentaliste Chrétien», in *le Monde diplomatique*, Septembre 1986, p.10

(١٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

عن بعض ما يؤمن به الأصوليون. لقد جاء على لسان مراسلي الـ«**نيويورك تايمز**» والـ«**يونايتد برس**» أن الرئيس ريغان ذكر، أكثر من مرة، أن هذا الجيل قد يرى تحقيق نبوءة الكتاب المقدس حول «معركة هرمجدون» (١٣). غير أنه نفى أية علاقة بين هذا القول ونظرته إلى سياسة الولايات المتحدة في مواجهة خصومها. النفي هذا لم يجب، بالطبع، على كل تساؤلات الأوساط الصحافية. وفيما يشن البعض حملة قاسية عليه يعترف البعض الآخر «بصعوبة الاعتقاد بأن الرئيس يسمح لأيديولوجية هرمجدون أن تطبع سياستها تجاه الاتحاد السوفياتي»، لكنه يسجل «أن الرئيس وصف السوفيات بالشيطانيين، وتحدث أكثر من مرة عن المعركة النهائية» (١٤).

إن ترشيح روبرتسون لانتخابات الرئاسة يعبر عن خيبة بعض الأوساط الأصولية اليمينية الأكثر تطرفاً تجاه الحزب الجمهوري، فهم يعتقدون أنه استخدمهم وقد آن الأوان لقلب الأدوار، وأنه بإمكانهم استخدامه في معركة ١٩٨٨. **وقد صادفت هذه العملية نجاحاً في عدد من الولايات حيث «استولى» هؤلاء الأصوليون على جهاز الحزب الجمهوري.**

مهما يكن من أمر الخلاف بين تيار مستمر في تأييده لريغان وبوش وآخر يعمل على بناء قوة سياسية بديلة، يبدو أن نفوذ التيارات الأصولية اليمينية ككل آخذ في الاتساع، وأن ما يجمع بينها ما زال أكثر بكثير مما يفرق. وخير تعبير عن هذا الواقع الدور الذي تمارسه «**الطاولة المستديرة الدينية**»، **وهي هيئة قامت في العام ١٩٧٩ لغرض التنسيق المنتظم بين استراتيجيات الحركات والشخصيات الأصولية اليمينية**. إن ملامح ما يمكن تسميته توجهاً «أيديولوجياً جماعياً» تظهر في أدبيات الهيئة المذكورة. وقد استخرجها أحد الباحثين الاميركيين على النحو الآتي: رفض ميثولوجيا القرد ومنع تعليم النظريات التطورية في المدارس، رؤية الأشياء بالأبيض والأسود كما يفعل الكتاب المقدس، رفض الفصل بين الكنيسة والدولة والطلب إلى السياسيين أن يأخذوا قراراتهم حسبما يأمر اللـه وهو حق، الاعتراف بأن أميركا قد أسسها اللـه، محاربة القوى المضادة للمسيح في الكرملين وغيره، رفض الإجهاض، دعم دولة إسرائيل، اعتبار قوانين المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة لا تدخل المرأة إلى الدستور فحسب بل الجنس، اعتبار ليبرالية البيض أسوأ ما حل بالسود في العشرين سنة الماضية (١٥).

مسيحيون ـ مؤيدون للصهيونية أم مسيحيون ـ صهاينة؟

إن عدداً كبيراً من المنتمين إلى الجماعات الأصولية اليمينية الموصوفة أعلاه يسمون أنفسهم «**المسيحيون الصهاينة**». **فتأييدهم لإسرائيل ليس مجرد موقف سياسي، بل مستند إلى فهم معين للنبوءة الخاصة بالمجيء الثاني من جهة، وبتفسير لعهد اللـه مع شعب إسرائيل وأرضه، من جهة أخرى**. لذلك تراهم مستعدين لتجاوز «الحسابات السياسية» والذهاب إلى أقصى الحدود. ففي عريضة موجهة للرئيس ريغان في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢ وموقعة من قبل قادة أصوليين، يدعون تمثيل أربعين مليون مسيحي، تشديد على «أن اللـه أعطى أرض إسرائيل للشعب اليهودي وأن الكتاب المقدس يرسم حدود إسرائيل وهي تتجاوز حدود الدولة الحاضرة... حق إسرائيل في يهودا والسامرة يستند إلى التاريخ الكتابي والمعاصر على حد سواء...» (١٦).

يندرج الموقف المسيحي ـ الصهيوني في سياق النظرة «الألفية» إلى مستقبل البشرية. ويقول هال لندسي، أكثر الكتاب الأصوليين شعبية: «**حتى نكون دقيقين في إدراكنا للمعنى الكبير لإسرائيل كعلامة أزمنة، هناك ثلاثة أمور يجب أن تتحقق: أولاً: يجب أن تولد الأمة اليهودية من جديد على أرض فلسطين. ثانياً، يجب أن يستعيد اليهود ملكية أورشليم والأماكن المقدسة. ثالثاً، عليهم أن يعيدوا بناء الهيكل القديم في موقعه التاريخي**» (١٧).

ويبرز المسيحيون ـ الصهاينة مقاطع من الكتاب المقدس تسمي اليهود «شعب اللـه المختار» على غرار ما جاء في سفر التكوين ١٢، ٢ـ٣: «فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه» يقول جيري فالويل «لقد بارك اللـه أميركا لأنها باركت اليهود ـ شعبه المختار» (١٨).

هذا التيار المسيحي المتهود والصهيوني لم ينشأ من عدم. هناك «مناخ» هيأ له، في أوروبا وفي الولايات المتحدة أن الصهيونية من حيث هي أيديولوجية سياسية تدعو لقيام دولة على أرض فلسطين تحولت إلى حركة سياسية أطلقتها مجموعة من

(١٣) *The Politics of Armaggedon*, OP. cit, p.3

(١٤) **من افتتاحية لصحيفة «نيويورك تايمز» المذكورة في المرجع السابق.**

(١٥) Larry Ekin, Christian, «Zionist Perspectives on the Middle East» in Basheer K. Nijim (ed), *American Chrurch Politics and the Middle East*, AAUG monographic series, Washington, 1982, 1. 139

(١٦) **عريضة مرفوعة إلى الرئيس ريغان وإلى أعضاء الكونغرس من قبل المنتدى الأميركي للتعاون المسيحي ـ اليهودي، ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٢.**

(١٧) Hal Lindsey, *The Late Great Planet Earth*, op.cit, p.40

(١٨) Jerry Fallwell, *Listen America*, New York, Doubleday, 1980, p. 113

اليهود الأوروبيين في أواخر القرن التاسع عشر. المؤتمر الصهيوني الأول عقد في العام ١٨٩٤ لكن الصهيونية كفكرة نادى بها بعض المسيحيين في الغرب، تسبق تلك الفترة.

ترعرعت الفكرة في كنف القراءة الحرفية للكتاب المقدس. وهناك مسيحيون في الغرب اعتقدوا أن ما من شيء قد حصل في فلسطين سوى ما جاء ذكره في الكتاب المقدس ـ العهد القديم. وأول إشارة إلى الرؤية «الألفية» التي تتضمن اعتقاداً بأن «عودة» اليهود إلى فلسطين ستسبق مجيء المسيح الثاني، ظهرت في أواخر القرن السادس عشر، في كتابات **الإنكليزي** توماس برايتمان (Thomas Brightman). وساهمت الحركة «الطهرية» في القرن السابع عشر في بلورة مسيحية متصهينة من خلال اعتبارها أن العهد القديم يعطي مثلاً عن الحاكمية الإلهية في تاريخ أمة، وتشديدها على مفهوم الشعب المختار.

عرفت الفكرة المسيحية المتصهينة زخماً في إنكلترا مع مطلع القرن التاسع عشر الذي شهد حركة إحيائية تشبه، بعض الشيء، الحركة الطهرية. وقد تأسست في لندن في العام ١٨٠٧ جمعية لنشر المسيحية بين اليهود، وكان اللورد شافتسبري (Shaftesbury)، **أحد أبرز قادة هذه الجمعية، وهو عارض اندماج اليهود في المجتمع الإنكليزي معتبراً أنه عليهم أن يظلوا «غرباء» في كل البلدان ما خلا فلسطين.**

خلال تلك الفترة، لم يكن اليهود الأوروبيون شديدي الحماسة للذهاب إلى فلسطين. كان همهم الاول الحصول على الحقوق المدنية والسياسية في مختلف البلدان. لكن الموقف تغير بعد قيام الحركة الصهيونية، صاروا أكثر اعتماداً على الموقف المسيحي المتصهين. وكان آرثور بلفور (صاحب الوعد الذي عرف باسمه) ولويد جورج من دعاة هذا الموقف. الاول كان يعتبر التاريخ «أداة لتحقيق المقاصد الإلهية» والثاني ذهب إلى مؤتمر فرساي مقتنعاً بأنه أعطى فرصة «**لإعادة رسم حدود أرض الكتاب المقدس**» (١٩).

في **الولايات المتحدة**، لعبت النظرة الحرفية إلى الكتاب المقدس والأفكار الطهرية والإحيائية دوراً مشابهاً في ظهور الاتجاهات المسيحية ـ الصهيونية. والفكرة «الألفية» المعروفة اليوم برزت، لأول مرة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد المبشر البريطاني جون داربي (John Darby) الذي قسم التاريخ إلى حقبات تحددها كيفيات التدخل الإلهي. كما أعطى لسفر الرؤيا أهمية لم يأخذها من قبل، وبشر بتحقيق النبوءات مع التشديد على «الامر الإلهي» «بعودة» اليهود إلى فلسطين وعلاقة تلك «العودة» بمجيء المسيح الثاني، أما وليم بلاكستون (Blackstone) فقد كان الداعية البارز الثاني، وقد وزع كتابه **يسوع آت** أكثر من مليون نسخة. وزار بلاكستون، وهو رجل أعمال أيضاً، فلسطين في العام ١٨٨٨ واقتنع بأن ذهاب اليهود إلى هناك، إضافة إلى كونه تحقيقاً للوعود الكتابية، عملية مفيدة على المستوى العمراني والاقتصادي.

خلال النصف الأول من القرن العشرين ضعفت التيارات المسيحية الألفية والمتصهينة في الولايات المتحدة بشكل ملحوظ، لكن إنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين في العام ١٩٤٨ أنعشها. وتنامى هذا الانتعاش بعد حرب ١٩٦٧ التي أدت إلى احتلال القدس الشرقية والضفة الغربية. **وظهر التيار الأصولي المتصهين كقوة سياسية يحسب لها حساب في العام ١٩٧٦ خلال الاحتفالات بالذكرى المئوية الثانية للثورة الاميركية** (٢٠).

هناك أسباب عديدة، خارجية وداخلية، تفسر هذا الظهور، لعل أبرزها داخلي، فآخر «حرب صليبية» علنية قادها الأصوليون ضد السماح ببيع الخمور أخفقت في العام ١٩٣٣، وبات بعدها الميل الغالب عندهم الانصراف عن السياسة والعمل في سبيل «هداية النفوس». لكن انتخاب الرئيس **كارتر**، وهو واعظ مسيحي «مولود من جديد» في أواسط السبعينيات ولد حماساً سياسياً عند الأصوليين. لكن آمال الكثير منهم خابت إذ لم يستطع أن يسيطر على الأحداث التي أثارت غضبهم: انعكاسات حرب فييتنام، هزائم الولايات المتحدة الأخرى في العالم الثالث، ضعف الثقة في المؤسسات السياسية الأميركية بعد استقالة نيكسون، نهوض الحركات النسائية والحركات المطالبة بالحقوق المدنية، ازدياد نسبة الطلاق وتفشي الإباحية. ورداً على تساؤلات كثيرة تفرضها الأوضاع المتغيرة على وجدان «الأميركي العادي» قدم الأصوليون أجوبة واضحة وبسيطة، واستطاعوا جذب الكثيرين.

الأجوبة البسيطة التي قدمها الأصوليون دعت كلها بشكل أو بآخر إلى «عودة» أميركا إلى تطبيق تعاليم الكتاب المقدس. كما أطلقت الأحداث السياسية الكبرى، وأهمها أحداث الشرق الأوسط سيلاً من النبوءات بعضها يبشر بمجيء المسيح الثاني الوشيك والبعض الآخر يعلن عن اقتراب موعد اندلاع الحرب العالمية الثالثة.

الهيئات الصهيونية في الولايات المتحدة رأت في هذه الموجة «خزاناً» من المشاعر والمواقف المؤيدة لإسرائيل. كما مارست، من خلال تعاملها مع التيارات الأصولية اليمينية، ابتزازاً ضد الكنائس البروتستانتية التقليدية، وضد مجلس الكنائس الوطني في الولايات المتحدة، متهمة إياها بالتحول عن دعم إسرائيل إلى التعاطف مع الفلسطينيين.

(١٩) Regina Sharif, *Non-Jewish Zionism*, London, Z Press, 1983, pp. 78-79

(٢٠) Donald Wagner, «Anxious for Armaggedon», in Wasgner and Haddad (editors), *All in the Name of the Bible*, PHRC Report No. 5, Chicago, 1985, p. 17

وأعطى انتخاب بيغن في العام ١٩٧٧، بدوره، دفعاً للحركات الأصولية خصوصاً في وجهها المتصهين. فهو صاحب لغة سياسية، لا بل سياسة، تعطي كامل الشرعية للتطرف الديني وتستخدم التوراة بكثرة لتفسير خططه أو لتبريرها.

بعد سنين من التعاون رأت الحركات الأصولية اليمينية والجمعيات الصهيونية أن الفرصة مؤاتية لخنق كل محاولة للإشارة إلى حقوق الشعب الفلسطيني، وذلك بعد إخفاق الرئيس كارتر في الوصول إلى تسوية شاملة في الشرق الأوسط عقب رعايته لاتفاقات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل.

فقد جاء في إعلان نشرته كبريات الصحف الأميركية في ٢٣ آذار/مارس ١٩٨١ «لقد آن الاوان للمسيحيين الإنجيليين (الأصوليين) ليؤكدوا على إيمانهم بالنبوءات الكتابية وبحق إسرائيل الإلهي بالأرض... نحن نعتبر أن أية محاولة لاقتطاع أي جزء من الوطن اليهودي مدعاة لقلق كبير... وهي تتنافى مع إيماننا بالوعد الذي أعطي لشعب اللـه».

بعد هذا الإعلان، ظهرت أكثر من مرة إمكانية «توظيف المشاعر» الأصولية في خدمة مباشرة لسياسة بيغن. فبعدما دمر الطيران الإسرائيلي المفاعل النووي العراقي أكد جيري فالويل لبيغن تفهمه للعملية، وهنأه على «مهمة جعلتنا فخورين لكوننا نصنع طائرات ف ١٦» [٢١]. **هذا الموقف وغيره دفعا بيغن للقول إن «مسيحيي أميركا هم إلى جانبنا»** [٢٢].

بين حذر وترحيب

إن التأييد المسيحي الأصولي لإسرائيل، يستند عند الكثيرين، كما رأينا، إلى رؤية للعالم، أو بالأحرى لنهايته، تفترض تبشير اليهود. فالموقف السياسي عند البعض هو وسيلة تخدم غاية تبشيرية كبرى. لكن، يبدو أن هذا لا يثير مشكلة كبيرة لدى الساسة الصهاينة ولو أنه يزرع الشك في نفوس بعض المتشددين اليهود. ذلك أن أولية كسب التأييد السياسي لدولة إسرائيل تغلب الاعتبارات الدينية الصرف. هذا، بينما يجمع الصهاينة على الترحيب بمواقف أصولية من نوع آخر. فهناك من لا يقولون بتبشير اليهود، بل بالوقوف إلى جانبهم و«تعزيتهم» على حسب ما جاء في أشعياء (٤٠ : ١-٢) «عزوا شعبي يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل».

أبرز ممثلي هذا التيار جماعة «السفارة المسيحية العالمية في القدس». هذه «السفارة» تأسست في العام ١٩٨٠ رداً على قيام العديد من الدول بنقل سفاراتها من القدس استنكاراً لإعلانها عاصمة إسرائيل. ويقول الهولندي يان فيللم فان دور هوفن (Jan Willem Van der Hoven) الناطق الرسمي باسم «السفارة» أن أعمالها ليست إلا «تجاوباً مع عمل اللـه المعجزي الذي أعاد شعبه إلى أرضه». ولهذا السفارة فروع في ٥٠ دولة ولها في الولايات المتحدة عشرون مكتباً قنصلياً تقوم بعمل دعائي من مختلف الأنواع، وتجمع المساعدات المالية والعينية، وتسوق البضاعة الإسرائيلية.

آخر نشاطات «السفارة»، كان المؤتمر الدولي للقادة المسيحيين الصهاينة الذي عقد في بازل (سويسرا) خلال شهر آب ١٩٨٥ والذي انتهى إلى إصدار بيان يضيف إلى تكرار المواقف التقليدية المؤيدة لدولة إسرائيل و«التائبة» عن اللاسامية «تهنئة لدولة إسرائيل ولمواطنيها على «إنجازات» الاربعين سنة الأخيرة، دعوة للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل وبيهودا والسامرة أجزاء «من أرض إسرائيل» وتحذيراً للأمم التي تعادي الشعب اليهودي. ولعل البيان المذكور، وقد تجاهلته المحافل المسيحية الدولية (الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي) **وأدانه بشدة مجلس كنائس الشرق الأوسط** [٢٣] **وبعض الهيئات الكنسية العربية وغير العربية،** يظهر حداً أقصى للتأييد غير المشروط للسياسة الصهيونية في تعابيرها الأكثر تطرفاً، **وعلى نحو يقحم اللـه والكتاب المقدس في كل جانب من جوانب الصراع العربي-الإسرائيلي.**

ضد تزييف الدين

إن الإحياء الذي تعرفه المسيحية الأصولية المتصهينة في الغرب عموماً، والذي يمتاز، كما رأينا، داخل الولايات المتحدة بسعة تأثيره، ظاهرة لا تعرفها المسيحية في العالم العربي، اللـهم إلا من خلال بعض الفرق الغربية المنشأ التي لم تستطع النفاذ «إلى الداخل»، بل تمارس تبشيرها في المناطق التي تحتلها إسرائيل، أو تخضع لسيطرتها المباشرة. وتقوم من الخارج ببعض النشاطات الإعلامية الموجهة إلى العالم العربي.

إن التعرف على حقيقة هذه التيارات بدقة واطلاع الرأي العام العربي عليها ضرورة. وقد لا يكون مجرد تبيان تهود هذا التيار المسيحي أو ذاك وكشف الموقف المؤيد لإسرائيل عند هذه المجموعة أو تلك مهمة صعبة. هناك تحد آخر، لعله أكبر، وهو بناء الوعي الذي يمنع تزييف الدين واستخدامه في تبرير سياسات الظلم والعدوان أو إضفاء صفة القدسية على أحلام وأوهام مدمرة.

(طارق متري، «السفير»، ١٩٨٧/٧/١٨)

---

(٢١) Ruth W. Mouly, *The Religious Right and Israel*, Midwest Research Monographic series, Chicago, 1985, p. 28

(٢٢) «Israelis Look on U.S. Evangelical Christians as Potent Allies», *Washington Post*, March 21, 1982

(٢٣) في بيان صادر عن اللجنة التنفيذية في اجتماعها خلال شهر نيسان / أبريل ١٩٨٦.

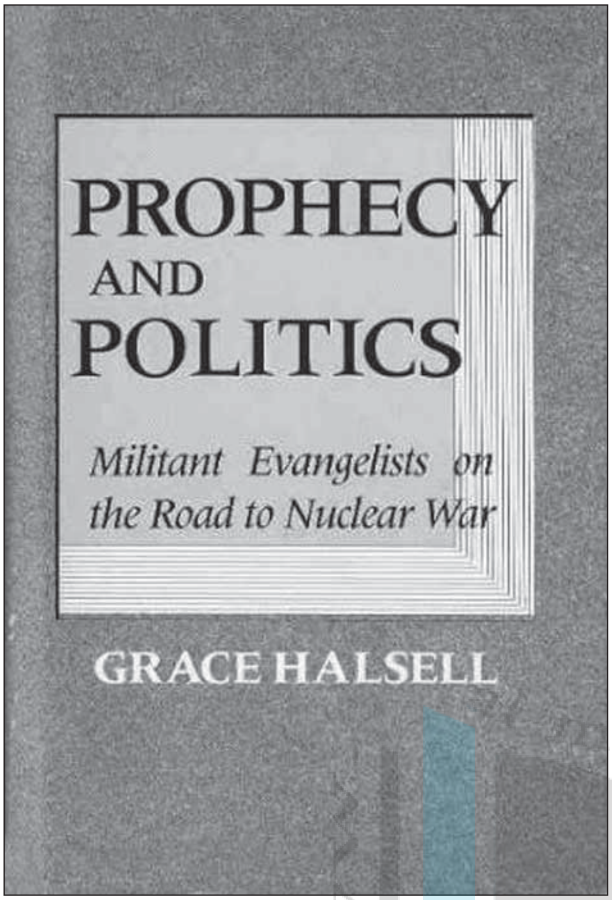
«الأصولية المسيحية» في الولايات المتحدة
عرقية.. معادية للإسلام.. معادية للعالم الثالث

لا يكاد عدد من أعداد الدوريات السياسية الأميركية المتخصصة، ولا يكاد برنامج مؤسسة من المؤسسات الأميركية للأبحاث التي يطلق عليها «معاقل التفكير» يخلو من دراسة عن الظاهرة التي ساد الاصطلاح على تسميتها «الأصولية الإسلامية». فإن خلا شيء من هذا أو ذاك من مقالة أو دراسة، فالإشارات وفيرة، وفي كل ذلك فإن من يتناولون هذه «الأصولية الإسلامية» لا يخجلون من الانتقائية. فأصحابها هم حكام إيران والشيعة عموماً، أو «الإرهابيون» في لبنان ومعارضو أنور السادات وخلفه الرئيس حسني مبارك من حملة التفكير السياسي الإسلامي في مصر، لكن ليس من بينهم بالقطع «المجاهدون» الأفغان، ولا الوهابيون في الجزيرة العربية، ولا الرئيس السوداني جعفر نميري.

عدا عن هذه الانتقائية، فهذه الأصولية الإسلامية قبيحة، قاسية، وحشية، إرهابية، سلفية، ارتدادية، رجعية، متعصبة، عمياء معادية للمسيحية.

وفوق هذا كله، فإن الدوريات ذاتها، ومعاقل التفكير ذاتها، لا تتناول ظاهرة مقابلة بارزة وواضحة، بل وتكاد تكون حاكمة في الولايات المتحدة بالذات، هي «الأصولية المسيحية» تشاركها حتى من باب أن «الشيء بالشيء يذكر» وإن كانت الصحف السيارة تتناولها أحياناً بتحقيقات تتميز بالخفة ومغادرة الطرائف. وقد يذكرها بعض كتاب مقالات الرأي والافتتاحيات من «الليبراليين» المعارضين للرئيس الأميركي رونالد ريغان، وعندئذ يأتي الذكر من قبيل التدليل على «جهل» ريغان أو «تخلفه» أو «نفاقه» حسب ما يلائم هوى الكاتب الليبرالي. ولم يتناولها أحد ـ أكرر، لم يتناولها أحد ـ لا كظاهرة قد تكون المقابل الموضوعي لـ«الأصولية الإسلامية» (وهي ليست كذلك. إنما سقنا هذه لأنها قد تناسب الذوق الفكري الأميركي). **إنما أساساً، لم يتناولها أحد باعتبارها ظاهرة صامدة في الحياة السياسية والاجتماعية الأميركية، تسعى لتشكيل مستقبل الولايات المتحدة الأميركية و(العالم) وتنذر بمقدمات فاشية خطرة، تهون أمامها أهوال النازية.**

عنوان هذه «الأصولية المسيحية الأميركية» رجل دين بروتستانتي معمداني اسمه **جيري فالويل**، يلقي موعظته في كنيسة في ولاية فيرجينيا في بلدة اسمها «لينشبورغ». والمفارقة



غلاف كتاب **النبوءة والسياسة: الإنجيليون العسكريون على طريق الحرب النووية**

ان اسم البلدة يحمل إيماءات خطرة: فالكلمة من شقين Lynch وتعني الإعدام دون محاكمة و«بورغ» ويعني بلدة. وكان «الإعدام دون محاكمة» (Lynching) رائجاً في الولايات المتحدة كعقوبة للسود بعد إلغاء الرق. وما زالت له بقايا حتى الآن، إنما بالطبع ليس لاسم البلدة علاقة بهذا التاريخ الدامي، فالأرجح إنها تحمل اسم مهاجر ألماني من مؤسسيها.

المهم أن جيري فالويل يلقي مواعظه في كنيسة بناها في هذه البلدة، وتكتظ كل يوم أحد بأربعة آلاف من المصلين، هم خمس أتباع كنيسة في بلدة يبلغ تعداد سكانها ٧٠ ألفاً.

ومع هذا فهو ليس ظاهرة محلية في مدينة صغيرة، فلديه برنامج تلفزيوني اسمه «إنجيل الزمن القديم» يذاع من ٣٩٢ محطة تلفزيونية عدا عن المحطات التي تقدم خدمات تلفزيونية

خاصة منتقاة. ويعمل بموازنة سنوية تبلغ ٨٤ مليون دولار ينفق منها ٣٠ مليون دولار سنوياً على مبشرين يرسلهم إلى ٦٥ دولة.

وهو قائد الحركة التي تسمى «الأغلبية الأخلاقية» والتي تمثل اتحاد أجنحة أقصى اليمين الأميركي في ١٩٧٩. وهي الحركة التي تنسب إلى نفسها الفضل في المجيء برونالد ريغان إلى السلطة.

وهو ـ جيري فالويل ـ الراعي الروحي لرونالد ريغان، الذي يزوره في البيت الأبيض وقتما يشاء، ويذيع في برنامجه التلفزيوني ما يشاء من أحاديثه مع ريغان.

ويعيش فالويل في بيت ضخم تملكه الكنيسة التي بناها، ويستخدم سيارة ـ نصف حافلة ـ تملكها الكنيسة، ويتنقل عبر الولايات المتحدة في طائرة «نفاثة تملكها الكنيسة».. و.. من صناعة إسرائيل، ويتبعه أو يتبع تعاليمه ٧٠ مليون أميركي يعتبرون أنفسهم «مسيحيين ولدوا من جديد». وتتلقى كنيسته ٦٠ مليون رسالة بريدية سنوياً، ولديه ـ في الكنيسة مركز للبريد والهاتف يعمل ٥٤ ساعة يومياً على مدار السنة، مزود بثمانين خطاً هاتفياً مهمتها تلقي التبرعات عن طريق ذكر المبلغ ورقم بطاقة ائتمان المتبرع (وهذا يكفي) ويتلقى هذا المركز تبرعات تتراوح بين مئة ألف دولار يومياً ومليون دولار ليلة عيد الميلاد.

والذين يقولون إن رونالد ريغان «خطر على البشرية» يبدون مبالغين، لكن النظر في نوع المشاركة الفكرية و«الروحية» بينه وبين جيري فالويل تقول غير ذلك.

في الربيع الماضي أجرت مجلة أميركية حواراً مع فالويل قال فيه إن الحرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي حتمية، لأنها تحقيق لنبوءة العهد القديم بالمعركة الحاسمة بين الخير والشر، الهرمجدون، ويتنبأ بأنها سوف تبدأ بحرب بين إسرائيل والاتحاد السوفياتي تهب فيها الولايات المتحدة لنجدة إسرائيل ولإنقاذ المسيحيين الحقيقيين الذين يعيشون في «إمبراطورية الشر» وإنها سوف تنتهي بتدمير الاتحاد السوفياتي والنظام الشيوعي وفكره. وانتصار الخير وعودة المسيح.

وعندما سأله الصحافي عن «كيف تنقذ هذه الحرب هؤلاء المسيحيين الحقيقيين الذين يعيشون في إمبراطورية الشر» إذا كان السلاح لا يفرق بين المؤمنين وغير المؤمنين، قال فالويل ببساطة و«بثقة المؤمن» إن اللـه سوف يرفع هؤلاء المؤمنين إلى لدنه، ثم يعيدهم إلى الأرض بعد أن تنتهي الحرب بهزيمة الشر.

بعدها سأل صحافي أميركي رونالد ريغان إذا كان يعتقد بصحة ما قاله فالويل في هذا الشأن، وكان جواب ريغان صاعقاً: «بالطبع مائة بالمئة»!!

قد تسهل الاستهانة برجل يقول: أشياء من هذا القبيل، والقول ببساطة إنه مهووس، أو أن يقول موقعه في تاريخه الشخصي أنه أسير لعقد ذنب موروثة تميز المسيحية الغربية، فقد مات أبوه وهو في الخامسة عشرة من إدمانه الخمر، وأدمن أبوه الخمر بعد أن قتل أخاه ـ (دفاعاً عن النفس ـ في نزاع على المال)، لكن من يدقق أيضاً في تاريخ فالويل الشخصي لا يلبث أن يطرد هذه الأفكار. فالرجل ـ في حقيقته بعيد عن الهوس، ويعرف الدور الذي يؤديه، والمصالح التي يخدمها، فالذي رعاه عندما بدأ كنيسته هم مجموعة من كبار رجال الأعمال، وما **زال سنده الرئيسي هو كبار رجال المال، وهو يتنقل طوال الوقت بين كنيسته وما يتبعها من كنائس وبين كبار الماليين وأصحاب النفوذ من الحكام.**

وهؤلاء ليسوا هم رعاياه إنهم بالأحرى حكامه أو حكومته، أما الملايين من رعاياه فهم أوساط الأميركيين البيض، أوساطهم في الثروة والمركز الاجتماعي والثقافة والمعرفة، وأكثرهم خوفاً من أن يضيع منهم ما يجعلهم أوساط الأميركيين.

هؤلاء الأوساط الأميركيون، مفخرة الرخاء الأميركي و«الحركية الاجتماعية» الأميركية والانفتاح الأميركي، هم أكثر قوى هذا المجتمع خوفاً، فأي اهتزاز في موازينه يصيبهم أكثر مما يصيب غيرهم وقبل أن يصيب غيرهم. لكي يجذب فالويل هؤلاء، فإنه يداعب حواسهم ومخاوفهم بأربعة أنغام تخاطب الغرائز: **الأسرة** التي هي السياج المضمون لشعورهم بالأمن، **والوطنية** التي تعني «طريقة الحياة الأميركية» التي جعلت منهم طبقة وسطى، **وحرية المشروع الخاص** التي تخاطب طمعهم وطموحهم، **والعرقية** التي تداعب خوفهم من أن تنازعهم منزلتهم تلك العرقيات الأخرى التي تحفل بها أميركا، والتي ما زالت مفتوحة الأبواب أمامها بالهجرة.

يتناول فالويل الأسرة عن طريق الجنس، فيكسب الطبقة الوسطى المحافظة بهجوم لا يهدأ على ما يسمى «الثورة الجنسية» التي وفدت إلى أميركا في الستينيات. ويربط بين هذه «الثورة الجنسية» وبين المدارس الفكرية غير المحافظة. ويرفع شعار «إذا كانت ليبرالياً لا تأتي إلينا، فحتى الكلمة ـ كلمة الليبرالية ـ لا نحبها».

و«الليبرالية» في الحياة السياسية الأميركية تعني الحقوق المدنية ونبذ العنصرية، والخدمات العامة والتأمينات الاجتماعية والرعاية الصحية والتعليم العام؛ أي أنها تعني كل ما أصبح من المسلمات التي لا يستطيع حتى المحافظون في الرأسماليات الأوروبية مهاجمتها مباشرة أو صراحة، **كما أنها تعني نزع السلاح وحظر الأسلحة النووية أو تزايدها**. والوفاق

بين العملاقين الدوليين حفاظاً على السلام في العالم. لكن فالويل يستخدم الجنس و«الثورة الجنسية» التي يستخدمها الكثيرون كطريق لتعبير تلك الطبقة الوسطى ورفضها لكل تكامل اجتماعي، ويحافظ لها على القدرة على الادعاء بأنها ما زالت «أخلاقية» و«مسيحية» بل «أكثر أخلاقية ومسيحية» من غيرها، فهذه الليبرالية هي التي أباحت في الجنس ما لا تجوز إباحته.

وقد لعب فالويل دوراً رئيسياً في معركة انتخابات الرئاسة الأميركية الأخيرة، شارك بنفوذ كبير في صياغة البرنامج الانتخابي الذي خاض به ريغان والحزب الجمهوري هذه المعركة. وقامت ١٠٢ ألف كنيسة تابعة له في جميع أنحاء الولايات المتحدة بتسجيل الناخبين لصالح الحزب الجمهوري ورونالد ريغان وجورج بوش. وكان نشاط فالويل ونفوذه والشبكة التنظيمية المتجسدة في كنائسه فعالين بالذات في تسجيل الناخبين البيض في ولايات الجنوب الأميركي الثلاث عشرة والتي تحمل ١٥٥ صوتاً من أصوات المجمع الانتخابي البالغة ٥٣٧. ولهذا الدور في هذا الجنوب مغزاه الخاص. فهذه الولايات الجنوبية كانت تاريخياً هي موطن الزراعة والاسترقاق، وهي التي أعلنت الانفصال عن الولايات المتحدة عندما ألغى ابراهام لينكولن الرقيق في ستينيات القرن الماضي. وهو الانفصال الذي فجر الحرب الأهلية الأميركية، وهي الولايات التي لجأت بعد هزيمتها في الحرب الأهلية إلى محاولة إبادة العبيد المحررين بالتجويع، إذ رفض أصحاب المزارع البيض تشغيل عبيدهم السابقين كعمال مأجورين. وهي الولايات التي واصلت تطبيق الفصل العرقي إلى سبعينات هذا القرن، وهي الولايات التي كانت حتى هذا التاريخ القريب لا تسمح بأن يضم البيض مع السود حتى تنظيم نقابي واحد. وهي ذاتها الولايات التي ما زالت الأغلبية البيضاء فيها ترفض مجاورة الأسود في مطعم أو حافلة عامة، والتي ما زالت حكوماتها ـ كلما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ـ تقنن الفصل العرقي تحت أسماء أخرى، وهي الولايات التي ـ في المعركة الانتخابية الأخيرة ـ منح السود فيها جيسي جاكسون أصلب ما حصل عليه من تأييد ومساندة.

ولذلك فهي الولايات التي يعني حماس البيض فيها إلى المشاركة في الانتخابات رداً على ترشيح جاكسون وما لاح وراء هذا الترشيح من «شبح السلطة السوداء».

ولذلك فنشاط فالويل لتسجيل الناخبين البيض في هذه الولايات لصالح ريغان وبوش والحزب الديمقراطي يقول الكثير عن هذا الرباعي.

وإذا كان جيري فالويل و«الأغلبية الأخلاقية» مستجدين على الحياة السياسية الأميركية فليسا كذلك في «الأصولية المسيحية». فهذه «الأصولية المسيحية» الحديثة تعود إلى ظاهرة التمرد على الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا في القرن السادس عشر، ومنها تولدت «البروتستانتية» أو المسيحية المعارضة، ومن البروتستانتية ولدت انشقاقات سمت نفسها بـ«إصلاحية» اعتراضاً على ما أخذت البروتستانتية تكتسبه أو تستعيده من ملامح الكاثوليكية وأفكارها وطقوسها في نهايات القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر، **وكان أبرز هؤلاء الإصلاحيين، هم المنشقون على الكنيسة الكالفنية. والذين وجد بعضهم ملجأ من الاضطهاد الديني في هولندا. ووجد أكثرهم ملجأهم في «المستعمرة» الشاسعة الجديدة: أميركا الشمالية.**

وكان أهم ما يميز هؤلاء المنشقين هو أنهم اعتبروا المسيحية «يهودية تصحيحية» ورأوا في السيد المسيح يهودياً أراد أن يعيد اليهود إلى الصراط المستقيم الذي انحرفوا عنه، وأن مآل الديانتين هو العودة إلى «العهد القديم» مقروءاً ومفهوماً بحرفية دون اجتهاد أو تفسير.

وكان حلم من هاجر إلى أميركا من هؤلاء الإصلاحيين هو بناء «مجتمع التوراة» في هذه الأرض البكر. وهم الذين استخرجوا من «العهد القديم» نبوءة «الهرمجدون» المعركة الفاصلة بين الخير والشر، التي يعود بعدها وبعد انتصار الخير فيها، «المخلص» إلى الأرض، ليقود البشرية إلى «حياة فاضلة» يتوحد فيها المسيحيون واليهود على أساس «العهد القديم» وتعاليمه وتستمر هذه الحياة الفاضلة ألف عام يأتي بعدها يوم الحساب.

وعند هؤلاء «المسيحيين الأصوليين» أو «المسيحيين الحقيقيين» «المسيحيين المنبعثين» أن «الحياة الفاضلة» و«الجنة» من بعدها، لن يكون فيها متسع إلا لهم، ومن هنا عداؤها وازدراؤها للديانات الأخرى.

وهذه هي النبوءات التي أحياها جيري فالويل وأقام عليها التحالف الأميركي الراهن بين اليمين الديني واليمين السياسي، الذي سمى نفسه «الأغلبية الأخلاقية».

لكن فالويل، لم يكن بأي حال هو أول من أحيا هذه «الأصولية المسيحية» في أميركا، وحاول تحويلها إلى حركة فكرية وسياسية. ولعل أول من سبقه إلى ذلك هو الأب انغرام الذي نشر في ١٨٥٦ كتاباً بعنوان «**إسرائيل الأسيرة**»، وفي فاتحة هذا الكتاب يدعو «المشتتين في الأرض أن يتحدوا ويتبعوا ضوء الصليب» كما تبع «أباؤكم عمود النار»، وهي ـ كما هو واضح دعوة إلى اليهود إلى الانضواء تحت راية «المسيحية الأصولية».

ولذلك فإن دعوة انغرام، ومن بعدها دعوة فالويل تضمنتا نوعاً من الاستيعاب المتناقض لليهودية، فهي من ناحية هي

المسيحية الأصلية أو أن المسيحية هي «اليهودية التصحيحية» وهي من ناحية أخرى تدعو اليهود إلى الانضواء تحت راية **الصليب الذي كانت المسيحية الكاثوليكية، حتى أعوام قليلة مضت، تعتبره تهمة اليهود الأولى وخطيئتهم الكبرى.**

ولذلك أيضاً، اعتبر اليهود دعوة انغرام إياهم إلى «العودة إلى أرض كنعان» تحت راية الصليب «معادية للسامية» أي «معادية لليهودية». وكذلك اعتبروا دعوة فالويل في بدايتها.

وبقدر ما كان انغرام رجل دين، يتوجه إلى المصلين المؤمنين، فإن فالويل رجل سياسة يتوجه إلى الناخبين، لذلك لم يلبث أن تخلى عن ما تضمنته دعوته إدانة لليهود ودعوة لهم إلى الانضواء تحت راية الصليب، وسعى إلى إقامة حلف معهم ضد الإلحاد واللاأخلاقية والشيوعية من أجل خير إسرائيل.

وهي الدعوة التي تناسب أصحاب المصالح الكبرى في أميركا الذين لم يقصروا في رعاية فالويل وحركته منذ نشأتها، ودعمها بالمال والنفوذ والقانون.

و«مسيحية فالويل الأصولية» عنصرية تبرر عنصريتها بقصة سام وحام، فسلالة سام هم الأخيار الطيبون، أما سلالة حام فهم الأشرار المنبوذون الذين عاقب الرب جدهم الأكبر بسواد البشرة. لذلك فهم العرق الأدنى، وينطبق هذا على الملونين في أميركا وفي بقية العالم.

فهي مسيحية معادية لما يسمى «العالم الثالث»، والمسيحي الحقيقي، بالضرورة وبحكم السلالة أيضاً. وهذا إحياء حديث للفكر «المسيحي» الذي ساد أميركا البيضاء في عصر الرقيق، عندما كانت الكنيسة تحرم «تعميد» الأسود وتحرم «هدايته» إلى المسيحية، لأن روحه «الحامية» السوداء غير قابلة لـ«الخلاص».

لكن فالويل لا يقصر في تكييف «مسيحيته» العنصرية مع روح العصر، فالأسود يمكن أن يكون مسيحياً وإنما يكون كذلك في كنيسته السوداء و«الزنجي الحقيقي هو من يرى أن رخاءه وفرصته أفضل بين أبناء جلدته» **لذلك فالأفضل للعرقين أن يعيشا «متساوين إنما منفصلين».**

ولعله لذلك فإن أكبر ممولي فالويل هم من يعرفون بـ«مجموعة الصناعات التعدينية والمعدنية» التي تستثمر بكثافة في جنوب أفريقيا، والتي تعارض أي موقف أميركي يفرض تصفية هذه الاستثمارات، أو يفرض مقاطعة تجارية على الدولة العنصرية طبقاً لقرارات الأمم المتحدة، وهي سياسية رونالد ريغان.

ولعله لذلك أيضاً فإن دعوة فالويل إلى نظام للتعليم في الولايات المتحدة يلغي التعليم العام يوضع المدارس بأيدي «مسيحيين حقيقيين»، وجدت أذناً صاغية في عهد ريغان. فانخفض دعم الحكومة الفيدرالية للتعليم العام، وحاول ريغان تقديم إعفاءات ضريبية للعائلات التي ترسل أبناءها إلى المدارس الخاصة. **وهي مسألة يمكن إدراك بعدها العنصري إذا عرفنا أن الوسيلة التي سنها القانون الأميركي لإنهاء التفرقة العنصرية في التعليم، هي حرمان المؤسسات التعليمية التي تمارس تلك التفرقة من دعم الحكومة الفيدرالية.** وليس في أميركا من قانون يحرم هذه التفرقة سوى هذا القانون، أي أن مدارس التعليم الخاص تستطيع أن تمارس هذه التفرقة بحرية كاملة إذا استطاعت أن تستغني عن دعم الحكومة الفيدرالية، ويبقى مفتوحاً أمامها باب دعم العديد من الولايات والحكومات المحلية التي لم تسن قانوناً مثيلاً للقانون الفيدرالي في هذا الشأن، كما يبقى مفتوحاً أمامها باب دعم الكنائس، وباب الإعفاءات الضريبية التي تشجع الآباء على دفع الرسوم المدرسية الكبيرة للمؤسسات التعليمية الخاصة، ما داموا سوف يستردون قسماً غير قليل من هذه الرسوم عن طريق الإعفاءات الضريبية.

كذلك فإن «مسيحية فالويل الأصولية» التي بدأت بهذه الإدانة الضمنية لليهود، دارت دورة كاملة لتخليص العالم وعودة «المخلص» عندما رسمت طريق «المعركة الحاسمة بين الخير والشر» بادئاً من إسرائيل في حرب مع السوفيات، تنتهي بانتصار «المسيحية» على أعداء المسيح.

وهي مسيحية معادية للإسلام، كما هي معادية لغيره من الديانات غير السماوية، إذ يلفت النظر إلى أنها لا تستخدم في لغتها الدينية التفرقة بين «المؤمنين» و«الكفار»، إنما تستخدم التفرقة بين «المسيحيين» و«أعداء المسيح» الذين هم كل من هو غير مسيحي.

وإذا كان الذين «يدرسون» الأصولية الإسلامية في الغرب يصنفونها بأنها محاولة للعودة إلى القرن السابع الميلادي، فإنهم يتجاهلون أن «الأصولية المسيحية» تعود بالعقل البشري إلى ما قبل الميلاد.

وهي على أي حال ظاهرة تستحق أن ندرسها.

(مصطفى الحسيني، «السفير»، ١٩/ ١١/ ١٩٨٤)

شهادة حاخام:
يداً بيد مع الأصوليين المسيحيين

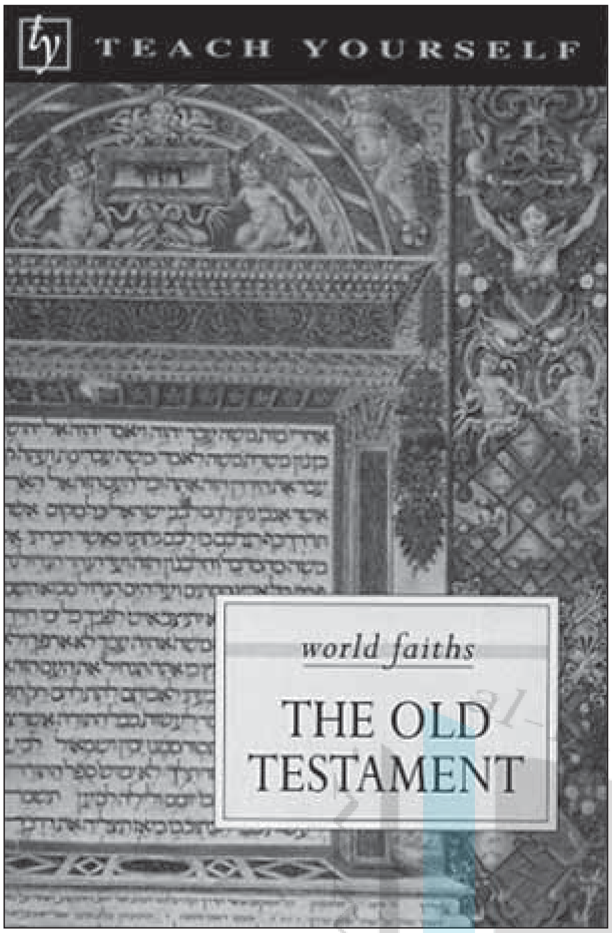
إن كان هناك من ملف يستحق اهتماماً خاصاً من المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة الأميركية فهو حكماً دعم المسيحيين الإنجيليين لإسرائيل وللشعب اليهودي. على الرغم من ذلك، إن كانت هناك من نقطة غائبة بشكل لافت عن جدول أعمال المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة، فهي بالتأكيد ذلك الدعم. أنا يهودي، ومنذ خمس وعشرين سنة أنشط من أجل العلاقات الطيبة بين اليهود والمسيحيين الإنجيليين. من موقعي هذا، أشهد على الحرص الذي يبذله المجتمع اليهودي لكي يتجاهل هذه القضية. فتأتي النتيجة، على الرغم من الالتزام الناشط الذي أبداه اليمين المسيحي خلال العقدين المنصرمين، لتعلن رفضاً منهجياً من قبل العديد من اليهود لتلك الصداقة الثمينة. ينتج هذا الرفض عن السخرية، والجهل، والخوف، والصور المنمطة والأحكام المسبقة التبسيطية تجاه المسيحيين الإنجيليين ودوافعهم. هناك خشية من أن يكون هؤلاء الذين يسمون أنفسهم أصدقاء إسرائيل لا يسعون إلى أكثر من «التبشير» في الولايات المتحدة الأميركية، الترويج لسياسة اليمين المتطرف واستعجال «الميلاد الثاني» للسيد المسيح من خلال أسرع تصدير ممكن ليهود أميركا باتجاه إسرائيل.

بصفتي حاخاماً أورثوذكسياً، لن يكون لدي أي مصلحة في الدفاع عن جماعة تسعى لتبشيري بديانتها. بصفتي اليهودي الأول، أو الوحيد كما في معظم الأحيان، الذي يبادر الى بناء صلات وصل مع مجتمع مسيحيي اليمين، أنا أتمتع بموقف مناسب لتفهم التزامهم صالح إسرائيل. **من المؤكد أن معظم الإنجيليين إن تمتعوا بشغف لصالح إسرائيل، فهم في ذلك يمارسون حب الشعب اليهودي ودعمه، كما تملي عليهم ديانتهم. فتبعاً لفهمهم للكتابات المقدسة، يأتي تعريف اليهود الفعلي كشعب اللــه المختار.** خلال السنوات العشرين الأخيرة، تبرعت الجماعة الإنجيلية بأكثر من ستين مليون دولار لصالح «الصداقة العالمية للمسيحيين واليهود»، وهي المؤسسة التي أسستها أنا لدعم إسرائيل واليهود الأكثر عذاباً في الأرض. سمحت تلك المبالغ بتأمين مطاعم شعبية للفقراء في القدس، وسيارات مصفحة لتلاميذ المدارس الإسرائيليين، ووجبات غذائية لمجتمع اليهود المسنين الآتين من دول الاتحاد السوفياتي السابق، كما سمحت بدفع بدل دورات مهنية للمهاجرين اليهود الوافدين من أثيوبيا. أمنت تلك الأموال أيضاً إعانة يهود الأرجنتين وأثيوبيا وانتقالهم إلى إسرائيل، ومؤخراً، سمحت باستقرار أربعمئة يهودي أميركي في إسرائيل، ما يعتبر الدفق الأكبر على مستوى الهجرة اليهودية من أميركا باتجاه أرض الميعاد منذ مدة لا يستهان بها من الوقت.

بحسب سالاي ميريدور، رئيس الوكالة اليهودية من أجل إسرائيل، سمح دعم المسيحيين الإنجيليين لأكثر من مئتي ألف يهودي بإكمال مراسم الهجرة نحو إسرائيل. في إسرائيل، حيث هاجرت أنا شخصياً، يُرحَّب بتلك المساعدات من دون تردد، بينما هي تستثير توجس المجتمع اليهودي في أميركا وانتقاداته. وفي حين حافظت الكنائس المسيحية الأخرى على صمت فضائحي حيال الضربات الإرهابية التي أصابت إسرائيل في الصميم خلال السنتين الأخيرتين، استثمر المجتمع الإنجيلي مبالغ ضخمة في النضال ضد الإرهاب، أدان من دون تردد تلك العمليات ونزل، بكل ما للكلمة من معنى، إلى الشوارع (في دول) العالم لدعم إسرائيل. في البلدان حيث النزول إلى الشارع يمكن أن يكلف ممارسه حياته، كانت مؤثرة رؤية هؤلاء المسيحيين يستعرضون دعماً لإسرائيل. حتى أصدقائي من اليهود الأميركيين الأكثر عدائية للإنجيليين، أعادوا النظر في مواقفهم نتيجة تلك المشاهد. من موقعي البعيد جداً عن عداء الديمقراطية، كما يتهمني البعض، عرف المسيحيون الإنجيليون عرض قضيتهم ووضعها في المقدمة بكل أحقية. **ضخم هو حضورهم على الساحة السياسية وضخمة هي قدراتهم. وهم أصدقاؤنا المخلصون. حان الوقت لكي يتخلى مجتمع اليهود الأميركيين عن تحفظه في بناء تقارب مرجو معهم.**

(الحاخام يشيل اكشتاين، «كوريبه انترناسيونال»، أيلول ٢٠٠٣، ترجمة سحر مندور، «السفير»، ١٤/١/٢٠٠٤)

نشأة الصهيونية غير اليهودية: إيجاد أسطورة



طبعة قديمة للعهد القديم تحت عنوان «علّم نفسك بنفسك»

ظهرت الصهيونية على مسرح أوروبا السياسي لأول مرة كأيديولوجية سياسية شاملة وحركة سياسية منظمة في أواخر القرن التاسع عشر، ولكنها «كفكرة» سبقت الصهيونية اليهودية إذ يعود تاريخها إلى ما قبل ذلك. **لم تنشأ الفكرة الصهيونية، بما في ذلك أسطورتها الأساسية، في هذه الفترة ولكنها تعود في تاريخها إلى ثلاثمئة عام قبل المؤتمر الصهيوني الأول** الذي عقد في بازل عام ١٨٩٧ حين التفت مجموعة من اليهود الأوروبيين حول اللواء الصهيوني. وقد اتخذ النسيج الصهيوني شكله خلال القرون الأربعة لتاريخ أوروبا الديني والاجتماعي والفكري والسياسي نتيجة تداخل خيوط كثيرة مختلفة من الثقافة الغربية، وفي طليعتها الخيوط الدينية. وعلى ذلك فالتعاليم الصهيونية غير اليهودية قائمة على مجموعة من الأساطير الصهيونية التي تسربت للتاريخ الغربي وكان أكثرها وضوحاً ما تم عبر **حركة الإصلاح الديني البروتستانتي** في القرن السادس عشر.

والأساطير الصهيونية التي بدأ غرسها في هذه المرحلة المبكرة في البيئة غير اليهودية كانت متوافقة مع تلك التي أصبحت تشكل في النهاية المنطق الروحي الباطني للصهيونية اليهودية السياسية، وهي أساطير الشعب المختار والميثاق وعودة المسيح المنتظر. وقد جعلت أسطورة الشعب المختار اليهود أمة مفضلة على الآخرين، بينما كانت أسطورة الميثاق تركز على الارتباط السرمدي الدائم بين الشعب المختار والأرض المقدسة كما وعد الله، وبذلك منحت فلسطين لليهود كأرض كتبت لهم. أما أسطورة ترقب عودة المسيح فقد كفلت للشعب المختار أن يضع حداً لتشرده في الوقت المناسب ليعود لفلسطين لإقامة وطنه القومي هناك إلى الابد.

ونحن نستعمل مصطلح «أسطورة» بمعناها الاجتماعي الذي أوجزه تالكوت بارسونز وهو يعني أنماط الاعتقاد المقدسة التي يقبلها المجتمع بشكل عام، لأن فيها عناصر محسوسة وذات ارتباط بالدين والتاريخ أو السياسة. والأساطير بذلك تمتزج بأنماط اعتقاد أيديولوجية معقدة يتقبلها أفراد المجتمع في العادة بشكل لاشعوري. وميزة الأساطير الصهيونية تكمن في الدمج الوثيق بين العناصر القومية والتاريخية والدينية التي تشير إلى العلاقة بين العهد القديم والأرض المقدسة والشعب المختار.

لقد بدأت الصهيونية غير اليهودية تتخذ شكلاً متميزاً في أوائل القرن السادس عشر حين تضافرت حركة النهضة الأوروبية وحركة الإصلاح الديني على إرساء أساس التاريخ الأوروبي الحديث. وقد أثار الاهتمام بالأدب التوراتي وتفسيره اهتماماً عاماً باليهود وعودتهم إلى فلسطين. وعلى ذلك لم يعد تحرير اليهود ـ إعطاء حقوق المواطنين ـ هو لب المسألة اليهودية في القرن السادس عشر، بل الدور الذي كتب على اليهود أن يقوموا به بشأن القضايا الجديدة كتحقيق نبوءات التوراة واليوم الآخر وعودة المسيح المنتظر. ربما كان هناك حب للسامية قبل القرن السادس عشر ولكن ليس هناك ما يثبت ذلك.

وعلى هذا فإن حركة الإصلاح الديني البروتستانتي، بإتاحتها الفرصة للنهضة اليهودية القومية وعودتهم الجماعية إلى فلسطين، هي التي ابتدأت سجلاً جديداً للصهيونية غير اليهودية كعنصر مهم في اللاهوت البروتستانتي والإيمان والآخرويات (كالموت والخلود ونهاية العالم واليوم الآخر).

إصلاح تفسير التوراة:
فلسطين المسيحية في القرون الوسطى

لم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي قبل عهد الإصلاح الديني أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية. وكان القساوسة الأوائل يرفضون التفسير الحرفي للتوراة، ويفضلون الأساليب الأخرى للتفسيرات اللاهوتية، وبخاصة التفسيرات المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسير التوراتي كما وضعته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. **وكان يعتقد أن الفقرات الواردة في التوراة، وبخاصة في العهد القديم، التي تشير إلى عودة اليهود إلى وطنهم لا تنطبق على اليهود، بل على الكنيسة المسيحية مجازاً. أما اليهود فإنهم، طبقاً للعقيدة الكاثوليكية الرسمية، اقترفوا إثماً فطردهم اللــه من فلسطين إلى منفاهم في بابل. وعندما أنكروا أن عيسى هو المسيح المنتظر نفاهم اللــه ثانية وبذلك انتهى وجود ما يسمى «الأمة اليهودية» إلى الأبد، ولذلك فليس لليهود مستقبل قومي جماعي، ولكنهم كأفراد، يستطيعون أن يجدوا الخلاص الروحي بارتدادهم للمسيحية.**

والنبوءات المتعلقة بعودة اليهود كانت تؤول على أنها عودة الإسرائيليين من المنفى في بابل. وقد تحقق ذلك في القرن السادس قبل الميلاد حين أعادهم (قورش) إلى فلسطين. أما الفقرات الأخرى التي تتنبأ بمستقبل مشرق لإسرائيل، فإنها كانت تحمل على أنها تنطبق على «إسرائيل الجديدة»؛ أي الكنيسة المسيحية التي كانت تعتبر إسرائيل «الحقيقية» والوريث المباشر للديانة العبرية.

كانت هذه هي فكرة *De Civitate Dei* الذي كتبه القديس أوغسطين، والذي يعتبر التحفة الأدبية للاهوت الكاثوليكي. ويعتبر الاب أوغسطين، الذي كتبه في القرن الخامس، واضع العقيدة التي كانت الكنيسة بموجبها تجسد مملكة اللــه الألفية السعيدة. **وبقي الأمر المسلم به أن هذه العقيدة هي الرأي المسيحي التقليدي في اليهود حتى القرن السادس عشر. ونتيجة لذلك كانت فترة العصور الوسطى تميل إلى الفصل بين اليهود المعاصرين والعبرانيين القدامى.**

وكانت فلسطين تعتبر أساساً الوطن المقدس الذي أورثه المسيح لأتباعه المسيحيين، ولم تكن القدس توصف بأنها صهيون اليهودية، بل مدينة العهد الجديد المقدسة. ولم تتضاءل أهمية هذه المدينة كمدينة مقدسة إلا في ما بعد عام ٥٩٠م، حين أصبح عرش البابا غريغوري العظيم هو مركز السلطة المسيحية وأصبحت لروما الحظوة على القدس. وأصبح أسقف القدس يحتل المرتبة الخامسة في السلسلة الهرمية لهيئة الكهنوت الكاثوليكية، مع أنه كان يعد الوريث الاكليركي الشرعي للقديس جيمس شقيق عيسى. ومع ذلك بقيت فلسطين، الارض المقدسة، تتغلغل في حياة وخيال مسيحيي العصور الوسطى. وكانت الرحلة للأرض المقدسة مطمح كل مسيحيٍ مع ما يرافق ذلك من إغراء بالمغامرة والكسب الاقتصادي أحياناً. وكان الحجاج إلى فلسطين يعودون وفي جعبتهم قصص عن مشاهد رائعة، ويثيرون الرغبة لدى الآخرين لزيارتها. ولولا حملات الحج الجماعية هذه لكان من المحتمل أن يخبو الاهتمام بالأرض المقدسة تماماً.

لم تعد فلسطين والقدس محور اهتمام الحكومة المسيحية في العصور الوسطى إلا في القرن الحادي عشر عندما احتلها الاتراك المسلمون. عندئذ تضامنت البابوية والنبلاء في الحملات الصليبية لاستعادة الأرض المقدسة من الكفرة سواء أكانوا يهوداً أم مسلمين.

والعداء الشائع لليهود في أوروبا، كما تشير المؤرخة الصهيونية بربارة تخمان، كان أشد ما يكون عمقاً إبان الحملات الصليبية مع أنه لم يكن واضحاً قبل ذلك. ويشير مؤرخون آخرون إلى أن المحاربين الصليبيين المسيحيين هم أول من بدأ المذابح اليهودية وهم في طريقهم إلى فلسطين. وشهد عهد الحروب الصليبية كذلك بداية نظام الاقليات وبالتالي عزلة اليهود عن المسيحيين.

لم تكن أوروبا قبل عهد الإصلاح الديني تعتبر اليهود الشعب المختار الذي قدر له أن يعود للأرض المقدسة، وإذا كان اليهودي مختاراً لأمر ما فإنه اللعنة. وكان اليهود يعتبرون مارقين، **ويوصمون بأنهم قتلة المسيح**. ولم تكن هناك ذرة من حب عاطفي للمجد القديم للجنس العبري، كما لم تكن هناك بارقة أمل في إعادة بعث اليهود روحياً أو قومياً. ولم تكن هناك أدنى فكرة عن تملك اليهود لفلسطين. **كانت الصهيونية غير اليهودية غائبة تماماً عن أوروبا في العصور الوسطى**، وكانت إسرائيل تعني مجرد اسم لديانة، بل وديانة دنيا، ولم يكن هناك أية فكرة من الممكن أن تكون «لإسرائيل» صفات قومية.

الإصلاح الديني وروح الشعب العبري

كانت المبادئ البروتستانتية التي وضعتها حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر مغايرة تماماً للمبادئ الكاثوليكية السابقة. وتوصف هذه الحركة بأنها بعث «عبري» أو «يهودي» تولدت عنه وجهة نظر جديدة عن الماضي والحاضر اليهودي وعن مستقبله بشكل خاص. كان اهتمام حركة الإصلاح البروتستانتي منصباً على العالم القادم، وكان ينظر إلى الحياة بمنظار الأبدية، كما ساد الاعتقاد بالمسيح المنتظر والعهد الألفي السعيد اللذين هما من مقومات المبادئ اليهودية.

ومع أن المسيحية كانت نتاجاً لليهودية إلى حد بعيد، وكانت تشتمل على بعض العناصر اليهودية القومية إلا أن التغييرات اللاهوتية التي جاءت بها حركة الإصلاح هي التي روجت لفكرة أن اليهود أمة مفضلة، وأكدت على عودتهم إلى أرض فلسطين. وكان هناك من قبل ذلك فصل واضح بين شعب العهد القديم العبري،

الذي كان يعتبر مثالياً، واليهود المعاصرين الذين ينظر إليهم بازدراء، ولكن العبرانيين التوراتيين أصبحوا يقرنون بأبناء دينهم الحديثين في هذه الفترة. وساد الاعتقاد بين البروتستانتيين أن اليهود المشتتين حالياً سيجمعون من جديد في فلسطين للإعداد لعودة المسيح المنتظر.

وقد ساهم المناخ الديني الجديد في القرن السادس عشر، بالإضافة لسلسلة من الهزات السياسية، في ظهور مثل هذه الأفكار الصهيونية التي ترعرعت في بيئة مشبعة بروح العهد القديم ومحكومة بتشريع معين. **وتطور الاهتمام بالتوراة باعتبارها كلمة اللــه تحت شعار «العودة إلى الكتاب المقدس». وأصبح العهد القديم هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد. وحلت كلمة اللــه المعصومة كما جاءت في الكتاب المقدس، والتي ترجمت إلى لغة الناس العادية محل الكنيسة المعصومة التي يمثلها البابا في روما «ودعي المؤمنون للعودة إلى الكتاب المقدس نفسه باعتباره مصدر المسيحية النقية الثابتة، وإلى فهم النصوص بمعناها الواضح البسيط.**

وجاءت البروتستانتية بفكرة إقامة الحقيقة الدينية على أساس **الفهم الشخصي** دون فرض قيود على التفسيرات التوراتية، فكان كل بروتستانتي حراً في دراسة الكتاب المقدس واستنتاج معنى النصوص التوراتية بشكل فردي، وهكذا فتح الباب للبدع في اللاهوت المسيحي، وأصبح التأويل الحرفي البسيط هو الأسلوب الجديد في التفسير بعد أن هجر المصلحون البروتستانتيون الأساليب التقليدية الرمزية والمجازية.

ومما قوى وعزز النزعة «اليهودية» لحركة النهضة البروتستانتية إعادة اكتشاف العهد القديم الذي كان عنصراً أساسياً في هذه الحركة، لأنه «إذا كان من المشكوك فيه أن تقوم البروتستانتية دون معرفة العهد القديم. فمن المؤكد أنه لولاه لما اتخذت الكنيسة البروتستانتية الشكل الذي اتخذته». ولا يشكل ما يسمى بالعهد القديم الجزء الأكبر من الإنجيل فحسب، ولكنه يعرف بأنه التوراة اليهودية أو العبرية. وعلى هذا فهو سجل تاريخ الدولة اليهودية القديمة الوحيد المكون من مجموعة من الأساطير والخرافات والقصص التاريخية والأشعار والعبارات النبوية، وتلك الخاصة بسفر الرؤيا. **وبسبب هذا الإرث المشترك أشار بن غوريون للكتاب المقدس المسيحي بقوله إنه «صك اليهود» المقدس لملكية فلسطين... الذي يرجع تاريخه إلى ٣٥٠٠ عام.**

وعندما ترجم الكتاب المقدس للغات القومية أصبح ما ورد في العهد القديم من تاريخ ومعتقدات وقوانين العبرانيين وأرض فلسطين ـ التي حكموها لاقل من ألف عام ـ أموراً مألوفة في الفكر الغربي، وغدت قصص وشخصيات العهد القديم مألوفة كالخبز، وأضحى كثير من البروتستانت يرددونها عن ظهر قلب. وأصبح المسيح نفسه معروفاً، ولم يعد يعتقد بأنه ابن مريم بل واحد من سلسلة طويلة من الانبياء العبرانيين. وحل أبطال العهد القديم كإبراهيم وإسحق ويعقوب محل القديسين الكاثوليك.

وأصبحت فكرة أن الحج للقدس يكفر الخطايا مرفوضة، كما أنكرت شفاعة القديسين وتبجيل رفاتهم. لكن ذلك لم ينس الناس الأرض المقدسة تماماً، بل إنها حظيت بأهمية جديدة حيث ارتبطت بدلالات صهيونية. وكانت فلسطين باعتبارها أرض الشعب المختار، ماثلة في الخيال البروتستانتي والطقوس البروتستانتية، وأصبح الربط بين الارض وأهل الكتاب يرد في الطقوس والشعائر البروتستانتية، بل وفي الأسماء التي كان البروتستانت يطلقونها على أبنائهم. وهك**ذا أصبحت فلسطين أرضاً يهودية في الفكر المسيحي في أوروبا البروتستانتية وأصبح اليهود هم الفلسطينيين الغرباء في أوروبا والذين سيعادون إلى فلسطين عندما يحين الوقت المناسب.**

وعندما أصبح ذلك جزءاً من طقوس العبادات والصلوات في الكنيسة، اتخذت التعاليم الصهيونية غير اليهودية شكلاً ثابتاً، وحظيت بمكانة راسخة في ضمير أوروبا القومي.

لم يعد العهد القديم أكثر الاثار الادبية شيوعاً بين عامة البروتستانت فحسب، بل إنه أصبح مصدر المعلومات التاريخية العامة، وكانت هذه هي الفترة التي بدأت فيها عملية التزوير التاريخي. **وقد وجد التزوير الصهيوني الحالي للتاريخ الذي يدعى «حقاً تاريخياً» في فلسطين مادته المسيحية في التمسك بحرفية الكتاب.** وأخذ التاريخ الشامل لفلسطين يقلص بشكل تدريجي إلى أن اقتصر على القصص المتعلقة بالوجود اليهودي وحده، وأصبح الاوروبيون مهيئين للاعتقاد بأنه لم يكن هناك في فلسطين إلا الأساطير والقصص التاريخية والخرافات الواردة في العهد القديم، والتي لم تعد تؤخذ على حقيقتها، بل اعتبرت تاريخاً صحيحاً.

ولما كان التعليم الذي يتلقاه معظم الناس يتكون أساساً من قراءة الأدب التوراتي، فقد أخذت الأجيال اللاحقة تعتبر فلسطين الوطن اليهودي فلا هجرة سوى هجرة إبراهيم ولا وجود لمملكة غير مملكة داود التي سبقتها وتلتها ممالك كثيرة، ولم يعد الناس يذكرون من الثورات إلا ثورة المكابيين. وكان يبدو وكأن لا وجود للشعوب الكثيرة التي استوطنت وعاشت في فلسطين، مع أن معظمها عاش فترات أطول من اليهود. **لقد كان هذا التلاعب بالتاريخ بدعة من بدع فترة الإصلاح الديني، إذ لم يكن استيلاء اليهود على فلسطين لألف عام أمراً يدور في أذهان حجاج القرون الوسطى.**

العبرية والثقافة الغربية

إن الوزن الكبير الذي أعطته حركة الإصلاح الديني للغة العبرية باعتبارها اللسان المقدس Leshon Ha Hodesh واللغة التي أوحى اللــه بها لشعبه، يعد ذا أهمية كبرى في تطور الصهيونية المسيحية في عهد ما بعد الإصلاح الديني.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية حتى ذلك الوقت قد أبقت اللغة

اللاتينية حية، إذ كانت ترجمة جيروم اللاتينية للكتاب المقدس والتي يعود تاريخها للقرن الثالث مقدسة. وكانت الأساطير الكاثوليكية التقليدية ترى أن دراسة العبرية، أو حتى اليونانية، تسلية الهراطقة. وكان تعلم العبرية في نظر الكثيرين «بدعة يهودية». وقد اتخذت خطوات عنيفة لاجتثاث دراسة العبرية في عهد الفلسفة النظرية السائدة في القرون الوسطى. وكان من يتقن ثلاث لغات يتحدث اللاتينية والفرنسية والإنكليزية، لكن الأمر تغير في عصر النهضة. فقد أصبح العالم يتقن اللاتينية واليونانية والعبرية **وسرعان ما أصبحت معرفة العبرية جزءاً من الثقافة الأوروبية العامة، بل إن حركة الإصلاح جعلتها جزءاً من المنهج الدراسي اللاهوتي.**

كان تمسك حركة الإصلاح الديني بحرفية الكتاب المقدس هو الذي أثار اهتمامها باللغة العبرية، فلكي تفهم كلمة اللـه بشكل صحيح، كما أوحى بها في النصوص المقدسة، كانت معرفة اللغة الأصلية أمراً لا مندوحة عنه، وأصبح العلماء والمصلحون مضطرين لمعرفة العهد القديم بلغته الأصلية.

وقبل نهاية القرن السادس عشر أخذت الحروف العبرية تستعمل في الطباعة، ولم تعد معرفة العبرية مقتصرة على كتب العهد القديم، بل انكب المسيحيون العاديون ورجال الدين على دراسة أدب الأحبار وأصبحت العبرية مسألة ثقافة واسعة كما هي مسألة دين، وسرعان ما تحولت معرفة الأدب العبري، أو الإلمام بشيء منه على الأقل، من دراسة ترجمة أشعار العهد القديم غير الصحيحة وغير المترابطة إلى معرفة هذه الكتب بلغتها الأصلية والتبحر في عالم الفكر العبري الذي لم يكن مكتشفاً من قبل.

وكان للقبلانية المكان الأول من بين النصوص العبرية التي كانت تدرس بعناية خلال عصر النهضة والإصلاح الديني. **والقبلانية هي مجموعة من الكتابات الصوفية الدينية التي تتضمن تعليقات من العهد القديم، والتي انبثقت عن الجانب الصوفي لليهودية،** وكان الأدب القبلاني يعد مجموعة من كنوز الحكومة القديمة كما كانت صوفية القبلانية تعتبر تحولاً جذرياً عن النظام اللاهوتي العقيم الذي كان معروفاً في العصور الوسطى. وكان كتاب جوهان روشلن *De Arte Cabalistica* عام (١٥١٧) من أكثر الكتب رواجاً وكان معظم أهل الفكر الأوروبيين، سواء رجال الدين أو العلمانيون، يرجعون إليه في أعمالهم الادبية. وقد خلبت مسيحية الكتاب ألباب كثير من المصلحين البروتستانت، وبخاصة بعض رجال الحركات الصوفية المختلفة، وكانوا يحاولون استعمالها في تعاليمهم عن الشؤون الأخروية.

كان هذا الإعجاب الجديد بالعبرية كلغة يقترن في أذهان كثير من المجموعات والفرق البروتستانتية بإعجاب بالمبادئ والقيم اليهودية، وخير مثال على ذلك إنكلترا البيوريتانية. لقد أدى الإعجاب بالماضي اليهودي إلى احترام اليهودية المعاصرة وكان من نتائج ذلك أن ازداد التسامح في الأراضي الواقعة تحت النفوذ السياسي البروتستانتي كما يتضح من حالة الأراضي المنخفضة التي كانت تحت حكم أسرة ناسو أورانج. لقد كانت أمستردام في القرنين السادس عشر والسابع عشر تعرف بين يهود أوروبا بأنها القدس الجديدة، وقد وضع هوجو غرويتوس، وهو عبراني معروف وفيلسوف ورجل دين ومحام يعد واضع القانون الدولي العام، المصادر المشتركة بين المسيحية واليهودية في بحثه «**حقيقة الدين المسيحي**» *Ueber die Warheit der Christlichen Religion* وعارض بشدة احتقار المسيحية لليهودية واعتبارها ديناً وضيعاً.

تسربت الروح العبرية الجديدة كذلك إلى الفنون والآداب وتركت بصماتها الخالدة على الحضارة الأوروبية، فقد أصبح رمبرانت ومعاصروه من الفنانين يرسمون ويحفرون مناظر من الكتاب المقدس، وبخاصة العهد القديم. وفي مجال الأدب حل نوع جديد من الدراما المبنية على قصص وتفسيرات العهد القديم محل المسرحيات التي كانت تمثل حياة القديسين والتي كانت شائعة في العصور الوسطى، وأصبحت الشخصيات التي ورد ذكرها في العهد القديم كأبسالوم والملكة ايستر ويوحنا وجوزيفوس وغيرهم من الشخصيات التي وردت في الأسفار الأربعة عشر الملحقة بالعهد القديم، تبدو على أنها شخصيات تحتذى في أخلاقها. وانصب التركيز على العهد القديم كمصدر للتعاليم الخلقية أكثر منه مصدراً للعقيدة أو الدين.

لم يتضح بعد كيف أثرت اليهودية والعبرية في عقل أوروبا الحديثة. ومع أن الحقائق متوفرة للجميع إلا أن أحداً لم يحاول جمعها معاً ليظهر كيف تجمعت لتشكل بدايات الحب لليهود في أوروبا، والذي تمخض عما نسميه ظاهرة الصهيونية غير اليهودية.

(من كتاب **الصهيونية غير اليهودية**،
تأليف ريجينا الشريف، سلسلة كتب عالم المعرفة ٩٦،
ترجمة أحمد عبد اللـه عبد العزيز،
الكويت، ديسمبر، ١٩٨٥، ص ٢٤ـ ٣٧).

نشوء النخبة الأوروبية
القرن السادس عشر... قرن حركة الإصلاح والحروب الدينية



لوحة تعبّر عن فظاعات الحروب الدينية في أوروبا في القرن السادس عشر.

بدأ القرن السادس عشر في ظل متغيرات أخذت تعيد هيكلة العلاقات التقليدية، ما أدى إلى زعزعة استقرار القارة وإثارة الاضطرابات الاجتماعية وتحطيم هيبة الكنيسة وتقديس الفرد. لم تظهر تأثيرات الاكتشافات الجغرافية فجأة، فهي كانت تحتاج إلى وقت حتى تأخذ ثمارها السياسية والاقتصادية والثقافية بالنمو في هوامش مجتمعات تعاني من الركود. **وتطلبت العملية التاريخية نحو قرن من الاكتشافات حتى بدأت تظهر علامات الترف في شريحة اجتماعية جديدة استفادت من عالم البحار والسوق الدولية لتراكم ثروة تتكفل بتعديل الرؤى التي حددت الكنيسة آفاقها.**

العالم الجديد الذي بدأ يتشكل في النصف الأول من القرن السادس عشر كان يحتاج إلى كنيسة جديدة ورجل دين حديث وقراءة جديدة للكتاب المقدس (الأناجيل) ومنظومة علاقات معاصرة تتسم بالمرونة والانفتاح والقدرة على استيعاب حاجات ما وراء الأطلسي.

آنذاك التقط دافنشي طبيعة اللحظة التاريخية ومتطلباتها. فاللحظة لا تحتاج إلى موعظة بل إلى آلة تلبي حاجات التطور. وجاءت أعمال دافنشي لتساهم في تطوير علم الآلة انطلاقاً من رؤية تجريبية أدركت بسرعة أن العالم مقبل على عصر الميكانيك. والأمر نفسه توصل إليه كوبرنيكس حين وضع قواعد علمية لحركة الأجرام وأدت نظرياته إلى توليد قناعات ساهمت لاحقاً في تشجيع النخبة الأوروبية على البحث عن معادلات عقلانية

مخالفة. والمخالفة لا يمكن أن تنهض من دون تشكيل تيار من داخل الكنيسة نفسها يعطي شرعية تقليدية ويؤمن الحماية للأفكار الجديدة.

آنذاك عاصر دافنشي بدايات الانشقاق الكنسي الذي قاده مارتن لوثر في العام ١٥١٦ ومطالبته المبكرة بالعودة إلى الإنجيل (الأصول الأولى للمسيحية). إلا أن كوبرنيكس (رجل الدين) عايش جزءاً من التحولات التي أخذت تشهدها الكنيسة بعد نمو قوة حركة الإصلاح الديني وظهور هيئة بروتستانتية أخذت تنافس الكاثوليكية على زعامة المسيحية الأوروبية.

استمرت الكنيسة الكاثوليكية توحد أوروبا حتى نهاية القرن الخامس عشر إلى أن جاءت الحركة البروتستانتية لتحدث ثورة أيديولوجية تخالف تلك القناعات المقدسة التي ارتسمت في ذهن العامة عن رجل الدين ونزاهته. وبدأت حركة لوثر في إطار ظهور مقاومة مدنية ضد رجال الدين ومحاولات الكنيسة جمع المال لبناء كتدرائية روما (كنيسة القديس بطرس). فالحركة جاءت في سياق الرد على بذخ الكنيسة أموال الرعايا على أعمال فنية ومشروعات عمرانية لا مردود لها للفقراء، ولكنها فعلاً كانت استجابة تاريخية لتحولات بنيوية أخذت تخترق علاقات المؤسسة التقليدية. ولوثر (أستاذ في الجامعة) بدأ خطوته الأولى في مقاطعة ساكسون بإصدار بيان تألف من ٩٥ نقطة. والبيان الذي ترجم إلى الألمانية وانتشر بسرعة ليحدث ثورة دينية اكتسحت غرب القارة وشمالها لم يكن بإمكانه أن يلقى الاستقبال نفسه في ظروف مختلفة. **فالحركة الدينية الإصلاحية جاءت في وقتها وهي بمثابة جواب عن تشكل تحولات أخذت تشهدها القارة منذ القرن الخامس عشر.**

اكتساح حركة الإصلاح الكنيسة جاء يلبي رغبات وحاجات ومتطلبات نخبة دينية بدأت تنتبه لوجود متغيرات أخذت تمس هيبة رجل الدين (الإكليروس) وموقعه القيادي. وحركة لوثر الاحتجاجية بدأت بسيطة وعفوية، ولكنها استمدت الزخم من القوى الاجتماعية التي أيدتها ودعمتها بصفتها تشكل الملاذ الآمن لأصحاب الرؤى الجديدة.

لم تتقبل الكنيسة الكاثوليكية التحدي بداية، ورأت في الحركة «مؤامرة»، الأمر الذي فتح الباب لاحقاً لبدء الحروب الدينية. حتى العام ١٥٢٩ لم تكن كلمة بروتستانتية استخدمت بعد، وهي استحدثت لاحقاً للإشارة إلى نمو حركة الانشقاق في داخل الكنيسة أبرزها تلك التي قادها لاحقاً جون **كالفن** في العام ١٥٣٠.

حروب دينية

نمو حركة كالفن (فرنسي/ سويسري) وانتشار الكالفينية بسرعة إلى جانب اللوثرية أطلق موجة إصلاح ثانية لم يكن أيضاً بإمكان الكنيسة الكاثوليكية تحمل عواقبها وتحدياتها.

حاولت الكنيسة بداية الرد على الأسلوب المضاد بالأسلوب المضاد نفسه فدعمت ظهور حركة يسوعية متسامحة، وشجعت على تأسيس مواقع في العام ١٥٤٥ قادرة على تشكيل مقاومة مضادة من البابوية ضد البروتستانتية، إلا أن المحاولة فشلت. ولجأت الكنيسة إلى نهج المصالحة (مجمع ترانت ١٥٤٥) وطالبت حركة المنشقين في العام ١٥٥٠ توقيع معاهدة بين المذهبين تحدد نقاط الاتفاق والاختلاف، وتمنع الانزلاق نحو هاوية المواجهة، إلا أن الدعوة جاءت متأخرة، وأصبحت من مخلفات الماضي.

اندلعت الحروب الدينية، وامتدت زمنياً. وأدت إلى دمار وحرق ونزوح عائلات واختفاء قرى وفرز مجتمعات وتقسيمها مترافقة مع إبادات جماعية. فالحرب كانت شاملة، ولكنها جغرافياً تركزت في موضعين، فرنسا وألمانيا، وانتهت إلى تصفية البروتستانت في جنوب القارة مقابل تصفية الكاثوليك نسبياً في غرب القارة وشمالها.

بين ١٥٥٠ و١٦٤٨ (الحروب الدينية) ستشهد أوروبا تلك التحولات الأهم على صعيد ثورة الميكانيك ما أعطى فرصة للنخبة الأوروبية بتقديم قراءة عقلانية تتجاوز رؤية الكنيسة. فالانقسام الديني شجع على تشكيل هوامش نقدية تلبي رغبة شريحة من المتعلمين أخذت تقرأ العالم من منظار مخالف لموقع الاكليروس. والمخالفة لا تعني بالضرورة أن دور الكنيسة في تلك الفترة انتهى، أو أن نفوذ رجال الدين انكسر، ولم تعد له قدرة على التأثير وإثارة العامة **وجرجرة «النخبة» إلى محاكم التفتيش بتهمة الإلحاد.**

استمر الإكليروس يلعب دوره القوي في التأثير في العامة إلى القرن السابع عشر، فهذا القرن الذي تأسست «فلسفته» على تحولات القرن السادس عشر يشكل بداية اختراق لمنظومات كانت تهيمن على ذهنية الناس منذ مئات السنين. التحول لم يظهر فجأة، وإنما تأسس على تلك المتغيرات التي شهدها القرن السابق، وساهم في وضع قواعدها التاريخية لنمو القارة الجديدة.

كان هناك ما يشبه علاقات تناسب ومصاهرة بين نمو فلسفة عقلانية وتطور العلوم واختراع الآلة والاكتشافات الجغرافية. فالاكتشافات في القرن الخامس عشر أحدثت ثورة في علم الفلك (النجوم وحركة الأرض ومركزية الشمس والدوران وخطوط الملاحة والخرائط). **واختراع آلة الطباعة أعطى المطبعة قيمة علمية في التأثير على وعي النخبة (ترجمة وتأليف). والحركة الإصلاحية الدينية وحروب الكاثوليك والبروتستانت في القرن السادس عشر كسرت احتكار الكنيسة للمعرفة، وفتحت الباب لتقدم العلوم.** فالمطبعة أخذت تتطور بسرعة مستفيدة من نمو علم الميكانيك في جانب وحاجة السوق في جانب آخر. وعلوم الفلك اكتشفت وظيفتها في عالم البحار، وأخذت تتطور لتلبي حاجات سفينة أخذت تخترق المجهولات.

هذه الأنساق المعرفية المتوازية (جغرافيا، فلك، ميكانيك، مطبعة، فيزياء) دمجت بين الاكتشافات والاختراعات حين أخذت الآلة تلبي حاجات الأسواق التي شهدت طفرة في التجارة وتحولات



تاجر البندقية لوليم شكسبير: تحفة القرن السادس عشر التي تبرز الصورة المبكرة للمرابي اليهودي (شايلوك) في إطار الحياة الاقتصادية في أوروبا.

في الاستهلاك والحياة اليومية. وكوبرنيكس الذي أوضح نظريته (**دوران الأفلاك**) في كتاب صدر العام ١٥٤٣ كان البداية. وبعده سيبدأ العالم يشهد ولادات عقول ستلعب دورها الخاص أو الجزئي في تقديم إضافات أو إدخال تعديلات على صورة مجتمع جديد بدأ يتأسس من رحم القديم.

السادس عشر قرن الحروب الدينية (الأهلية) كان أيضاً قرن الآلة ونمو التجارة واقتصاد السوق وتدفق السلع وتحسن المواصلات وتقدم في نمط المعاش وبدء انكسار هيبة الإكليروس ونفوذهم القهري على عقول النخبة الأوروبية. إنه قرن تأسس على السابق، ولكنه سيشهد في نهايته (العام ١٥٩٦) بدء استخدام الأجهزة التقنية (اختراع المقراب) وهي آلة «التثبيت التجريبي» التي سمحت للعلماء لاحقاً بإنجاز بحوث فيزيائية وميكانيكية. واستخدام الآلة في تصحيح العلوم وتصويب المعرفة وتدقيق الحسابات والاستنتاجات والتقديرات سيكون له دوره في تطور أوروبا وانتقالها من طور السفينة إلى حقبة المانيفاكتورة.

(وليد نويهض،
موقع جريدة «الوسط» (البحرينية)، ٥/٣/٢٠١٠)

«الصهيونية المسيحية»: هيمنة الأصولية البروتستانتية على السياسة الأميركية

مع وصول الرئيس الأميركي جورج بوش إلى السلطة، مدعوماً من اليمين البروتستانتي، وحاملاً رؤاه حيال قضايا الفرد والمجتمع، وحيال إسرائيل والصراع العربي ـ الإسرائيلي، صدرت دراسات متعددة تتوقف عند التأثير الكبير الذي تمارسه هذه الرؤية المسيحية المتصهينة في موقف الإدارة الأميركية حيال الأحداث في الشرق الأوسط. واليوم، مع ارتفاع الشعب الفلسطيني كله على صليب العذاب، تلقي هذه الدراسة للباحث المصري سمير مرقص أضواء على الخلفية الدينية العميقة للانحياز الأميركي المطلق إلى الكيان الإسرائيلي. وغني عن القول إن مواقف الكنائس الإنجيلية، في لبنان وسوريا وفلسطين وسائر المشرق العربي، تختلف اختلافاً جذرياً عن مواقف البروتستانت الأميركيين المتهودين، بل إن بعض هذه الكنائس الإنجيلية، في فلسطين خصوصاً، تؤدي دوراً مميزاً في المواجهة الفلسطينية العامة لآلة الموت الإسرائيلية:

القارئ لتاريخ الولايات المتحدة منذ تأسيسها، يمكنه أن يلحظ إلى أي حد مثل الدين أساساً أقيم عليه العالم الجديد (أميركا). لقد حمل المهاجرون الجدد، أو ما اصطلح على تسميتهم «البيوريتانيين» (Puritans) عام ١٦٢٠ معهم العقيدة البروتستانتية (الكالفينية بالأساس) التي كانوا يحاولون، بلا طائل، تطبيقها في إنكلترا. ولكنهم طوردوا واضطهدوا، فراح يحدوهم الأمل بإمكان العيش وفقاً لمبادئ الإصلاح الكالفيني على الأرض الجديدة. ورغم أن الكالفينية كان لها رؤيتها الخاصة للعالم والحياة وللإنسان وخلاصه، إلا أن هذه الرؤية لم تكن منقطعة الصلة عن الواقع الاجتماعي الذي وجدت فيه. لقد كانت لهذه الرؤية جذورها الاجتماعية والمعرفية بحكم نشأتها في سياق مجتمعي خاص وفي لحظة تاريخية محددة، ألا وهو السياق الأوروبي بتفاعلاته التاريخية المحتدمة آنذاك. لذاك فإن الانتقال بهذه الرؤية إلى العالم الجديد كان يتطلب مقداراً من المواءمة.

وإذا كان علماء الاجتماع (الاجتماع الديني خصوصاً) يقولون بأن العقائد الدينية والكنائس تعكس المجتمعات التي تهيمن عليها بمقدار ما تعكسها هذه المجتمعات بدورها أيضاً، وقد يتفق البعض أو يختلف مع هذه المقولة، ولكن الحالة الأميركية تمثل تعبيراً مثالياً لما يقول به هؤلاء العلماء. وعليه، نجد الكالفينية وقد تطورت لتتناسب مع الوضع ـ العالم الجديد.



من المؤلفات حول الأفكار الألفية مترجماً إلى العربية.

فالمؤكد أن الأرض الجديدة ليست إنكلترا ولكنها أميركا، حتى وإن سموها «إنكلترا الجديدة»، كما أن العالم الجديد ـ أميركا ـ فرض نفسه على العقيدة المهاجرة، فتطورت من نفسها لتستجيب حاجة العالم الجديد إلى مرجعية تحكم حركته الناشئة. لذا لم يكن غريباً بحسب جان بيار فيشو، أن «يولد المجتمع والدين في آن واحد»، ولأن المهاجرين الجدد كانوا من البروتستانت فقد كانوا قوة غالبة، فسادت كنيستهم وساد مذهبهم.

لقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن المهاجرين الجدد، البروتستانت، كانوا متأثرين باليهودية تأثراً مركباً: لاهوتياً، وتاريخياً، وكتابياً، وسياسياً، حيث أفرد هذا التأثير صيغة «تعايش» بين البروتستانتية واليهودية بقيت إلى الآن، وبالذات في الاتجاهات والتيارات الأصولية. **ويعود هذا التأثر لرؤية**

المستوطنين الجدد البروتستانت للعالم الجديد باعتباره «القدس الجديدة»، حيث شعروا أن تجربتهم الناشئة تجعلهم متماثلين مع المنفيين والعبرانيين الذين ورد ذكرهم في التوراة. فأصبحت أميركا لديهم «كنعان الجديدة»، فهم فروا مثل العبرانيين القدامى من عبودية «فرعون» (الملك جيمس الأول ملك إنكلترا) من «أرض مصر» (إنكلترا) بحثاً عن ملاذ في الأرض الجديدة الموعودة من الاضطهاد الديني.

وكان لهذا الشعور أثره في أرض الواقع، تمثل في الطريقة التي تعايش بها المستوطنون الجدد مع المكان، من حيث إطلاق أسماء عبرانية على الأماكن التي يفدون إليها، وإطلاق أسماء عبرانية على المواليد الجدد، يضاف إلى ما سبق فرض تعلم اللغة العبرية في المدارس والجامعات. **ويشار هنا إلى أن أول دكتوراه منحتها جامعة هارفرد عام ١٦٤٢ كانت حول موضوع «العبرية هي اللغة الأم» وكان أول كتاب يصدر في أميركا «سفر المزامير»، وأول مجلة تصدر حملت عنوان «اليهودي»**. لقد باتت أميركا بالنسبة إلى المستوطنين الجدد «النموذج الروحي للعهد القديم العبري»، بل نجدهم يسمون أنفسهم «أطفال إسرائيل» (Children of Israel).

وتأكد هذا التعاطف أكثر بين البروتستانتية واليهودية عندما بدأت الولايات المتحدة تشهد موجات من الهجرات الكثيفة من اليهود والكاثوليك، فلوحظ كيف كانت العلاقة أكثر حميمية بين البروتستانت واليهود، وعلى النقيض تماماً كانت العلاقة بين البروتستانت والكاثوليك. لقد وجدت أرضية مشتركة بين البروتستانتية واليهودية لم تتحقق بين البروتستانتية والكاثوليكية. وسرعان ما كانت لهذه العلاقة الحميمة تجلياتها العملية. فمع بداية القرن الثامن عشر، احتلت فلسطين «كوطن لليهود»، مكانة خاصة لدى البروتستانت الأمر الذي ولد اعتقاداً راسخاً في اللاهوت البروتستانتي الأميركي بضرورة البعث اليهودي. إن هذه العلاقة أدت إلى أن تتضمن الثقافة البروتستانتية في وجهها الأصولي كثيراً من تعاليم اليهودية الروحية والعقائدية، ثم الصهيونية اليهودية لاحقاً، حيث أصبح «هناك ميل بروتستانتي قوي للاعتقاد أن معنى المسيح المنتظر يجب أن ينتظر عودة الدولة اليهودية». لقد مال البروتستانت إلى هذا التوجه بل يمكن القول إنهم اعتنقوه، وسعوا إلى ضرورة العمل من أجل الإحياء القومي للشعب اليهودي، والتقوا عملياً مع الحركة الصهيونية في مبادئها. **وهذا هو مؤسس الكنيسة المورمونية القس جوزف سميث يتبنى نظرية البعث اليهودي في فلسطين**، وتلحق به كوكبة من ألمع اللاهوتيين الإنجيليين مثل سايروس سكوفيلد والقس وليم بلاكستون، الذين عملوا على إنشاء مستوطنات لليهود مثلما فعل وردر غريسون الذي «أنشأ مستوطنة زراعية يهودية لتدريب المهاجرين اليهود على شؤون الزراعة والإنتاج الزراعي». ثم يرصد المؤرخون التحول المهم من مجرد التعاطف الوجداني والتبرير اللاهوتي إلى الضغط السياسي لتحقيق هذا الهدف الروحي ـ السياسي، ألا وهو إقامة وطن يهودي، فنجد القس بلاكستون يؤسس منظمة تدعى «**البعثة العبرية من أجل إسرائيل**» Hebrew Mission on Behalf of Israel لا تزال مستمرة في مهمتها حتى اليوم باسم جديد هو «**الزمالة المسيانية الأميركية**» American Messianic Fellowship التي تعد قلب جهاز الضغط الصهيوني في الولايات المتحدة. ويرصد أن أول عمل يمكن أن يندرج تحت أعمال الضغط هو ما قام به بلاكستون من جمع توقيعات تأييد لإقامة وطن صهيوني في فلسطين، ورفع عريضة بذلك إلى الرئيس الأميركي آنذاك. ولم يمض وقت طويل حتى وافق الكونغرس الأميركي بمجلسيه على وعد بلفور. وتوالى الدعم السياسي الرسمي وأيضاً الشعبي بتكوين العديد من المنظمات والكيانات التي صارت بمثابة جماعات ضغط مؤثرة.

وهكذا اتحد الديني بالسياسي واللاهوتي بالتاريخي فخلق علاقة مميزة بين البروتستانتية واليهودية بشكل عام، وبين الأصولية البروتستانتية والصهيونية اليهودية بشكل خاص، بل زاد الأمر أن تأسس ما سمي «الصهيونية المسيحية». لقد آمنت «الصهيونية المسيحية» قبل تأسيس إسرائيل بعودة اليهود كشعب إلى أرضه الموعودة في فلسطين، وإقامة كيانه فيها، تمهيداً للعودة الثانية للمسيح وتأسيسه مملكة الألف عام. وبعد قيام إسرائيل أخذت «الصهيونية المسيحية» تنظر إلى إسرائيل كحدث وإشارة يؤكدان معتقداتها.

على الجانب الآخر، شعر البروتستانت بالمزاحمة من الكاثوليكية الوافدة الجديدة إلى أميركا من حيث مشاركتها في ما حققته البروتستانتية من امتيازات وسلطات دينية في مواجهة الدولة، الأمر الذي دفع البروتستانت إلى المطالبة بتطبيق المبدأ النظري بفصل الدين عن الدولة. وقد تم لهم ذلك حين تقرر إدخال مبدأ الفصل في صلب الدستور الأميركي الذي عد التعديل الدستوري الأول عام ١٧٨٩ ونص على ما يأتي:

«لن يصدر الكونغرس أي قانون في صدد ترسيخ الدين أو منع ممارسته». وأكد ما سبق في معرض تفسيره لهذا النص الرئيس جيفرسون عام ١٨٠٢، عندما بعث برسالة إلى جماعة من رجال الدين في إحدى كنائس ولاية كونيتكت، أعلن فيها أن «هدف التعديل الأول في الدستور هو إنشاء حائط فاصل بين الكنيسة والدولة». وهذا يعني أنه يحظر على الكونغرس سن قوانين تؤسس ديناً أو تمنع حرية التعبير الحر الديني أو تجبر أحداً على إتباع دين معين بأي وسيلة، أو

أن تساعد الدولة على ذلك مادياً أو معنوياً. وبمقدار ما حال الدستور دون قيام الدولة بدعم أي دين، فقد ألحق بهذه الفقرة الدستورية فقرة أخرى تنص على الحق في حرية التعبير الديني لكل الأديان.

بيد أن النص الدستوري لم يمنع من أن يجعل تطبيقه أو عدم تطبيقه أمراً خاضعاً لموازين القوى في المجتمع. فالبروتستانت منذ وفدوا إلى الولايات المتحدة وقعوا «وثيقة دستورية أولية»، تنشئ ثيوقراطية تضع البلد الجديد في «رعاية اللـه»، رابطة ربطاً وثيقاً بين المجالات الاجتماعية والدينية، لقد جاؤوا ليعيشوا إيمانهم، لذا فإن تراجعهم عن ذلك لاحقاً إنما هو تراجع تكتيكي أملته الظروف. فالحياة في ظل تعددية مذهبية فرضت عليهم ذلك موقتاً حتى تتغير الأوضاع. وهنا يصبح النص الدستوري خاضعاً في تفسيره للواقع وللأطراف الفاعلين فيه ومدى قوته لحظة التفسير.

والثابت تاريخياً، وفي أوقات كثيرة، أن النصوص الدستورية لم تمنع من ضغط التحالفات الدينية في اتجاه ما يخص قضايا بعينها تمس حياة الناس اليومية، بل امتد هذا الضغط ليشمل قضايا خاصة بالسياسة الخارجية الأميركية كما سنرى لاحقاً.

هيمنة الاتجاه المتهود

إن الرصد التاريخي لمسيرة البروتستانتية في الولايات المتحدة يشير إلى أمرين:

١ ـ **التهود الذي طال الاتجاهات الأصولية**، حيث تمت «عبرنة» المسيحية في أميركا بسببها، فبدت «العبرنة» واضحة في الثقافة السائدة إلى الدرجة التي دفعت الرئيس الأميركي جيفرسون إلى تقديم اقتراح إلى الكونغرس مفاده «أن يمثل رمز أميركا على شكل أبناء إسرائيل تقودهم في النهار غيمة، وفي الليل عمود من النار» بدلاً من النسر.

ويتفق هذا الاقتراح مع النص الوارد في سفر الخروج والذي يقول:

«وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. لكي يمشوا نهاراً وليلاً (سفر الخروج ١٣: ٢١).

وقد أدت هذه الاتجاهات المتهودة إلى صياغة قالب ديني بروتستانتي يهودي قاعدته التوراة، كان من نتيجته الترويج لمصطلحات مثل:

ـ التراث المسيحي ـ اليهودي المشترك.
ـ الأخلاق المسيحية ـ اليهودية.
ـ الالتزام الأدبي ـ الأخلاقي بدعم إسرائيل.

ولا شك في أن هذه الاتجاهات المتهودة تزداد خطورتها، عندما نعلم أنها تنتشر بشكل منظم ومؤسساتي بحسب يوسف الحسن في عدد من الطوائف البروتستانتية وهي كنائس الطبقة العليا الحاكمة على مدى أكثر من مئتي عام من عمر أميركا أو ما اصطلح على تسميتها كنائس White Anglo_Saxon Protestant (WASP) . ويعد تأثيرها كبيراً في صياغة السياسة الأميركية.

٢ ـ **هيمنة الاتجاه الأصولي على البروتستانتية الأميركية**، رغم وجود اتجاهات ليبرالية بل ويسارية داخلها. إلا أن التيار الأصولي هو الأكثر تأثيراً وتنظيماً والذي يضم في إطاره التيار الصهيوني.

وقد كان لهذا الاتجاه القدرة على حصار الاتجاهات الليبرالية أو التي عرفت باسم «المسيحية الجديدة» New Christianity، والتي حاولت أن تواكب النتائج التي ترتبت على التقدم المطرد في مجال التصنيع وما رافقه من تحضر للأميركيين، ومواجهة مشاكل التحديث وما تتضمنه من تداعيات اجتماعية وثقافية. فلقد أراد أنصار هذا الاتجاه استجابة المتغيرات والسير بكنائسهم في مسار ليبرالي يتفاعل مع المستجدات برؤى عملية وواقعية. إلا أن الأصولية البروتستانتية عند بدء تشكلها كاتجاه له ثقله في الواقع الأميركي مع بداية القرن العشرين، واليمين المسيحي الجديد الذي يعد تطوراً لها، **قد رفضا بشكل قطعي اجتهادات المسيحية الجديدة، في عقلنة الحياة الحديثة.**

لقد دعم القادة الأصوليون مثل أرنو جيبيلين وبيلي صانداي الخلاص الفردي والشخصي المنفصل عن الواقع، وذلك في مواجهة الاتجاه الذي يدعم الخلاص القائم على المشاركة المجتمعية القائمة على ما سموه «الإنجيل الاجتماعي» Social Gospel. الأكثر من ذلك هو رفضهم التوجه المسكوني والانفتاح الديني، مؤكدين واجب كل مسيحي التبشير بإيمانه باعتباره في معركة مع الأديان والثقافات الأخرى.

إن اليمين المسيحي في صورته الجديدة، هو امتداد للأصولية البروتستانتية التي ظهرت مع بداية القرن، ويشتركان معاً في الأساس النظري من حيث النظرة إلى العالم والمجتمع والإنسان. فالأصولية المسيحية التي أخذت في التشكل مع بدايات القرن العشرين وتبلورت فكرياً عقب نشر سلسلة من ١٢ مجلداً تحت عنوان «الأصول» تضم تسعين مقالة حررها مختلف اللاهوتيين البروتستانت المعارضين لكل تسوية أو حل وسط مع الحداثة، أقول الأصولية المسيحية هي التي وضعت التأسيس النظري لدور اللـه في تطهير الثقافة السائدة وشن الحرب المقدسة ضد الشيطان القابع في قلب الوطن، وإنهم



جورج بوش الابن وإيهود أولمرت .. وإسرائيل

وحدهم التعبير عن «الإرادة الإلهية».

ويأتي اليمين المسيحي ليأخذ طبيعة سياسية تحمل القيم الأصولية الأولى دون تغيير، ولكنه بدأ يعمل لأن يجعل هذه القيم موضع التنفيذ.

وترى النظرة الأصولية ممثلة في أحد أهم روادها المعاصرين بات روبرتسون كيف أن أميركا ستكون في حالة نهوض، ودورها مركزي عندما تستعيد «تراثها اليهودي المسيحي» وتشارك معظم القيادات الأصولية البروتستانتية - الأصولية أساسياً في تأكيد ما سبق.

ويعتبرون أن الأسرة هي المجال الأساسي لانتشار أفكارهم باعتبارها قلب المنظومة الاجتماعية ذات العناصر المتعددة.

إن التصورات النظرية التي روج لها الأصوليون في بداية القرن العشرين كان لا بد لها من كيان تنظيمي يؤهلها للتجسيد العملي. **لذا يعتبر عام ١٩٤٢ نقطة تحول مهمة في تاريخ الأصولية البروتستانتية، حيث تأسست «الرابطة الوطنية للإنجيليين»** (National Association of Evangelicals) وتعد هذه الرابطة الكيان التنظيمي الذي ضم تحت مظلته آلاف الكنائس الأصولية في أميركا، لذا فإن كثيراً من الباحثين يعدون هذا الكيان «نقلة نوعية» في تاريخ الأصولية البروتستانتية، وذلك لسببين:

الأول: انتقال التحرك الأصولي البروتستانتي من الحركة إلى المؤسسية.

الثاني: الانتقال من الحركة ذات الطبيعة الدينية الأخلاقية إلى المؤسسية التي يمكن أن تلعب دوراً سياسياً.

وبالنسبة إلى السبب الثاني، فقد أتاح تأسيس الرابطة واكتساب الشكل المؤسسي للأصولية البروتستانتية «والتسييس»، الأمور الثلاثة الآتية:

١ - القدرة على التأثير والضغط وخصوصاً على السلطتين التشريعية والتنفيذية.

٢ - الانخراط في شبكة من العلاقات مع الاقتصاديين والسياسيين المؤثرين، ظهرت نتائجها جلية منذ السبعينيات.

٣ - إتاحة الفرصة لتكوين كيانات مماثلة لاحقاً.

ونتيجة لما سبق ومنذ عام ١٩٧٠، تقريباً، استطاعت الحركة الأصولية البروتستانتية أن تلعب دوراً مؤثراً في الحياة السياسية الأميركية، واستعادة المفاهيم والتصورات النظرية النقية التي طرحتها الأصولية في بدايات القرن، وصبغها بأبعاد سياسية، واستخدامها في الواقع السياسي الأميركي، **بل وامتدادها لتشمل السياسة الخارجية الأميركية.**

(سمير مرقص، «النهار»، ٢١/٤/٢٠٠٢)

البعث اليهودي والألفية السعيدة المسيحية

من بين النتائج الواضحة للإصلاح الديني البروتستانتي ظهور الاهتمام بتحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بنهاية الزمان. وكان جوهر «العصر الألفي السعيد» هو الاعتقاد بعودة المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة الله في الأرض والتي ستدوم ألف عام. واعتبر المؤمنون بالعصر الألفي السعيد مستقبل الشعب اليهودي أحد الأحداث الهامة التي تسبق نهاية الزمان. والواقع أن التفسير الحرفي لنصوص سفر الرؤيا قادهم إلى الاستنتاج بأن عودة اليهود كأمة «إسرائيل» إلى فلسطين هي بشرى الألف عام السعيدة، لكن ارتداد اليهود للمسيحية عنصر هام لتحقيق ذلك، **بل إن بعض الفرق كانت تصر على اعتناق اليهود للمسيحية قبل بعثهم، بينما اعتقد آخرون أن ذلك سيتم بعد عودتهم لفلسطين.**

وخلال تاريخ الكنيسة المسيحية استمر الاعتقاد الأخروي بعودة المسيح السريعة، وشاع ذلك الاعتقاد في القرن الأول الميلادي وكان يظهر بين فينة وأخرى خلال فترات الاضطراب السياسي والاجتماعي. ولكن الأمر الذي ينبغي ألا يغرب عن البال أن فكرة نهاية الزمان كانت مدمرة وتعتبر تهديداً لأمن الكنيسة في العصور الوسطى.

وبعد أن أصبحت المسيحية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية عام ٣٨٠م عقد القساوسة الأوائل، من أمثال أوريغين وأوغسطين، العزم على استئصال شأفة أفكار وتوقعات المؤمنين بالعصر الألفي السعيد. ويبدو أن أوغسطين وضع حداً لهذه المشكلة في كتابه «**مدينة الله**» حتى القرن السادس عشر على الأقل، فقد فسر أوغسطين فكرة العصر الألفي السعيد مجازاً بأنها حالة روحية وصلت إليها الكنيسة في عيد العنصرة، أي بعد موت وبعث المسيح. وكانت حركة الأقليات شبه الطائفية التي سبقت عهد الإصلاح الديني والتي كانت تعبر عن حنينها للعصر الألفي السعيد مضطرة للبقاء سرية بسبب اضطهاد الكنيسة في روما لها واعتبار تعاليمها كفراً.

لم تتعمق حركة بعث الشعب اليهودي في تعاليم هذه الحركات التي كانت تنتظر اعتناق اليهود للمسيحية سريعاً. ومع أن فكرة العصر الألفي السعيد لم تسد حتى في أوساط الفئات البروتستانتية الرئيسة (حيث استمر لوثر وكالفن مثلاً على التمسك بتعاليم أوغسطين حول هذه الفكرة) إلا أنها ظهرت في أوساط الجماهير وتسربت أفكارها إليهم. واستمرت هذه الحركة في استقطاب أنصار لها في كل فترات التاريخ التي تلت حركة



رجل الدين الألماني مارتن لوثر (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) رائد حركة الإصلاح الديني

الإصلاح الديني إلى أن بلغت ذروتها في القرن العشرين في **مذهب العصمة الحرفية الأمريكي** الذي يصر على أن إسرائيل هي التحقيق الواقعي للنبوءة في العصر الحديث.

العصر الألفي السعيد في عهد النهضة

أفرزت حركة الإصلاح الديني عقلية وجدت نفسها مفتونة بهذا التاريخ الحي. وكان يعتقد أن حركة الإصلاح نفسها نقطة تحول تشير إلى قرب نهاية الزمان. وقد أثبتت أوروبا، التي كانت تحت وطأة الحروب الطاحنة لعدة قرون، أنها أرض خصبة لمثل هذه العلامات الأخروية. وكان الاضطهاد الشديد الذي يتعرض له كثير من الفرق البروتستانتية على يد الكنيسة الرسمية يفسر بأنه علامة أخرى من علامات نهاية الزمان. في هذا الإطار حظيت النبوءات التوراتية الكثيرة عن مستقبل إسرائيل بأهمية كبرى، وغدا كثير من الفرق مقتنعاً بأن تحقق النبوءات يشمل اليهود المعاصرين بشكل أو بآخر.

وفي نهاية القرن السادس عشر تقريباً ظهر أول أثر أدبي مطبوع عن التفكر في العصر الألفي السعيد وبعث اليهود، وانتشر في أوروبا وبخاصة في **الجزر البريطانية**، حيث كانت حركة الإصلاح الديني قد وطدت أقدامها منذ أن انفصل الملك هنري الثامن عن روما، وكانت بعض الطوائف كالمعمدانيين والفرانكيين تعبر عن آمالها بالمسيح المنتظر في القارة الأوروبية، لكن الكنائس اللوثرية والكالفينية الرسمية كانت تضطهدها بعنف باعتبارها قوى مارقة، حتى إن مايكل سيرفتس (١٥٠٩ ـ ١٥٥٣) أحرق حياً لاتهامه بأنه «يهودي» معاد للثالوث. وفي عام ١٥٨٩ لقي فرانسيس كت المصير نفسه في إنكلترا. وكان الرجلان من الموحدين، وكتبا عن بعث اليهود. وكان كل منهما يرى أن جمع شعب اللـه المختار إنما يعني حرفياً الشعب اليهودي.

أما في **هولندا وسويسرا** فقد بقيت بعض هذه الفرق على قيد الحياة، وكان الثمن الذي دفعته خضوعها لأوامر الكنيسة. وفي **ألمانيا** قمعت هذه الحركات عندما أصبحت اللوثرية نداً للكاثوليكية وتحالفتا مع النظام القائم. أما في **إنكلترا الأنجليكانية** فلم تقمع حركة البعث اليهودي بسهولة. ومع أن السلطات الدينية والدنيوية الحاكمة آنذاك كانت تقمع الفكرة الجديدة بشدة، إلا أن هذه العقيدة سرعان ما حظيت باحترام كبير في الأوساط الدينية الإنكليزية.

لم يكد يمر عقد على مصير «كت» التعس الذي اعتبر واحداً من المارقين المؤمنين بالعصر الألفي السعيد حتى ظهر توماس برايتمان (١٥٦٢ ـ ١٦٠٧) وهو عالم لاهوت ذو شأن وتناول الموضوع الذي كان يلمح له كت بشكل مفصل، فقد كتب مباشرة عن البعث اليهودي في كتابه *Apocalypsis Apocalypscos* وقال إن اليهود، كشعب، سيعودون ثانية إلى فلسطين وطن آبائهم الأوائل «لا من أجل الدين، كما لو أن اللـه لا يمكن أن يعبد في مكان آخر، بل لكيلا يكافحوا كغرباء ونزلاء لدى الأمم الأجنبية».

وكان لبرايتمان، الأب الروحي لعقيدة بعث اليهود البريطانية، أتباع كثيرون من معاصريه من بينهم أعضاء في البرلمان. وقد وافق أحد هؤلاء، وهو السير هنري فنش (Henry Finch) الذي يعد حجة القانون في عصره، على ما جاء في كتاب برايتمان، ونشر في عام ١٦٢١ كتابه المثير للجدل «**البعث العالمي الكبير أو عودة اليهود و(معهم) كل أمم وممالك الأرض إلى دين المسيح**» وجاء في هذا الكتاب:

«حيث تذكر إسرائيل ويهودا وصهيون والقدس (في الكتاب المقدس) فإن الروح المقدسة لا تعني إسرائيل الروحية أو كنيسة اللـه التي تتكون من المسيحيين أو اليهود أو منهم معاً ولكنها تعني إسرائيل التي تحدرت من صلب يعقوب. وينطبق الشيء نفسه على عودتهم لأرضهم وقواعدهم القديمة وانتصارهم على أعدائهم... سيقيمون الكنيسة المجيدة في أرض يهودا نفسها... هذه التعبيرات وأمثالها ليست مجازات وأقوالاً تفوه بها المسيح ولكنها تعني اليهود فعلاً وقولاً».

ورفض «فنش» بشكل قاطع تفسير أوغسطين المجازي وأصر على أن اللـه كان يعني، طبقاً للنبوءة التوراتية، إعادة اليهود جماعياً وقومياً إلى وطنهم السابق بشكل فعلي:

«إنها ليست قلة مبعثرة هنا وهناك، بل... الأمة بشكل عام. سيعودون إلى وطنهم... وسيعمرون كل أجزاء الأرض كما عمروها من قبل.. سيعيشون بسلام وسيبقون هناك للأبد».

لقد كانت نبوءته فريدة من نوعها، وذلك أنها تضمنت وصفاً للمستقبل الذي استعادته إسرائيل. إن ما كان يميز نبوءة فنش هو مزجه بين الدين والسياسة كما عبر عنه في رؤية الكومنولث اليهودي المستعاد. وهنا نرى تصوراً للحكومة الدينية التي تعتبر حقيقة واقعة في أرض «إسرائيل المحررة». لقد استعمل فنش التعبيرات الصهيونية بذكاء ليستميل اليهود وغيرهم لخطته العظيمة، ومع ذلك فقد كانت صهيونيته فجة. ولذا فإن معاصريه من اليهود لم يروا ما يدعوهم لمشايعة دعوته، وبالتالي فإنه لم يتمكن من الحصول على رضى مواطنيه وإخوانه في الدين.

وقد حمل الملك جيمس الأول (١٦٠٣ ـ ١٦٢٥) أفكار العصر الألفي السعيد على محمل الجد واعتبرها انتهاكاً شخصياً واعتداء على حقوقه الخاصة كحاكم مطلق. واضطر فنش للتراجع، كما تعرضت تعاليمه للنقد حتى في البرلمان حيث انطلقت تحذيرات بعض الأعضاء من أنبياء متهودين جدد يطالبون بالبعث اليهودي. ولكن جذور هذه الأفكار الصهيونية رسخت في الحياة الروحية لإنكلترا، وانبعثت من جديد، ووصلت عصرها الذهبي في العهد البيوريتاني اللاحق، على الرغم من الاستياء العام الذي واجهته في بداية القرن السابع عشر.

كانت الأفكار الصهيونية عن العصر الألفي السعيد لا تزال تدرج في مراحلها الأولى، ولكن نواتها كانت موجودة في اعتناق أفكار معينة من حركة الإصلاح البروتستانتية. وقد بقيت الصهيونية غير اليهودية خلال هذه الحقبة محصورة في مجال التأملات الروحية والنقاش اللاهوتي، لكن العناصر الأساسية لموالاة السامية ومعاداتها كانت موجودة فيها. وكان هناك مزج غريب بين هذين التيارين اللذين يبدوان متناقضين.

كان المصلحون الأوائل يظهرون الحب لشعب اللـه المختار، ولكنه لم يكن حباً نابعاً من قلقهم على اليهود، بل لدورهم المرسوم لهم في خطة اللـه كما أوحى بها وعده لهم. وكان

ارتداد اليهود للمسيحية لا يزال الهدف النهائي. لذلك فقد كان فنش يرى أن هذا الأمر سيتم على أسس مسيحية رغم تفكيره بمستقبل زاهر للشعب المختار. وقد حدد ذلك بوضوح في مقدمة «**البعث العالمي العظيم**»:

«إن اللـه وهو يتغاضى عن أيام خطيئتكم يدعوكم بكل وسيلة للتوبة وهدفه أن يجمعكم من كل الأماكن التي تفرقتم فيها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وأن يعيدكم إلى وطنكم ويضمكم إليه عن طريق الإيمان إلى الأبد».

كانت الصهيونية غير اليهودية مفعمة بنغمات معادية للسامية التي بقيت عنصراً أساسياً مميزاً في المبادئ الصهيونية غير اليهودية.

مارتن لوثر والروح التهودية

يحتاج دور مارتن لوثر إلى تحليل أكثر عمقاً ودقة بسبب موقفه المتميز بين جميع المصلحين البروتستانتيين. لقد اعتبره البعض محباً للسامية أحياناً ومعادياً لها، بل ومبشراً بالنازية الألمانية اللاسامية في أحيان أخرى بسبب مواقفه من اليهود المتناقضة تماماً والمثيرة للجدل.

كان مارتن لوثر، كمؤسس وزعيم لحركة الإصلاح البروتستانتي، مسؤولاً إلى حد بعيد عن ظهور مناخ القرن السادس عشر الروحي والديني الجديد الذي أوجد أرضاً خصبة للأفكار الصهيونية الأولى. ومما يظهر ميوله اليهودية حماسه لدراسة اللغة العبرية، وتفضيله المبادئ اليهودية البسيطة على تعقيدات اللاهوت الكاثوليكي، وتأكيده على تمركز الكتاب المقدس في الحياة المسيحية وبالتالي:

«فلم يترك أعداؤه من البابويين فرصة إلا واغتنموها لوصمه بأنه «يهودي» و«راع يهودي» أما مبادؤه وبخاصة هجومه العنيف على الأشكال الوثنية وعبادة الآثار المقدسة فقد جعلته يوصف بأنه «شبه يهودي» أو «نصف يهودي»».

ومن ناحية أخرى كان لوثر يتهم خصومه في حركة الإصلاح بالتهود، وخاصة المعمدانيين وعلماء اللغة والدراسات العبرية الليبراليين في الجامعات الألمانية الذين كانوا يوجهون النقد لترجمات لوثر للعهد القديم العبري. ويمكن تقسيم كتابات لوثر عن اليهود إلى فترتين متميزتين: ما قبل عام ١٥٣٧ وما بعده ففي عام ١٥٢٣ كتب لوثر «**عيسى ولد يهودياً**» الذي أعيد طبعه سبع مرات في نفس العام. وقد شرح في هذا الكتيب المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لليهود محتجاً بأن المسيحيين واليهود يتحدرون من أصل واحد.

شاءت الروح المقدسة أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريقهم وحدهم: «إنهم الأطفال ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، تماماً كالمرأة الكنعانية».

لكن الفقرات الأخيرة تظهر بشكل قاطع أن هدف لوثر النهائي هو تحول اليهود للمسيحية أي البروتستانتية:

«إنني أنصح وأرجو كل شخص أن يكون لطيفاً في تعامله مع اليهود وأن يعلمهم الكتاب المقدس، وعندها نتوقع منهم أن يأتوا إلينا. أما إذا استعملنا العنف الوحشي وألحقنا بهم الإهانات قائلين إنهم بحاجة لدعم المسيحيين للتخلص من نتنهم وغير ذلك من السخافات، وإذا بقينا نعاملهم كالكلاب فأي خير نتوقعه منهم؟ كيف نتوقع منهم أن يكونوا أفضل مما هم إذا كنا نحول بينهم وبين العمل معنا ونرغمهم بذلك على الربا؟ إذا أردنا أن نجعلهم خيراً مما هم فعلينا أن نعاملهم حسب قانون المحبة المسيحي، لا قانون البابا. علينا أن نحسن وفادتهم وأن نسمح لهم بالتنافس معنا لكسب عيشهم لتتاح لهم الفرصة لمشاهدة الحياة والعقيدة المسيحية وإذا أصر بعضهم على عناده فما الضرر في ذلك؟ نحن لسنا جميعاً مسيحيين صالحين».

وكان لوثر، كنصير متحمس لبولس، يؤمن بأن نبوءة التوراة حول إنقاذ كل إسرائيل كأمة ستتحقق، وكان يلوم البابوية لتحريفها المسيحية وصدها بذلك اليهود عن اعتناقها.

لكن موقف لوثر من اليهود أصبح أكثر قسوة في القسم الثاني من حياته فقد أثارت حفيظته الأنباء القائلة إن اليهود كان يجمعون الأنصار لعقيدتهم من خلال حركة المسيحيين المتشددين (Sabbatarians) **في مورافيا بدلاً من أن يرتدوا للمسيحية.** وفي عام ١٥٤٤ ألف كتابه «**فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم**» لمواجهة هذه التحديات الموجهة للوثرية. وقد تداخلت الصهيونية واللاسامية في هذا الكتاب بشكل غريب (وإن كان ذلك أمراً عادياً في عرف الصهيونية غير اليهودية):

«من الذي يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم في يهودا؟ لا أحد. إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم لا لشيء إلا لنتخلص منهم. إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا».

وكثيراً ما تستشهد الدراسات التي تتناول تاريخ اللاسامية بفورات غضب لوثر الفظة المعادية للصهيونية والتي يبدو فيها الرجل المثل الحقيقي لما يمكن أن نطلق عليه اللاسامية في القرون الوسطى. لكن المأثور عن لوثر أنه لم يكن مهذباً في ألفاظه وبخاصة حين يهاجم أعداءه، فاللجوء للتعابير الفظة، بل والقذرة، كانت سمة مميزة لأسلوبه وشخصيته البذيئة. وقد كانت عباراته العامية المعادية للكاثوليكية والفرق البروتستانتية المنافسة له تفوق في ضراوتها عباراته اليهودية.

ولم يكن لوثر مثالاً للتسامح الديني، بل مثالاً لعدم التسامح الذي يصل أحياناً حد التعصب.

ومع ذلك فإن حركة الإصلاح التي وضعها بتحديه الصريح للسلطة الدينية القائمة كانت تبشر بعهد جديد من التسامح الذي كان له تأثير إيجابي في الحياة اليهودية. لم تعد الكنيسة الكاثوليكية تدعى بأنها عالمية، ولم يعد اليهود ينبذون باعتبارهم الدخلاء الوحيدين. وللمرة الأولى لم يعد اليهود أشد الأقليات الدينية اضطهاداً، إذ واجهت مجموعات مسيحية منشقة كالمعمدانيين وفرق بروتستانتية أخرى المصير نفسه. وخلال الحروب الدينية أصبح ما يتعسر تحقيقه بالعقل والإدراك السليم يحل في ميدان المعارك. وقد تضافر سلام أوغسبرغ عام (١٥٥٥) ومجلس ترنت (١٥٤٧ ـ ١٥٦٣) ومعاهدات وستفاليا عام (١٦٤٨) على جعل المجتمع الأوروبي علمانياً، وانبثق التسامح عن الضرورة السياسية.

معتقدات الصهيونية البروتستانتية

تكمن أهمية حركة الإصلاح الديني بالنسبة للصهيونية غير اليهودية فيما حققته عن غير قصد وبشكل لا شعوري أكثر مما حققته بأهدافها وإنجازاتها المباشرة. كانت العقيدة الأساسية للصهيونية قد أقيمت على أسس واضحة محددة، فخلال القرن السادس عشر تم التأكيد على شخصية اليهود كأمة، ولم يعودوا «كنيسة» كالكنائس الأخرى أو عقيدة دينية. وقد **أحدث نشر النصوص التوراتية بشكلها الأصلي، الذي لم يكن مشوباً بالتفسيرات الكنسية الرسمية، ثورة في الفكر المسيحي البروتستانتي، وبذلك أتاح لبعض البروتستانت أن يضفوا على الكتاب المقدس صبغة سياسية.**

ومن المفارقات أن اليهود أنفسهم كانوا يحاولون خلال هذه الفترة أن يجردوا الكتاب المقدس من الصبغة السياسية، ففكرة المسيح المنتظر بين اليهود، التي كانت مرتبطة بشكل وثيق بحركة الإصلاح الديني، كانت تعارض التدخل البشري أو الدنيوي لتحقيقها، وتتوقع بدلاً من ذلك أن تتحقق عن طريق التدخل السماوي.

وتكمن أهمية حركة الإصلاح في تمهيدها الطريق للأفكار الصهيونية عن الأمة اليهودية، والبعث اليهودي، وكون فلسطين وطناً لليهود، وهي الأفكار التي لقيت رواجاً فيما بعد. وقد رسخت الصهيونية غير اليهودية في القرن السادس عشر حين أصبحت المعتقدات الدينية اليهودية جزءاً من طقوس الكنيسة، ومن ثم شاعت في الحياة الثقافية اليومية. وكان للصهيونية غير اليهودية ممثلون مرموقون في كل فترة من فترات التاريخ التي أعقبت حركة الإصلاح الديني، وتحولت من عقيدة لاهوتية إلى أيديولوجية سياسية للغرب المعاصر.

البيوريتانية الإنكليزية وبعث المملكة القديمة

وصلت النهضة العبرية، بأفكارها المتداخلة المؤيدة للصهيونية ضمناً، ذروتها في عهد الثورة البيوريتانية في إنكلترا في القرن السابع عشر. وكانت البيوريتانية تمثل أشد أشكال البروتستانتية تطرفاً، كما كانت الوريث المباشر للكالفنية. **وقد غالى البيوريتانيون في إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم** تماماً كما كانت الحال في جنيف في عهد الكالفنيين.

وكان البيوريتانيون يجمعون بين نزعة حب الخير لليهودية والانطباع بأن اليهود هم خلفاء العبرانيين القدامى. وكان إكبارهم للعهد القديم وأهله ناجماً عن الاضطهاد الذي قاسوه على يدي الكنيسة الرسمية. وكانت معلوماتهم عن الحياة اليهودية ضحلة لأن الملك إدوارد الأول الصليبي كان قد أبعدهم، ولو رسمياً على الأقل، عن إنكلترا عام ١٢٩٠.

كانت معلومات البيوريتانيين عن الحياة اليهودية مستقاة من اطلاعهم على التوراة العبرية والتماثل بالتالي بينهم وبين شعب اللـه.

خلال تجارب الاضطهاد المرة والحرب الأهلية وجدوا في **العهد القديم** بشكل خاص اللغة والأحاسيس التي تنطبق عليهم وتناسبهم تماماً... كانت تجربة حقيقية للصراع الديني والسياسي والاضطهاد تلك التي جعلت مجازات العهد القديم محتملة الصحة، ودفعتهم لاستعمال لغته والأسماء الواردة فيه باعتبارها أنسب أداة لنقل أفكارهم العنيفة.

كانت إنكلترا في القرن السابع عشر فيما بعد العهد الاليزابيثي بيئة ملائمة جداً لانتشار الأفكار الصهيونية بين غير اليهود، ولكن علينا ونحن ندرس مدى مساهمة البيوريتانية في الصهيونية ألا ننسى البيئة العامة التي استطاعت الصهيونية الإنكليزية البيوريتانية أن تترعرع فيها. لم تكن الثورة البيوريتانية معزولة عن التاريخ الإنكليزي، كما أنها لم تكن مجرد حلقة في سلسلة ما يسمى التقاليد الإنكليزية كما يحلو لبعض الكتاب الصهيونيين أن يصوروها. **لقد كانت البيوريتانية هي حركة الإصلاح الديني التي وصلت إلى خاتمتها المنطقية. وعندما تضاءل شأن البيوريتانية مع عودة تشارلس الثاني للعرش عام ١٦٦٠ فإن مثلها العليا، بما في ذلك تلك التي تؤيد الصهيونية، استمرت سائدة في إنكلترا والقارة الأوروبية ومن هناك انتقلت إلى العالم الجديد.**

ومع بداية القرن السابع عشر كانت حركة الإصلاح الديني البروتستانتي أشد ما تكون رسوخاً في إنكلترا حيث حلت فترة جديدة من الصراع الروحي والفكري محل الثقافة الاليزابيثية المرحة والمفعمة بالحيوية العاطفية، وهذا هو الذي يشار إليه عادة بالثورة البيوريتانية. **ولقد نتج عن إعادة اكتشاف الكتاب المقدس ظهور النسخة الإنكليزية المعروفة بنسخة الملك جيمس، كما أن فتح آفاق الأدب التوراتي أدى إلى**

انتشار التأويلات التوراتية الجدلية. وكان جوهر العقيدة البيوريتانية مرتبطاً بالحق في التأويل الشخصي وكانت إنكلترا واحدة من أوائل دول الإصلاح الديني التي نبذت السيادة الكنسية والبابوية من هذه الزاوية.

العبرية في الحياة اليومية

جلبت البيوريتانية لإنكلترا إجتماعياً وفكرياً الغزو «العبري» الذي كان قد اجتاح القارة الأوروبية. وأصبحت العبرية أمراً محسوساً على المستوى الشعبي وفي حياة الأمة اليومية. وقد وجد البيوريتانيون في العهد القديم «مثالاً سماوياً للحكومة الوطنية ودلالة واضحة للقوانين التي يجب على البشر اتباعها، وإذا عصوها فالعقوبة ماثلة للعيان وآنية». وكان البيوريتانيون، كأتباع كالفن، يستشهدون **بالعهد القديم** لدعم أفكارهم السياسية. وأصبح كومنولث القديسيين في جنيف هو جمهورية القديسين البيوريتانية.

أصبح **العهد القديم** كتابهم الوحيد الذي ليس لهم كتاب سواه. «كان أدبهم الوحيد» وغذاءهم الفكري والروحي، ومرشدهم وفيلسوفهم وصديقهم وحجتهم القانونية ومحكمة استئنافهم العليا. لقد تشكل فكرهم تبعاً له. وكان جهل البيوريتانيين بحياة اليهود المعاصرين قد دفعهم الى إتباع مواعظ **العهد القديم** التي هجرها اليهود أنفسهم منذ عهد بعيد. وتغلغلت التعابير العبرية في الحديث الإنكليزي، بل إن بعضهم كان يعتبر العبرية اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس.

وقد اقترح جون ملتون، الشخصية الأدبية البيوريتانية البارزة، في مقالته عن التعليم أن يتضمن منهج التعليم العام في المدارس الثانوية دراسة العبرية. وظهر تفضيل البيوريتانيين للعهد القديم في العادات اليومية. «كانت النزعة العامة للبيوريتانيين هي التخلي عن المبادئ الخلقية المسيحية والاستعاضة عنها بالعادات اليهودية» «اتبع البيوريتانيون نص القانون القديم بدلاً من الركون للتعبيرات الصادرة عن فهم للتعاليم السماوية» **وطالبت مجموعة «اللفلرز» Levellers ـ وهي مجموعة جمهورية متطرفة من البيوريتانيين ـ الحكومة بأن تعلن التوراة دستوراً للقانون الإنكليزي.** وبعد أن حل كرومويل «البرلمان الطويل» عام ١٦٥٣ استبدله «بالبرلمان القصير» المكون من القديسين فقط أي البيوريتانيين. وكان



من الطبعات المبكرة للعهد القديم بالانكليزية: مثل نسخة الملك جيمس

مجلس الدولة سيكون من سبعين عضواً أسوة بعدد أعضاء السنهدريم (المجلس الاعلى اليهودي القديم).

لم يعد الأطفال يعمدون بأسماء القديسين المسيحيين المحبوبين، بل أخذوا يحملون أسماء المقاتلين والبطاركة العبرانيين، «وحولوا الاحتفال الأسبوعي الذي كانت تقيمه الكنيسة منذ زمن بعيد وتحتفل فيه بذكرى بعث المسيح إلى السبت اليهودي».

وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فاعتنق اليهودية كما فعل جون تراسك وجميع أتباعه، وبعض الشخصيات المهمة كالفنان والرسام الشهير الكسندر كوبر. أما الذين بقوا على مسيحيتهم فقد أخذوا ينظرون «بعطف متزايد إلى أولئك الذين أطلقوا عليهم اسم شعب الله القديم».

وكان من المستحيل أن يتشرب المرء بتاريخ العهد القديم، وأن يسترجعه كوحي سماوي، ويعيش معه كمرشد يومي ولا يحترم الشعب المسؤول عن ذلك كله. وهكذا أخذت فكرة الشعب اليهودي المختار تلعب دوراً متميزاً في الفكر الإنكليزي البيوريتاني والنظام القائم.

(من كتاب **الصهيونية غير اليهودية** لريجينا الشريف، ص ٣٨ ـ ٥٤)

موقع القدس في «أصولية» العلاقات الأميركية ـ الإسرائيلية



تهويد القدس: علامة مهمة من علامات الأفكار الألفية..

عندما وصفت الجمعية العامة للأمم المتحدة الصهيونية بأنها «شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري» في قرارها الرقم ٣٣٧٩ (٣٠) الصادر في ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر العام ١٩٧٥ أصيب الرأي العام الغربي عموماً، والأميركي خصوصاً بصدمة عنيفة. ولخص برنارد لويس الموقف بقوله «ليست الصهيونية حركة عنصرية في الأساس، ولكنها شكل من أشكال القومية أو حركة تحرير وطني بالمصطلح الحديث، وأهم ما فيها هو الديانة اليهودية بتأكيدها المستمر على صهيون والقدس والأرض المقدسة، وكان للإيمان بالمسيح المنتظر وحركات الإحياء الديني التي ظهرت بين اليهود منذ القرن السابع عشر مساهمة مهمة في نشوء هذه الحركة»، وعندما «عدلت» الجمعية العامة للأمم المتحدة عن قرارها، وقامت ـ من خمس سنوات ـ بإلغاء القرار المشار إليه، عبّر مساعد وزير الخارجية الأميركي حنئذ لورنس ايغلبرغر الذي حضر عملية التصويت (على الإلغاء) عن سعادته وسعادة الحكومة الأميركية بقوله: «إن إلغاء القرار تميز بطابع إنساني، كما أنه يدفع إلى طي إحدى آخر بقايا الحرب الباردة». **هذه الدراماتيكية التي صاحبت صدور القرار كما صاحبت إلغاءه ثم الابتهاج الأميركي بهذا الإلغاء لا بد من أن يثيرا التساؤل حول أهم أسباب التحالف الاستراتيجي الأميركي ـ الإسرائيلي وتداعيات ذلك على المصالح العربية..**

المقارنة الأولية لهذا التساؤل لا بد أن تتم عبر محاولة الغوص تحت سطح العلاقات الظاهرة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، لتقترب من الأساس «**الأصولي العقائدي**»، أي البعد الديني في هذه العلاقات.

والملاحظة الجديرة بالانتباه هنا أن الالتزام السياسي

والاستراتيجي الأميركي بإسرائيل على قاعدة المصالح المشتركة، تحول إلى التزام عقائدي ـ أصولي ديني خلال العقدين الماضيين، وتأتى ذلك من خلال تنامي «التيار المسيحي الأصولي الغربي» الذي تلاقى فرع منه مع «الصهيونية اليهودية» فكان تزاوج المعتقدات الدينية بضرورة مساعدة اليهود في تحقيق حلم «إسرائيل الكبرى».

أبلغ توضيح لهذا التزاوج، هو ذلك المؤتمر الذي عقد في إسرائيل تحت عنوان «**المؤتمر المسيحي الصهيوني الأول**» في العام ١٩٨٨ (عقد أول مؤتمر مسيحي صهيوني دولي في مدينة بال في سويسرا من ٢٧ إلى ٢٩ آب/أغسطس ١٩٨٥، وهو المكان نفسه الذي عقد فيه أول مؤتمر يهودي صهيوني في آب/أغسطس ١٨٩٧). وبنى هذا المؤتمر (١٩٨٨) دعوته لتعضيد إسرائيل على فكرتين رئيسيتين: **الأولى، علاقة إسرائيل الخاصة بالله كشعب، والثانية، إن عودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس الدولة ـ حسب فكرهم ـ يعجل بالمجيء الثاني للمسيح، والذي أحد شروط مجيئه تأسيس «دولة إسرائيل الكبرى» ليحكم من «أورشليم» العالم لمدة ألف عام سعيد.**

والواقع أن عقيدة المجيء الثاني للمسيح هي من العقائد المتميزة في الديانة المسيحية، إذ تعتبر أحد الأركان الأساسية للإيمان، كما أن توقع المجيء الثاني للمسيح من أهم مواضيع الإنجيل، وكل مسيحيي العالم يؤمنون بهذه العقيدة، إلا أن الاختلاف يقع في كيفية تفصيلات هذا المجيء. وكان هذا الاختلاف من أهم العوامل التي ساعدت الصهيونية على النفاذ من خلاله لتقنع «بعض» المسيحيين بأن عودة اليهود إلى فلسطين، وتأسيس دولة إسرائيل، والوصول إلى الهدف الصهيوني في «إسرائيل الكبرى» إنما هو تمهيد للمجيء الثاني للمسيح «حرفياً» لمدة ألف عام. **ويكفي أن نعرف أن مقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» هي مشروع «بروتستانتي ـ صهيوني» قدم إلى مؤتمر لندن في العام ١٨٤٠، وأن أول جماعة ضغط صهيونية قامت في الولايات المتحدة الأميركية أسسها رجل دين بروتستانتي هو بلاكستون في العام ١٨٨٧ لمصلحة إقامة دولة يهودية في فلسطين.**

بل إن ما يزيد الأمر وضوحاً، هو ما يطلق عليه «معركة هرمجدون» ذلك الخيال الأسطوري الذي استطاع الفكر الصهيوني من خلاله أن يوجد قاسماً مشتركاً بين «الصهيونية اليهودية» و«الصهيونية المسيحية». وهي معركة يعتقد المسيحيون «المتهودون» **أنها ستقع في سهل هرمجدون بين القدس وعكا**، وأن التنبؤ بها ورد في أسفار حزقيال ويوحنا ويوشع، وهي تقول إن قوات الكفار من «المسلمين» و«الملحدين» سوف تدمر فيها، إلى أن يظهر المسيح فوق أرض المعركة، ويرفع المؤمنين به ويخلصهم من الدمار، وبالتالي يحكم العالم لمدة ألف عام تقوم بعدها القيامة. وتؤمن «المسيحية الأصولية الغربية» بأن هذه المعركة تسبقها ثلاث علامات: **أولها** قيام إسرائيل وهذا حدث العام ١٩٤٨ فاعتبروا ذلك أعظم حدث في التاريخ، ومصداقاً للنبوءة الدينية، **وثانيها** «احتلال القدس» إذ أنها تمثل المقر المفترض لحكم المسيح العائد للعالم، ولذلك تواصلت ضغوط الحركة الأصولية الأميركية للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، واستجاب الكونغرس لذلك فعلاً في نيسان/أبريل ١٩٩٠، **وثالثها، إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى**، ووضعت خريطة الهيكل الجديد فيما تتواصل الحفريات تحت المسجد بحجة البحث عن آثار يهودية.

في هذا السياق «الخيالي ـ الأسطوري» استطاع الفكر الصهيوني أن ينشئ التحالف بين إسرائيل «الدولة اليهودية» وبين الحركة المسيحية «الأصولية الغربية». ولأن الخلافات بين اليهودية والمسيحية «البروتستانتية الأصولية» هامشية، أو يمكن تهميشها، ولأن رؤية كل منهما لإسرائيل وللأرض الموعودة لليهود في فلسطين تتميز بكونها «رؤية أسطورية غيبية **فقد عملت الحركة الصهيونية وإسرائيل على تمتين النزعات الصهيونية، ضمن الحركة البروتستانتية الأصولية الأميركية.** بل أصبح اهتمام الصهيونية وإسرائيل بالقوة الصاعدة والمتنامية للمسيحية الأصولية أكثر من مجرد اهتمام لاهوتي أو أكاديمي، ليتعداه إلى مسألة حال من التكالب لكسب الأصدقاء والحلفاء في الولايات المتحدة الأميركية. ولعل انتصار إسرائيل في حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ واحتلال مدينة القدس كان لهما أكبر الأثر في تقوية الحركة المسيحية الأصولية الأميركية. فكان أن خرج هذا الجناح إلى حقل العمل السياسي، ليشكل ـ للمرة الأولى في تاريخ المسيحية الغربية ـ قوة سياسية دولية ذات نفوذ واسع، تمثل أصولية «صهيونية مسيحية» وهي القوة السياسية الأولى، **في تاريخ عقيدة الملك الألفي** التي يتاح لها أن تفرض نفوذها على قطاع كبير من النظام السياسي الأميركي. وكان ذلك ولا شك مقدمة أساسية لما سيحدث في الولايات المتحدة بدءاً من النصف الثاني لسبعينيات هذا القرن، أو بالأحرى منذ العام ١٩٧٦، وهو العام الذي يمكن اعتباره «بداية» نهوض الحركة المسيحية الأصولية كعامل سياسي رئيسي، وكعلامة فاصلة في تزايد قوة هذه الحركة من حيث العدد والإمكان والتأثير.

ويرجع ذلك إلى عاملين: أولهما، تزايد الرأي العام الأميركي أو معظمه نحو الكنيسة وما تطرحه من قيم وتقاليد، وذلك في مواجهة فييتنام وهزائم سياسية في فضيحة التسجيلات



.. بهدف المجيء الثاني للمسيح لأن أحد شروط مجيئه تأسيس «دولة إسرائيل الكبرى».

المسماة «ووترغيت» والتي أسقطت الرئيس نيكسون في العام ١٩٧٤، وبدا المجتمع وكأنه يبحث عن قيادة تخلصه من هزائمه العسكرية وفضائحه السياسية.

وثانيهما، وصول أحد أبناء الحركة البروتستانتية الأصولية إلى كرسي الرئاسة في البيت الأبيض وهو جيمي كارتر. ولا شك أن المعتقدات التوراتية التي آمن بها كارتر كانت من بين العوامل المهمة التي شكلت سياسته الخارجية تجاه الصراع بين العرب وإسرائيل، وساهمت أيضاً في توفير المناخ لنهوض الحركة «الصهيونية المسيحية المعاصرة»، **إذ يكفي أن نذكر هنا ما جاء في بيان كارتر الانتخابي من أن «تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية»**. إضافة إلى أنه أول رئيس أميركي يؤسس لجنة رئاسية لموضوع «الهولوكست» أو «حرق اليهود في العهد النازي». ومثلما كانت الأصولية العقائدية عاملاً قوياً في نجاح كارتر في الوصول إلى البيت الأبيض فإنها كانت أيضاً عاملاً قوياً في فشله في العام ١٩٨٠، إذ عندما وجد الأصوليون أن كارتر لم يف بوعوده لهم، خصوصاً بالنسبة إلى موضوع إقرار الصلاة في المدارس ومنع الإجهاض، تحولوا عنه **وأسقطوه ليأتي رونالد ريغان كرئيس أكثر أصولية، بل كان «صهيونياً بروتستانتياً» متشدداً.**

ومع وصول ريغان إلى البيت الأبيض، صعد الاتجاه اليميني المحافظ لحكم الولايات المتحدة وهو الاتجاه الذي أسس برامجه السياسية والاقتصادية والثقافية على تحالفات مع الحركة «المسيحية الأصولية» وعلى مبادئ «عقائدية» محافظة ولقاء على أرضية مشتركة في دعم «غير مشروط» لإسرائيل. ولذلك انتخب ريغان لدورتين لأنه كان أكثر التصاقاً بأهداف الحركة الأصولية. **ومن بعده، أعطى الأصوليون أصواتهم إلى جورج بوش نائبه الذي حظي بتأييد ريغان وقيادات الحركة الأصولية لما عرف عنه من إيمان أصولي.** أما في ما يتعلق بالرئيس بيل كلينتون فنكتفي بالإشارة إلى ما مثله كارتر (خلال فترة ولاية كلينتون الأولى) في موقع أحد أهم مستشاريه في القضايا العالمية الساخنة، بداية بما يتعلق بالشرق الأوسط ثم بعد ذلك في ما يحدث في البوسنة والهرسك..

(حسين معلوم، «الحياة»، ٣١/ ١/ ٢٠٠١)

جماعات يهودية تخطط لبناء الهيكل مكان المسجد الأقصى



إسرائيل تضع حجر الأساس للهيكل الثالث في الحرم القدسي: العلامة الثالثة التي تشير الى قرب معركة هرمجدون.

لم يكن اليهود يتحدثون بشكل صريح عن بناء «الهيكل الثالث»، مكان المسجد الأقصى إلا بعد احتلال إسرائيل للقدس كلها والسيطرة عليها. ومنذئذ والحديث لا ينقطع عن هذا الموضوع خصوصاً بين اليهود الأرثوذكس. وكان لبعض الحاخامين دور في تشجيع هؤلاء على الدخول إلى الحرم الشريف والصلاة فيه على رغم أنف المسؤولين الفلسطينيين بعد أن أصدروا فتاوى تجيز لليهود الدخول إلى المكان والصلاة فيه. وكان حاخامو اليهود يترددون في إصدار مثل هذه الفتاوى في السابق خوفاً من أن يمشي اليهودي على ما يسمونه مكان قدس الأقداس الذي يفترض فيه أن يكون قد بقي بعد تهديم الهيكل السابق حيث كان يوضع فيه تابوت التوراة. أما الذين يجوز لهم دخول المكان فهم يقولون بأن المكان هو مكان يهودي مقدس لا يجوز أن يبقى بيد أعداء اليهود، وأن على اليهود أن يدخلوه بغرض انتزاعه منهم على المدى البعيد. ويرى هؤلاء أن الدخول إلى حرم المسجد أو ما يسمونه جبل الهيكل من قبل اليهود إنما هو بداية لسيطرتهم عليهم ومن ثم بناء «الهيكل الثالث» مكانه.

ومنذ السبعينيات أخذ أفراد من اليهود الأرثوذكس يصلون عند حرم المسجد، ولما كانت تحصل بينهم وبين بعض مسؤولي الوقف شجارات قاموا بتقديم طلب إلى المحكمة العليا لتسمح لهم بالدخول والصلاة. **وأصدرت المحكمة العليا قراراً عام ١٩٨٣ بالموافقة على ذلك. وبعد هذا التاريخ بسنة تجرأ بعض هؤلاء اليهود وقام بمحاولة تفجير مسجد قبة الصخرة.**

وفي عام ١٩٨٦ أصدرت مجموعة من الحاخامين كان منهم شلومو غورين ـ رئيس الحاخامين الأشكنازيم السابق ـ بياناً دعوا فيه إلى بناء كنيس في حرم المسجد، كما طالبوا أن تكون السيطرة لليهود عليه. ولم يفتهم في البيان أن يشيروا إلى احتمال بناء «الهيكل الثالث» في المستقبل القريب. وكان الحاخام غورين قال في تصريح له «لا يمكنني أن أترك هذه الدنيا من دون التأكد من أن اليهود سيصلون مرة أخرى على جبل الهيكل».

ومنذ سنين طويلة نظم حاخامون وبعض اليهود الناشطين أنفسهم في جمعيات لتحقيق فكرة بناء الهيكل والتحضير لهذا الهدف. وأخذت هذه الجمعيات تقوم بجمع التبرعات وإصدار

الكتب والمنشورات وإنشاء المؤسسات. وفي السنين الأخيرة اتخذ هذا النشاط بعداً آخر، فبينما كان النشاط مقتصراً في السابق على اليهود الأرثوذكس عموماً ظهرت قبل سنوات جماعات أعضاؤها من العلمانيين تعمل وتنشط لبناء الهيكل. ومن هذه واحدة اسمها «اليهود العلمانيون من أجل الهيكل».

إحدى هذه الجمعيات الناشطة جمعية اسمها «**حي وأبدي**» ويرأسها يهودا عصيون. وكان يهودا عضواً في منظمة يهودية سرية خططت لتفجير مسجد الصخرة عام ١٩٨٤. **وهو يعلن دائماً بأن الشريعة اليهودية تأمر اليهود بأن يقوموا بالتحضير لبناء «الهيكل الثالث»**. ويقول إن هذا يشمل جمع الأموال الضرورية لبنائه ليشتري بهذه الأموال ذهباً يحتفظ به إلى وقت بنائه. ونظمت هذه الجمعية بالتعاون مع جمعيات أخرى مؤتمراً في القدس من أجل جمع الأموال وإنشاء مشروع لذلك يسمى «**خزانة الهيكل**» ويدعو يهودا علناً إلى تفجير الحرم، كما أنه يطالب الحكومة الإسرائيلية بالسيطرة عليه والتحضير لبناء «الهيكل الثالث».

وهناك جمعية «**حركة التخطيط للهيكل**» التي يرأسها الحاخام يوسف البويم، وتصدر الحركة مجلة اسمها «**المعبد سيبنى**» وهي تحمل دائماً صورة للهيكل الذي سيبنى على غلافها. ويكتب في هذه المجلة أشخاص معروفون من حاخامين وغيرهم. ومن هؤلاء نعوم ليفانت وهو أخو وزيرة سابقة في حكومة نتنياهو. ويصل عدد المشتركين الذين يدفعون اشتراكاً إلى عدة آلاف. ويقوم هذا الحاخام بإعطاء دروس في مدرسة دينية للذين يريدون الصلاة في الحرم القدسي. وهو يأخذ الأفراد إلى هناك من وقت لآخر وفي المناسبات الدينية اليهودية ويقوم بتنظيم زيارات جماعية.

وهناك جمعية اسمها «**سكوت شلايم**» وتقوم بتشجيع اليهود على الذهاب إلى الحرم والصلاة عنده كمكان للهيكل اليهودي. وهي تطبع الكثير من الأدبيات عن موضوع «الهيكل الثالث» وهي تقول إنها تريد تثقيف الناس وتوعيتهم عنه.

وعطرت كهونيم (تاج الكهنة) هي جمعية ومدرسة دينية بالاسم نفسه وهي تقوم بتدريب الطلاب منذ الصغر ليصبحوا كهنة يخدمون في الهيكل الجديد، وتدرس أيضاً طقوسه وشعائره. وهذه الجمعية معروفة بنشاطها أيضاً في الاستيلاء على عقارات الفلسطينيين في القدس، وممولها الرئيسي المليونير الأميركي اليهودي مسكوفيتش.

كما ان **حركة «كاخ»** المعروفة بتطرفها أيضاً لها جمعية سرية تهدف إلى تهديد المسجد وبناء «الهيكل الثالث» ولها مدرسة يرأسها الحاخام يهودا كروسر تنشر الأدبيات عن كيفية زيارة مكان الهيكل المفترض والصلاة عنده. وتعتمد المدرسة في مناهجها على أفكار الحاخام كهانا. وهناك مدرسة أخرى تابعة لهذه الحركة أيضاً اسمها **مدرسة «جبل الهيكل»** يرأسها الحاخام يتمار بن غابير ويرتبط بحركة «كاخ» معهد اسمه «**معهد أبحاث الهيكل**» ويرأس هذا المعهد شخص اسمه إسرائيل أرئيل. وكان الرجل الثاني في حركة «كاخ» وهو من مؤيدي استعمال العنف ضد العرب، وأعرب عن سعادته حين ارتكب غولدشتاين المذبحة ضد العرب في مسجد الخليل، ويسميه «قتيل الله». ويعتبر «معهد أبحاث الهيكل» من المؤسسات التي تعمل بنشاط في هذا المجال وهو يقع في القدس. وتحمل التذكرة التي تباع للزائرين صورة الهيكل الذي سيبني ويزوره آلاف الزائرين. وتعطي الحكومة الإسرائيلية منحة لهذا المعهد.

ومن هذه الجمعيات واحدة اسمها «**جمعية إعادة بناء الهيكل**» وتقوم هذه بتنسيق الجهود والنشاطات بين الجمعيات التي تعمل على بناء «الهيكل الثالث».

وحركة «غوش أمونيم» التي فرخت بعض هذه الجماعات هي أيضاً من الداعين إلى بناء الهيكل. وحذرت في إحدى مقالات أدبياتها «أولئك الذين يرتكبون خطأ إبقاء الهيكل تحت سيطرة المسلمين، وأن الناس يمتلئون غضباً وسيقومون بثورة يستعملون فيها كل الوسائل غير القانونية لحل هذه المشكلة». وتعتبر مستوطنة «يصهر» مركز نشاط مستمر لهذا الغرض، وقد ألف اثنان من حاخاميها كتاباً عنوانه «**إلى جبل موريا**» ـ واليهود يطلقون اسم «موريا» على المكان الذي يقع فيه المسجد ـ ويذكر الكتاب الطرق التي يحضر بها اليهودي نفسه لزيارة المكان وإقامة الشعائر، وغير ذلك من قضايا أخرى ترتبط بالموضوع. **ويعتقد المؤلفان بأن بناء الهيكل سيتحقق، وأن القضية هي قضية وقت لا غير على رغم وجود عقبات أمام تحقيق هذا الغرض.**

أما **حركة جبل الهيكل ومؤمني أرض إسرائيل** فهي حركة أنشأها عسكري سابق في الجيش الإسرائيلي اسمه غرشوم سلومون، وهو يقول بأن حركته أنشئت منذ سنين طويلة. وجاء في العدد الأخير من نشرة الحركة الإنكليزية *The Voice of The Mount Temple* «قبل ٢٣ سنة، وبعد حرب حزيران مباشرة قررنا أن ننذر أنفسنا من أجل بناء الهيكل الثالث ليكون حقيقة واقعة في حينه». **وفي العدد نفسه من هذه النشرة يحدد الأهداف البعيدة المدى للحركة على الشكل الآتي:**

١ ـ تحرير جبل الهيكل من «الاحتلال» العربي الإسلامي. «إذ أن قبة الصخرة والمسجد الأقصى بنيا على مكان يهودي وتوراتي مقدس، وهما رمز للفتح والسيطرة الإسلامية، وإن جبل الهيكل لا يمكن أن يكون مقدساً للرب من دون إزاحة هذه «المعابد الوثنية». وهما يجب أن يهدما ويبنيا مرة أخرى في مكة».

٢ ـ إعادة بناء «الهيكل الثالث» طبقاً لنبوءات الأنبياء العبرانيين وسيكون هذا الهيكل بيتاً للصلاة والعبادة لليهود ولكل الناس، كما أنه سيكون مركز تجمع توراتياً حيث سيحقق اليهود من خلاله وصايا الرب ويجتمعون في المناسبات والأعياد الدينية حيث وضع الله اسمه إلى الأبد.

كما أن بناء الهيكل سيحقق رؤيا جبل سيناء لجعل الشعب اليهودي شعباً مختاراً وشعباً مقدساً متجرداً لعبادة الرب



البقرة الحمراء النادرة: تحرق ويخلط رمادها بالنار ويطهر بها اليهود عند الدخول الى الهيكل بعد بنائه. ومن دون ذلك يبقون مدنسين الى الأبد.

ويكون هداية لكل الشعوب ومقدساً لاسم الرب، ويحقق الحياة التوراتية.

٣ ـ جعل أورشليم مدينة توراتية حقيقية غير مقسمة وعاصمة أبدية لدول إسرائيل.

٤ ـ مساندة المستوطنات في «أورشليم ويهودا والسامرة» وكذلك في الجولان لأن هذه المستوطنات هي مقدسة ولا يجوز أن يسمح لأي أحد أن يخالف أوامر الرب وإرادته بإخراج المستوطنين من مستوطناتهم، إذ أن الرب أمر بني إسرائيل أن يستوطنوا الأرض بشكل كامل وأن هذا الأمر ما زال ساري المفعول، كما أن هناك رابطاً مقدساً بين الرب وشعب إسرائيل وأرضها وهو رابط أبدي لا يمكن انفصامه أو فصله.

٥ ـ رفض محادثات السلام التي سينتج عنها تقسيم إسرائيل ومخالفة عهد الرب، إذ أن الرب وعد إبراهيم ونسله بأن أرض إسرائيل وحدودها هي أبدية ولا يمكن أن تعطى لأناس آخرين، إذ أنه ليس من حق أحد أن يساوم على هذه الأرض فهي أرض اللـه أعطاها لإبراهيم واسحق ويعقوب **وليس من حق إسرائيل أن تعقد اتفاقات تتعلق بالأرض مع أية جهة كانت خصوصاً مع منظمة التحرير الفلسطينية**، كما أن على الحكومة الإسرائيلية أن تلغي ما يسمى بالدولة الفلسطينية على أرض إسرائيل، إذ أن رب إسرائيل يريد منها أن تفرض سيطرتها على «يهودا» و«السامرة» وغزة لأن هذه الأراضي تعود إلى اليهود، وأن على الحكومة الإسرائيلية أن تقول كلمة «لا» بقوة لمن يريد أن يضغط عليها.

ويقول إن التحضير قائم على قدم وساق لنحت حجارة الهيكل والأدوات والمواد التي تستعمل فيه. واختيرت إحدى العوائل اليهودية لتقطيع الصخر وهي من أصل عراقي لأجدادها خبرة في تقطيع الصخر ونحته طبقاً لمواصفات معينة. وكانت الصخرة التي تزن عدة أطنان التي جاءت بها الحركة إلى الحرم الشريف من عمل هذه العائلة، وتم تحضير الكثير من الآلات الموسيقية والملابس والأدوات. ويقول بأن تحضير البخور الذي يحرق داخل الهيكل استغرق ١١ سنة، وهو الآن جاهز على شكل سائل وصلب. كذلك حضرت الصبغة الزرقاء التي يلون بها ثوب الصلاة (الطاليت)... كما أن نموذجاً لتابوت التوراة انتهى العمل منه. كذلك صنعت بعض الآلات الموسيقية التي تستعمل في الهيكل التي كان يستعملها اللاويون في العبادة. كما أن العمل مستمر لتحضير ملابس الكهنة التي يلبسونها في العبادة في الهيكل. **والبحث الآن مستمر عن كيفية عمل المنوراه (الشمعدان) التوراتية. فهي يجب أن تعمل من قطعة واحدة من ذهب**

خالص. كما أن نموذجاً للمذبح قد عمل بحجم عدة أمتار من الصخر وهو الآن مدفون في مكان سري قرب الحدود الأردنية. ويقول إننا نعمل كل هذه بشكل دقيق لكي تتطابق مع ما تقرره التوراة وبعض هذه الأشياء معروض الآن في مركز الحركة في القدس. كما أنها تقوم بتدريب الكهنة الذين سيخدمون في الهيكل حيث أنشأت فصولاً خاصة لهم. وهناك مشروع لإنشاء مستوطنة خاصة بهم في الضفة الغربية.

وفرحت الحركة كثيراً عندما ولدت بقرة حمراء في إسرائيل، وهذه البقرة طبقاً لما جاء في التوراة والتلمود ضرورية عند وجود الهيكل حيث تحرق ويخلط رمادها بالنار ويطهر بها الكهنة وغيرهم عند الدخول إلى الهيكل. كما أن بقرة أخرى ولدت في الولايات المتحدة لأحد أعضاء هذه الحركة. وذهب رئيس الحركة إلى هناك لفحصها والتأكد منها. وهو يقول عن هذه البقرة «أنه يجب الاعتناء بها ورعايتها لأنها مقدسة ومخصصة للرب وهي لا بد أن تربى بشكل خاص وتطعم طعاماً خاصاً وتوضع في مكان نظيف لوحدها، ولا يجوز أن تختلط مع أبقار أخرى خصوصاً الذكور ويحرم استعمالها في أي عمل من الأعمال». **ويقول كذلك، بما أن ولادة البقرة الحمراء نادرة جداً فإن ولادة أكثر من بقرة في الوقت الحالي بعد ألفي سنة من تهديم «الهيكل الثاني» هو عمل إلهي مقدر ويدل على أن وقت بناء «الهيكل الثالث» قد قرب**.

ويقول أيضاً أننا مستمرون في توعية الناس في إسرائيل وفي العالم حول المعبد والحاجة إليه في الوقت الحاضر. ونجحنا نجاحاً باهراً في هذا المجال، وأشارت الاستطلاعات إلى أن غالبية الإسرائيليين تريد إعادة العبادة في الهيكل كما أن هناك الملايين من الناس في العالم يريدون ذلك أيضاً.

وهو يشكر الناس من كل أنحاء العالم «الذين فتحوا لنا قلوبهم وأرونا حبهم لرب إسرائيل حين أرسلوا لنا التبرعات السخية. وقد تسلمنا قطعاً من الذهب والفضة والمجوهرات، وساعدنا هذا على التحضير الذي قمنا به ونقوم به... ونحن نقبل كل تبرع يرسله الناس وكل متبرع سيباركه الرب». وفي مقالة كتبها حديثاً تحت عنوان «مئة سنة من عمر الحركة الصهيونية»، قال إن هناك ثلاثة شروط لتحقيق خلاص اليهود وظهور المخلص وهي:

إنشاء إسرائيل في الأرض التي وعدها الرب لإبراهيم واسحق ويعقوب، وجمع اليهود فيها من أطراف الأرض، وإعادة بناء الهيكل، **وتحقق الشرطان الأولان من خلال معجزات الرب وأما الشرط الثالث (بناء الهيكل) فسيتحقق قريباً**.

وهو يربط بين بناء الهيكل واستمرارية بقاء اليهود، فيقول: «نحن نريد للرب أن يكون في وسط اليهود، إن اليهود لا يمكن أن يستمروا على قيد الحياة إذا لم يكن الرب بينهم. إن الرب اختار هذا المكان ليكون باباً للسموات يعكس جلاله وبركته وحبه لإسرائيل. ومنذ تهديم المعبد أغلق هذا الباب. ومنذ هجرة اليهود وإنشاء دولة إسرائيل بدأ هذا الباب يفتح وبدأت بركة الرب تنزل على اليهود، ولكن بناء المعبد هو الذي سيفتح هذا الباب على مصراعيه».

كما أنه يربط أيضاً بين وجود الهيكل والسلام ليس في القدس أو إسرائيل فحسب ولكن في العالم أيضاً فهو يقول: «ونحن نعرف بأنه ما دام الهيكل تحت سيطرة العرب والمسلمين (...) سوف لا يكون هناك سلام في القدس ولا في إسرائيل ولا في العالم، كما أن الرب نفسه لا يقبل بالوضع الحالي». وهو يطلب من الحكومة الإسرائيلية أن تكون شجاعة وتهدم المسجد الاقصى.

وطبقاً لما يقول أيضاً فإن بناء الهيكل سيفتح عهداً جديداً للشعوب كلها وليس لليهود فقط، وهو يؤكد على ذلك بقوله: «إن إعادة بناء الهيكل ستفتح عهداً جديداً ليس فقط في حياة اليهود ولكن أيضاً في حياة الشعوب كلها. وقد كان الهيكل في السابق القلب والروح لليهود منذ عهد الملك داود. وإن على الحكومة الإسرائيلية أن لا تسمح «بتلويث» جبل الهيكل وعليها أن تزيل «الاحتلال» العربي الإسلامي الأجنبي ومعابده، وعليها أن لا تخشى أية جهة كانت لأن الرب وعدها بالدفاع عنها والعناية بها. وعلى الحكومة أيضاً أن توقف نشاط منظمة التحرير الفلسطينية في القدس لأن هذه المدينة هي عاصمة إسرائيل الأبدية». ويقول بأن اتفاقات أوسلو وواي ريفر سيقضي عليها الرب.

ويتوقع في مقابلة في **معاريف** (٢٢/١٠/١٩٩٧) بأن حرباً كبيرة ستشتعل عند بناء الهيكل ولكنه يؤكد أن اليهود سيهزمون المسلمين ويزيلون الوجود العربي من جبل الهيكل.

(جعفر هادي حسن، أستاذ سابق في جامعة مانشستر، «الحياة»، ١/١٠/١٩٩٩)

هدم الهيكل وإعادة بنائه



يذهب بعض اليهود الى أن «الهيكل الثالث سينزل كاملاً من السماء».

من المصطلحات المتواترة في المعجم اليهودي الصهيوني مصطلح **«هدم الهيكل»** الذي يشير عادة إلى عملية هدم الهيكل على يد تيتوس عام ٧٠ ميلادية. وقد هدّم الهيكل، حسب الكتابات الفقهية اليهودية، في التاسع من آب، **ويشكل هدم الهيكل صورة أساسية في الوجدان الديني اليهودي، فهو يذكر عند الميلاد والموت**. وعند الزواج، يحطم أمام العروسين كوب فارغ لتذكيرهم بهدم الهيكل (وقد ينثر بعض الرماد على جبهة العريس). وفي الماضي، حينما كان اليهودي يطلي منزله، كان الحاخامات يوصونه بأن يترك مربعاً صغيراً دون طلاء حتى يتذكر واقعة هدم الهيكل. وفي كل عام، يحتفل بذكرى هدم الهيكل بالصيام في التاسع من آب. وعند كل وجبة، ومع كل صلاة في الصباح، يتذكر اليهود الهيكل، ويصلون من أجل أن تتاح لهم فرصة العودة إلى الأرض المقدسة والاشتراك في بناء الهيكل. كما تتلى صلاة خاصة في منتصف الليل حتى يعجل الإله بإعادة بناء الهيكل. **ويذهب الشرع اليهودي إلى أن اليهودي يتعين عليه أن يمزّق ثيابه حينما يرى الهيكل لأول مرة وبعد مرور ثلاثين يوماً من آخر مرة رآه فيها.**

ويرى بعض حاخامات اليهود أن هدم الهيكل كان عقاباً لهم على ما اقترفوه من ذنوب. وهذا الرأي يأخذ به المسيحيون، حيث يرون أن ذنب اليهود الأكبر هو إنكارهم أن المسيح عيسى بن مريم هو الماشيح. وفي الكتابات العبرية، يشار إلى تخريب الهيكل بكلمة «حوربان» التي تستخدم للإشارة إلى أي دمار يلحق باليهود، ومن ذلك الإبادة النازية ليهود أوروبا.

وتذهب الكتابات الصهيونية، والمتأثرة بها، إلى أن هدم الهيكل على يد الرومان هو الذي تسبب في تشتت اليهود في المنفى على هيئة أقليات، مع أن انتشار اليهود في بقاع الأرض كافة كان قد بدأ قبل ذلك بزمن طويل وبدون قسر. والواقع أن مجموع اليهود خارج فلسطين كان يفوق بكثير عددهم داخلها قبل هدم الهيكل.

وبذلك يعود ظهور الصهيونية إلى اللحظة التي هدم فيها تيطوس الهيكل وانتهى الوجود «القومي» اليهودي في فلسطين. وهم، بهذا، يعلمنون الصورة الأساسية في الوجدان اليهودي، ويتبنونها كصورة أساسية في فكرهم السياسي، فيعمقون تزاوج

الديني والدنيوي، وتصبح العودة (أي الاستيطان بالقوة في فلسطين) فعلاً دينياً. ويقوم الصهاينة بالتأريخ لوقائع تاريخ العبرانيين، وتواريخ أعضاء الجماعات اليهودية في فلسطين، بمصطلحات مثل «الهيكل الأول» و«الهيكل الثاني». ويشير بن غوريون وكثير من العلماء الإسرائيليين إلى دولة إسرائيل باعتبارها «الهيكل الثالث».

ويذهب الفقه اليهودي إلى أن الهيكل لا بد أن يعاد بناؤه وتقام شعائر العبادة القربانية مرة أخرى حينما يعود اليهود إلى صهيون (أي فلسطين) بقيادة «الماشيح» في آخر الأيام، أي أن إعادة بناء الهيكل مرتبطة بالرؤى الأخروية لا بالتاريخ الإنساني. ولهذا، فقد تمّ تدوين هذه الشعائر في التلمود مع وصف دقيق للهيكل. ويتلو اليهود في صلواتهم أدعية من أجل إعادة بناء الهيكل. ولكن الآراء تتضارب، مع هذا، حول مسألة موعد وكيفية بناء الهيكل في المستقبل. والرأي الفقهي الغالب هو أن اليهود يتعين عليهم أن ينتظروا إلى أن يحل العصر المشيحاني بمشيئة الإله. وحينئذ يمكنهم أن يشرعوا في بنائه، ومن ثم يجب ألا يتعجل اليهود الأمور ويقوموا بإعادة بنائه، فمثل هذا الفعل من قبيل الهرطقة، والتعجيل بالنهاية (دحيكات هاكتس). **ويذهب موسى بن ميمون إلى أن الهيكل لن يبنى بأيد بشرية، كما يذهب راشي إلى أن الهيكل الثالث سينزل كاملاً من السماء. ويرى فقهاء اليهود أن جميع اليهود مدنسون الآن، بسبب ملامستهم الموتى أو المقابر، ولا بد أن يتم تطهيرهم برماد البقرة الصغيرة الحمراء.** ولما كان اليهود (جميعاً) غير طاهرين، بل ويستحيل تطهيرهم (بسبب عدم وجود الرماد المطلوب لهذه العملية)، وحيث إن أرض الهيكل (جبل موريا أو هضبة الحرم) لا تزال طاهرة، فإن دخول أي يهودي إليها يعد خطيئة. **ويضاف إلى هذا أن جميع اليهود، حتى الطاهر منهم، يحرم عليه دخول قدس الأقداس.** ولما كان مكانه غير معروف لأحد على وجه الدقة، فإن من المحتمل أن تطأ قدما أحدهم هذه البقعة. ولهذا، فإن دخول اليهود إلى هذه المنطقة محرم تماماً. وفي الفقه اليهودي كذلك أن تقديم القرابين أمر محرم لأن استعادة العبادة القربانية لا بد أن يتم بعد عودة الماشيح التي ستتم بمشيئة الاله.

ولكن هناك رأياً فقهياً يذهب إلى نقيض ذلك، حيث يرى أن اليهود يتعين عليهم إقامة بناء مؤقت قبل العصر المشيحاني، وأنه يحل لليهود دخول منطقة جبل موريا، لكن هذا هو رأي الأقلية ولم يصبح جزءاً من أحكام الشرع اليهودي. ولكن هذا الرأي ظل مدوناً مطروحاً بسبب طبيعة اليهودية كتركيب جيولوجي.

وقد استفاد الصهاينة من هذا التناقض داخل التركيبة الجيولوجية، فوصفوا الرؤية الحاخامية الأرثوذكسية بالسلبية، وقرروا أخذ زمام الأمور في أيديهم. وقد أعلن الحاخام شلومو جورين أنه حدد مكان قدس الأقداس، وبالتالي يستطيع اليهود زيارة جبل موريا.

ويمكننا الآن أن نعرض لرأي الفرق اليهودية المختلفة في العصر الحديث في مسألة إعادة بناء الهيكل. يمكننا منذ البداية أن نقسمهم إلى صهاينة وغير صهاينة. أما غير الصهاينة، فيعارضون العودة الفعلية ومن ثم إعادة بناء الهيكل. وقد حذف الإصلاحيون الأدعية الخاصة بإعادة بناء الهيكل، ويستعملون كلمة «تمبل» Temple الإنكليزية، أي «المعبد»، منذ عام ١٨١٨ للإشارة إلى الهياكل اليهودية. وهم في الواقع، يقصدون أن المعبد، أينما وجد، حل محل الهيكل، وأن الهيكل لن يتم استرجاعه أبداً. أما الأرثوذكس فيفضلون استخدام الكلمة اليونانية «سيناغوغ» للإشارة إلى المعبد اليهودي، على أن تظل كلمة «هيكل» محددة الدلالة، لا تشير إلا إلى هيكل القدس. وقد احتفظ الأرثوذكس بالأدعية الخاصة بالعودة، وتبعهم المحافظون. وتظل العودة، بالنسبة إلى الأرثوذكس، مسألة مرتبطة بعودة الماشيح. أما بالنسبة إلى المحافظين، فهي تشبه المجاز والتطلع الطوباوي المثالي.

أما الصهاينة، فينقسمون في موقفهم من قضية إعادة بناء الهيكل إلى قسمين: **صهاينة لادينيون وصهاينة دينيون**. وفي الواقع، فإن الفريق الأول لا يكترث كثيراً بالعبادة القربانية، ولا بإعادة بناء الهيكل، ولذا، فهم ينظرون إلى القضية من منظور عملي، ويرون أن محاولة الصهاينة المتدينين إعادة بناء الهيكل هي مسألة هوس ديني يهدد المستوطن الصهيوني بالخطر دون عائد مادي ملموس. ومن ثم، نجد أن مسألة إعادة بناء الهيكل لا تتمتع بشعبية كبيرة داخل إسرائيل التي تتمتع بـ أو تعاني من – واحد من أعلى مستويات العلمنة في العالم. وقد أشار تيدي كوليك (عمدة القدس) إلى المهووسين الذين قاموا بوضع حجر أساس بناء الهيكل، وبين أنهم يسيرون في خط شبتاي تسفي، ذلك الماشيح الدجال الذي ألهب حماس معظم اليهود في القرن السابع عشر، ووعدهم بالعودة إلى فلسطين، وعين بعض أتباعه حكاماً للأرض، ثم انتهت الحركة بالفشل، الأمر الذي رج اليهودية رجاً من أساسها وألقى بها في أزمة لم تفق منها قط.

ويرى الصهاينة المتدينون (المتطرفون) المسألة من منظور مختلف، فمسألة إعادة بناء الهيكل مسألة ذات أهمية مركزية بالنسبة إليهم، لذا فإنهم يركزون جلّ اهتمامهم على هذه العملية، والقضية بالنسبة إليهم **مسألة عقائدية** وليست علمية. والواقع أن كثيراً من المنظمات الإرهابية الصهيونية الجديدة قد جعلت إعادة بناء الهيكل، وهدم الآثار الإسلامية الموجودة في هذا الموقع، من أهم أهدافها.

وهناك منظمة يهودية تسمى «أمناء جبل الهيكل»، يرأسها ضابط سابق هو جيرشون سالومون يمولها المليونير الأميركي (المسيحي الأصولي) تري رايزنهوفر، جعلت بناء الهيكل الثالث هدفها الأساسي. **ويقود المتطرفون الصهاينة حملة لتأكيد أن المنطقة التي يوجد عليها الآن كل من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة هي المنطقة التي كان يوجد عليها الهيكل، ومن ثم فلليهود حقوق مطلقة فيها.**

(عبد الوهاب المسيري، «الاتحاد»، ٢٠٠١/٨/١٢)

الكنيسة الأنغليكانية
تؤيد القدس عاصمة لإسرائيل ودولة فلسطينية



من الكنائس الأنغليكانية في بريطانيا.

اعتبر المشاركون في مؤتمر الكنيسة الانغليكانية الذي يعقد في كانتربري أمس أن القدس يجب أن تكون عاصمة لإسرائيل ولدولة فلسطينية مستقلة.

وأكد ٦٥٠ أسقفاً يشاركون في هذا المؤتمر الذي يعقد كل عشر سنين أنه ينبغي أن يتمكن جميع المسيحيين واليهود والمسلمين من دخول القدس بكل حرية.

ويبلغ عدد أتباع الكنيسة الانغليكانية المنتشرة في ١٦٠ بلداً والتي أنشأها الملك هنري الثامن في القرن الـ ١٦ رداً على رفض البابا إلغاء زواجه الأول، نحو ٧٠ مليون شخص في العالم.

(«النهار»، ١٩٩٨/٨/٧)

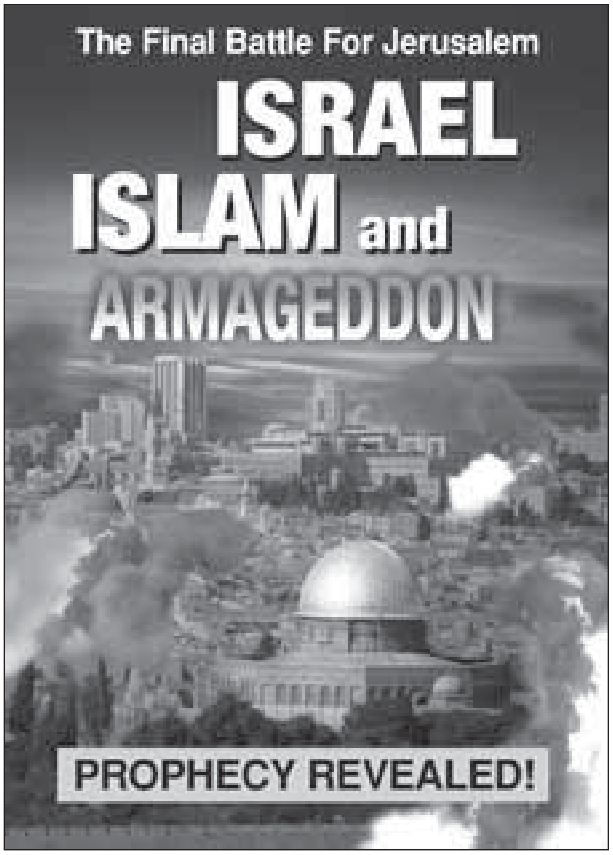
صهاينة غير يهود يهجرون آلاف اليهود الى فلسطين

..المسيحيون الألفيون يعتقدون بأن جمع اليهود من أطراف الأرض وإسكانهم في فلسطين هو أحد الشروط المهمة لنهاية هذا العالم وحدوث «الهرمجدون» وظهور المسيح عيسى مرة أخرى حين يحكم العالم من فلسطين لفترة ألف سنة يسودها العدل والسلام كما وردت النبوءات بذلك طبقاً لتفسيرهم لها. هؤلاء الألفيون الذين يعتقدون بهذا ليسوا من مذهب واحد وإنما هم من مذاهب مختلفة. ويرجع هذا المعتقد على الأقل إلى القرن السادس عشر حين تبنى هذا المعتقد جماعات من البروتستانت والبيوريتانيين، ثم انتقل إلى جماعات مسيحية في الولايات المتحدة إذ كانت هناك حركة قوية في بداية القرن الثامن عشر تؤمن بهذه الفكرة وتدعو إليها وإن بعض هذه الجماعات الألفية جعلت فكرة جمع اليهود في فلسطين فكرة رئيسية في معتقدها.

وكان من هذه الفرق المسيحية فرقة المورمونز التي أنشأها جوزف سميث عام ١٨٣٠م في الولايات المتحدة. ادعى سميث بأنه أوجد المذهب المسيحي الصحيح وإن كل المذاهب المسيحية الأخرى غير صحيحة. وهذه الفرقة هي من الفرق الألفية التي تعتبر جمع اليهود في فلسطين علامة رئيسية للظهور الثاني للمسيح عيسى.. ومن هذه الفرق فرقة «**إخوان المسيح**» التي أنشأها جون توماس عام ١٨٤٨م. .أكدت هذه الفرقة أيضاً في عقيدتها منذ البداية على ضرورة جمع اليهود في فلسطين وساعدت كذلك بعض الجماعات الصهيونية مثل «أحبة صهيون» على الهجرة إلى فلسطين. كذلك قامت بمحاولات لمساعدة اليهود في الحرب العالمية الثانية. ومن هذه الفرق أيضاً **فرقة البلموثيين** (من مدينة بلموث البريطانية) أوجدها جون دربي عام ١٨٨٤م وهي أيضاً تؤكد على ضرورة جمع اليهود في فلسطين قبل مجيء المسيح عيسى مرة أخرى.

وبعد ظهور الصهيونية في القرن الماضي، ازداد نشاط هؤلاء المسيحيين حتى قام بعضهم بالذهاب إلى فلسطين للمساعدة في إنشاء المستوطنات اليهودية. ومن هؤلاء رجل الدين الكندي هنري مونك.. ومنهم المبشر وليام هكلر (ت ١٩٣١م) صديق تيودور هرتزل الذي فتح أمامه أبواباً لمقابلات شخصية مهمة، والاميركي وليام بلاكستون (ت ١٩٣٣م) مؤلف كتاب «**المسيح عيسى آت**» إذ أكد في هذا الكتاب على ضرورة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. قام بعدة محاولات في هذا الاتجاه، وقدم طلباً إلى رئيس الولايات المتحدة عام ١٨٩١م كذلك في العام ١٩١٦م حين طالب بتدخل الولايات المتحدة لتهجير اليهود إلى فلسطين ووقع الطلب مئات الأميركيين المشهورين.

فل هنتر هو النموذج الحديث لهؤلاء، وهو يعبر عن سعادته



المعركة الأخيرة من أجل القدس: تحقق النبوءة.

بأن الظروف مهيأة له ليقوم بتنفيذ خطط الرب. وهو ينتقد تاريخ الكنيسة، ويقول إنها مارست اللاسامية لفترة ألفي سنة، وإن أكثر المسيحيين هم أناس عمي لا يعرفون ما هو مطلوب منهم تاريخياً، إذ أن الرب قد أعطى الشريعة وكتب الأنبياء والمزامير لليهود وهذه لا يمكن أبداً أن تؤخذ منهم. «**ونحن يجب علينا أن نقوم بها حتى نقرب نهاية العالم التي وردت النبوءات عنها في العهد القديم حين سيجمع الرب شعبه في أرضه وإن هذه النبوءات التي قيلت قبل ٢٥٠٠ تتحقق الآن في تسعينات هذا القرن**». ويعمل مع فل هنتر فريق من ٢٦ شخصاً متبرعاً من دول مختلفة. أطلق اسم «اكسودس» على المشروع، ويشير المقطع الأول من الكلمة إلى Exodus (الخروج) فهو يعتقد بأن ما يقوم به هو خروج لليهود من الأسر وهو يسميه الخروج «رقم ٢».

وتتركز نشاطات هنتر في الوقت الحاضر على أوكرانيا ويقول إن في هذا البلد أكبر تجمع يهودي خارج الولايات المتحدة وإسرائيل. وهو يقدر عددهم بين مليون وربع.. وهو يبذل

قصارى جهده كي يضاعف العدد الذي يهجره كل سنة. ويقول إنه يريد أن ينقل يهوداً من الاتحاد السوفياتي السابق بعدد الذين قتلهم هتلر. وفي كل أسبوع يملأ فل هنتر بعض حافلاته فتأخذ هؤلاء اليهود إلى مطار العاصمة الأوكرانية ليركبوا طائرات شركة «العال» إلى إسرائيل.. ويقوم فل هنتر وفريقه بنشاطات كثيرة لإقناع هؤلاء اليهود بالهجرة إلى إسرائيل. وله موازنة كبيرة لهذه النشاطات وأهم مصادرها الجماعات المسيحية التي تؤمن بما يؤمن به. ومن مهمات الفريق الرئيسية هو السفر في طول أوكرانيا وعرضها في مدنها وقراها للبحث عن مراكز تجمع اليهود. وهم قد وضعوا خريطة مفصلة كبيرة لأوكرانيا وفيها كل موقع يوجد فيه يهود. وفي كل مرة يجمعون عدداً من هؤلاء في قاعة، وتعرض عليهم أفلام فيديو لحياة يهود من أوكرانيا هاجروا إلى إسرائيل وهم يبدون أصحاء وفرحين وسعداء..

وعندما يسأل أعضاء فريق «اكسودس» عن الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني فإنهم لا يترددون بإبداء رأيهم بصراحة فيقولون «إن الرب قد أعطى الأرض إلى بني إسرائيل، وإن حدود الدولة الحالية لا تتفق مع تلك التي وردت في العهد القديم ولذلك فإنها يجب أن تتوسع. إن هذه الحكومة جيدة لكن الأرض مقابل السلام لا ترضي الرب. وإننا نرفض ذلك إذ أن دولة إسرائيل هي صغيرة وإن عليها أن ترضي الرب وليس العرب أو أميركا. إن الرب عندما أعطى الأرض إلى الإسرائيليين كان هناك أناس موجودين في فلسطين فحاربهم هؤلاء قبل أن يستقروا فيها».

(من مقالة لجعفر هادي حسن، «الحياة»، ١٩٩٧/٤/٢١)

إعلان بلفور
(١٩١٧/١١/٢)

عزيزي اللورد روتشيلد،

يسعدني كثيراً أن أنهي إليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي تعاطفاً مع أماني اليهود الصهيونيين التي قدموها ووافق عليها مجلس الوزراء:

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وسوف تبذل ما في وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف. وليكن مفهوماً بجلاء أنه لن يتم أي أمر من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين أو بالحقوق والأوضاع القانونية التي يتمتع بها اليهود في أي دولة أخرى».

إنني أكون مديناً لكم بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى الاتحاد الصهيوني.

المخلص

آرثر بلفور

ميت رومني: مورموني مرشّح للرئاسة الأميركية يسلّط الضوء على طائفته أتباع «النبيّ»



كنيسة مورمونية أميركية.

مورموني رئيساً للولايات المتحدة الأميركية؟

مع تسجيل نجم «المورمونية» المرشح الجمهوري ميت رومني نجاحات متتالية في العديد من الولايات الاميركية، في معركة القبض على البيت الأبيض، تستقطب طائفته المثيرة للجدل اهتماماً واسعاً، وبعضه كان قَلَقاً منها وانتقادات حادة لها، في ظل نبش تاريخها. ومع احتدام المواجهة مع المنافس المسيحي المحافظ ريك سانتوريوم، توالت الدراسات عن أتباعها... وفُتِحَت أيضاً ملفات مُحرِجَة لها.

قبل أسابيع، اهتزّ معقل المورمون بإثارة ملف تعميد كنيستهم، «كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة»، يهوداً قضوا في المحرقة... لكن بعد وفاتهم، بما يُسمى «المعمودية بالوكالة».

تلك الممارسة، التي يعتقد المورمون أنهم يتيحون بها للميت تلقي البشرى في الحياة الاخرة، ندد بها زعماء يهود رأوا فيها «إهانة»، لكونها «تسلب اليهود المتوفين يهوديتهم».

تجاه تلك «الإهانة»، التي تطال أيضاً مؤمنين من ديانات أخرى، ولاسيما المسيحيين الكاثوليك، وجهت الكنيسة اعتذاراً إلى عائلات اليهود المعنيين بتلك الممارسة، وأعلنت أنها وضعت حظراً على قاعدة بياناتها الضخمة المتضمنة مئات آلاف الاسماء ليهود المحرقة وغيرهم من اليهود المرموقين، منعاً لأي محاولة جديدة يقوم بها مؤمنوها في هذا الإطار. لكن إعلانها هذا لم يكن مُطمئناً بالنسبة إلى أوساط يهودية، في ظل شكوك في جدية الكنيسة لمنع تلك الممارسة، **بعدما تبيّن أن مؤمنيها استمروا فيها، حتى**

بعد اتفاقها مع زعماء يهود في التسعينيات على وضع حد لها، وفقاً لما كشفه باحثون.

تلك الممارسة ليست وحدها التي تضع المورمون في موضع حرج. نضال كنيستهم من أجل قبولها، بدأ من اللحظة الأولى التي أعلن مؤسسها «النبي» جوزف سميث في القرن التاسع عشر أن اللـه طلب منه إرساء «الكنيسة المسيحية الحقيقية» من خلال إعادة النظر في أجزاء من الكتاب المقدس وإضافة كتاب المرمون ككتاب مقدس. ويقول إنه شاهد رؤيا في نهاية العام ١٨٢٠، طُلِبَ منه خلالها عدم الانضمام إلى أي كنيسة، لأنها كانت كلها تمارس إيماناً خاطئاً. ووجهه ملاك، وفقاً لروايته، إلى لوائح ذهبية كانت مدفونة في الأرض في تل كومورا في نيويورك، وترجمه الى «**كتاب المورمون**».

من البداية، يعتبر المورمون أنفسهم مسيحيين، لكنهم «مسيحيون مختلفون»، على قول العديد منهم. ومع أنهم يؤمنون بأن السيد المسيح هو المخلص، لا يتشاركون مع سائر المسيحيين التقليديين في أمور عدة، منها أن «الكتاب المقدس هو كلمة اللـه بقدر ما تُرجم صحيحاً، وبأن كتاب المورمون هو كلمة اللـه أيضاً». وفي المفهوم للثالوث الاقدس، يعتقدون «أن الآب والابن والروح القدس ثلاث كينونات منفصلة، وأن الآب والابن لهما صفات جسدية، بينما الروح القدس عبارة عن كينونة روحية». كذلك يؤمنون بأن اللـه دعا رسلاً وأنبياء جدداً، وأن الوحي الإلهي مستمر اليوم كما كان في الأزمنة الغابرة...

تلك المعتقدات وغيرها أثارت حفيظة المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت الذين رأوا فيها «هرطقة» وخروجاً عن الإيمان المسيحي القويم وتضليلاً للمؤمنين، ما أدى إلى مواجهة مفتوحة مع المورمون على مر العقود كانت أبعد من أن تكون مهذبة ومتفهمة. **وقد ازدادت حدتها مع اكتساب كنيسة قديسي الأيام الأخيرة مزيداً من الأتباع والانتشار والشهرة.**

وفقاً لإحصاءاتها، يبلغ عدد أتباعها اليوم نحو ١٤ مليوناً، «بزيادة مليون شخص كل ثلاثة أعوام منذ العام ١٩٧٠». وآخر حقول توسع الكنيسة تشهدها حالياً أميركا اللاتينية على حساب أفريقيا التي يتجنبها مرسلوها. فحتى السبعينيات، كانت الكنيسة تحظر على الأعضاء السود التمتع بكامل الامتيازات.

حالياً تمثل أميركا اللاتينية ٤٠٪ من مجموع أعضاء الكنيسة الـ١٤ مليوناً. ومع أن ذوي الأصول الاسبانية يشكلون جزءاً صغيراً، غير أنهم سريعو النمو. ويتوقع ديموغرافيون في مشروع «**كيموراه**»، وهو جهد بحثي خاص للمورمون تابع للكنيسة، أن يفوق عدد الأميركيين اللاتينيين عدد الأميركيين خلال بضعة عقود. غير أن هؤلاء الديموغرافيين يلفتون إلى أن أرقام الكنيسة لا تعكس الارتدادات الكبيرة.

وعن هذه الارتدادات تحديداً، سُئِل أحد «كبار المورمون» مارلن جنسن، خلال لقاء معه في جامعة يوتا في لوغان (سولت لايك سيتي). «هل يعرف قادة الكنيسة أن أعضاء «يتركونها بأعداد كبيرة؟»»، سألته امرأة. «نحن على علم»، أجابها، «وأتحدث باسم الرجال الـ١٥ الذين يتقدمونني في التسلسل الهرمي للكنيسة. في الحقيقة، هم يعرفون ذلك ويهتمون حقاً بالأمر».

وإذا كانت الكنيسة تمر بـ«أوقات عصيبة» بتكتم، فإن جنسن، وهو المؤرخ الرسمي للكنيسة، آثر يومذاك عدم تحديد أي نسبة لتلك الارتدادات، لكنه أقر بأن التناقص تسارع في الأعوام الخمسة أو الـ١٠ الماضية، بما يعكس علمنة أكبر للمجتمع. وإذ أشار الى أن أدياناً عدة أخرى تعاني الأمر نفسه من فترة، دافع أن المورمونية لم تكن يوماً أكثر حيوية. وتدارك: «أعتقد أننا في زمن من التحدي، لكنها ليست نهاية العالم».

في قاعدة بيانات بعض الدول الأجنبية التي يستهدفها المبشرون المورمون الشباب، يظهر أن معدل استبقاء المهتدين منخفض، بحيث لا تزيد نسبته عن ٢٥٪. وأفادت عالمة الاجتماع في جامعة واشنطن أرماند موس، وهي باحثة رائدة حول المورمون، أن نحو نصف المورمون فقط أعضاء فاعلون في الكنيسة، وأن هناك نحو ٥ ملايين عضو ناشط على المستوى العالمي. ومع ارتفاع الارتدادات، باشرت الكنيسة برنامجاً للحد من خسائرها. وأطلق رئيسها توماس مونسون، الذي يعتبر «النبي الحي»، على تلك الحملة تسمية «الإنقاذ». وتتضمن مجموعة جديدة من المواد الموجهة إلى الرعاة والمواد التعليمية للشباب المورمون، وتعالج الجوانب الأكثر حساسية في عقيدة الكنيسة. وقال عنها جنسن: «إذا لم تكن ثورية، فستكون على الأقل نسمة هواء منعشة في الكنيسة».

منذ صعود نجم رومني، تكثفت الدراسات حول أبناء طائفته، وأحدثها لجامعة بنسلفانيا التي بيّنت أنهم «أكرم بكثير» في منح وقتهم (التطوع) ومالهم (العشر) من الأميركي المتوسط، «ولكن غالباً ما يكون ذلك لمصلحة طائفتهم»، وهو أمر ربطه الباحثون بالمعتقدات الدينية نفسها للمورمون. من جهة أخرى، بينت دراسة لمعهد «بيو» الأميركي أن المورمون يشكلون ٢٪ فقط من نسبة سكان الولايات المتحدة. ورأى ٥٠٪ من المورمون المستطلعين أن أعضاء الكنيسة يواجهون تمييزاً ضدهم في الولايات المتحدة.

أياً تكن الأرقام، فإن تقدم رومني في المعركة الرئاسية يتابعه المورمون عن كثب، علماً أن مناقشات حول إيجابياته وسلبياته شهدها المقر الرئيسي للكنيسة في سولت لايك سيتي. ففي مقابل القلق من أن «حملة رومني قد تنشّط العداء الإنجيلي تجاه الكنيسة، أو أن تعقّد أيضاً جهودها التبشيرية هنا وهناك»، يتمثل الجانب الإيجابي في أن «فوز مورموني بالرئاسة يمكن أن يعزز صورة الكنيسة ويضفي شرعية عليها في دول أخرى».

(هالة حمصي، «النهار»، ٢٠١٢/٤/٢٥)

أهمية الكنيسة في المجتمع الأمريكي

الأصل في المسيحية على مستوى العقيدة هو مبدأ الفصل بين الدين والدنيا، وذلك تطبيقاً لقول السيد المسيح عليه السلام «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». وقد تكرر هذا المعنى كثيراً في الأناجيل، تأكيداً لفصل العلاقات الدنيوية الأسرية والاقتصادية على العلاقات الدينية، ومنع الجمع بين الدين والدنيا. وقد حسم هذا الخيار عقائدياً حينما قال السيد المسيح عليه السلام: «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال». و«من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني». و«بع كل مالك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، ويقال اتبعني حاملاً الصليب».

ولتجسيد هذا الفصل ما بين السلطة الدنيوية والسلطة الدينية على مستوى الممارسة، عمل رجال الدين على التفرغ لأداء هذه الوظيفة الدينية داخل مجتمعات خاصة بهم ومغلقة. ومارسوا سلطة تفسير وتطبيق ومراقبة تنفيذ أحكام الدين، فملكوا حق الإباحة والتحريم مما جعل لهم على الناس سلطاناً لا تستقيم حياة الناس بغير طاعته.

ولم يكن رجال الدين مجرد رهبان منعزلين عن الدنيا، بل كانوا موظفين يتقاضون أجوراً أيضاً، ويقيمون الكنائس ويتملكون العقارات والأراضي والممالك.

وفي مراحل تاريخية مختلفة صاروا أوسع الناس ملكية للأراضي وأكثرهم ثراء، مما أدى إلى حاجتهم إلى إعداد الجيوش للدفاع عن ممالكهم وإقطاعياتهم. وقد تطلب ذلك مصادر تمويل كافية ودائمة.

وفي هذا الإطار، فإن الكنيسة مؤسسة هائلة ذات سلطات دينية وتشريعية وقضائية وإدارية ومالية وعسكرية. وقد اتجهت بتعاليمها في البداية إلى دعوة رجال الدين لترك ما لقيصر وإطاعة الدولة التزاماً بالموقف النظري الديني القائل بفصل الكنيسة عن الدولة.

لكن هذا الفصل، في الممارسة العملية، وفي مراحل تاريخية مختلفة، كان يتوقف تنفيذه على موازين القوة داخل المجتمع وعلى مدى قوة الإرادة لدى طرفي العلاقة، فكانت الكنيسة والدولة تتبادلان موقع السيطرة والغلبة في المجتمع من خلال الصراع بينهما.

وقد أضعفت حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر عام ١٥٢٠ السلطة البابوية الدينية لمصلحة الدولة. وانتقلت هذه الحركة مع البروتستانت المتطهرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال القرن السابع عشر. ولأنهم كانوا القوة الغالبة،



الرئيس جيمي كارتر آمن بعقيدة «الولادة الثانية كمسيحي».

فقد سادت كنيستهم ومذهبهم، وسيطروا على كل سلطة في معظم المناطق التي استقروا فيها في شمال الولايات المتحدة الأميركية. ومن هنا يتضح بجلاء أن العلاقة بين الكنيسة والدولة تظل عرضة للتغير تبعاً لأطماع المؤسستين وقدرة إحداهما على أن تسود على الأخرى، فتتجاوز حدود المستوى النظري لعملية الفصل.

وقد استمرت هذه السيطرة البروتستانتية على الدولة حتى أواخر القرن الثامن عشر، حينما شهدت الولايات المتحدة الأميركية هجرات كثيفة من الكاثوليك، مما أدى إلى بروز مخاوف بروتسانتية من مشاركة الكنيسة الكاثوليكية لما حققته الكنائس البروتسانتية من امتيازات وسلطات دينية في مواجهة الدولة، فتراجعت البروتستانتية وعادت إلى المطالبة بتطبيق المبدأ النظري المسيحي بفصل الدين عن الدولة في مواجهة الكاثوليك. وقد تم لها ذلك، حين تم إدخال مبدأ الفصل في صلب الدستور الأمريكي بالتعديل الدستوري الأول عام ١٧٨٩.

وهكذا أقرّ الدستور الأمريكي مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة،

بحيث تقف الدولة على الحياد في العلاقات ما بين الإنسان والدين. **وينص التعديل الأول في دستور الولايات المتحدة الأمريكية الذي تم في ٢٨ حزيران/يونيو ١٧٨٩ على الآتي: «لن يصدر الكونغرس أي قانون بصدد ترسيخ الدين أو منع ممارسته».**

وقد كتب الرئيس الأمريكي جيفرسون في عام ١٨٠٢ رسالة إلى جماعة من رجال الدين في إحدى كنائس مدينة دانبيوري في ولاية كونيتيكت، أعلن فيها أن «هدف التعديل الأول في الدستور هو إنشاء حائط فاصل ما بين الكنيسة والدولة».

وهذا يعني أنه يحظر على الكونغرس سن قوانين تؤسس ديناً أو تمنع حرية التعبير الحر الديني، أو تجبر أحداً على أتباع دين معين بأية وسيلة، أو أن تساعد الدولة على ذلك مادياً أو معنوياً.

وبقدر ما حال الدستور دون قيام الدولة بدعم أي دين، فقد ألحق بهذه الفقرة الدستورية فقرة أخرى تنص على الحق في حرية التعبير الديني ولكل الأديان.

وقد قدّمت قرارات رئاسية وأحكام قضائية محلية واتحادية تفسيرات واضحة لمعنى الفقرة الدستورية المتعلقة بفصل الدين عن الدولة. من بينها استخدام الرئيس ماديسون في عام ١٨١١ لحق الفيتو (النقض) لمعارضة مشروع اقتراح يمنح كنيسة في مدينة سالم في ولاية مسيسيبي أرضاً حكومية باعتبار أن هذا المنح يتعارض مع الفقرة الدستورية السابق ذكرها.

وقد فسر القضاء الأمريكي هذه الفقرة الخاصة بالدين، حينما عُرضت في عام ١٨٩٩ على المحاكم مسألة منح مساعدة حكومية مالية لبناء مستشفى تملكه وتديره كنيسة كاثوليكية. فقد اعتبرت المحكمة المستشفى «مؤسسة علمانية وليس هيئة دينية أو تخص طائفة معينة».

لكن عندما عُرضت على المحكمة مسألة حق السلطات المحلية بتوفير وسائل مواصلات مجانية لنقل أطفال مدرسة دينية، اعتمدت لغة صارمة في تفسير الفقرة الدستورية وقالت: «لا تستطيع الولاية أو الحكومة الاتحادية تأسيس كنيسة أو سن قوانين تساعد أي دين أو تفضل ديناً على آخر أو تجبر إنساناً أو تؤثر فيه ليذهب أو ليبتعد عن الكنيسة ضد رغبته أو تجبره على الإيمان أو الكفر بأي دين».

واعتبرت المحكمة أن توفير المواصلات الحكومية المجانية للأطفال الذاهبين إلى الكنيسة هو شكل من أشكال الدعم للدين، مما يتعارض دستورياً مع الفقرة الخاصة الواردة في التعديل الأول للدستور. ووجدت أن تأثير قيام الحكومة بتوفير المواصلات المجانية سيحدث أثراً غير دستوري رغم أن الغرض منه هو توفير الرفاهية العامة للمواطنين كافة بغض النظر عن معتقداتهم الدينية.

ورأت المحكمة أن أهل التلاميذ ربما كانوا غير مستعدين لإرسال أطفالهم إلى الكنيسة لو كان يتوجب عليهم دفع أجور المواصلات.

وفي عام ١٩٦٢، حينما سمحت مدرسة حكومية في مدينة نيويورك، بناء على توصية من مجلس محافظتي ولاية نيويورك، لتلاميذها بقراءة نص شبه ديني بصوت عال في بداية كل يوم دراسي، يقول: «أيها الرب القدير، بارك والدينا وأساتذتنا وبلدنا»، اعتبرت المحكمة العليا أن السماح بذلك في المدارس الحكومية، هو عمل غير دستوري، إذ أنه ليس من مهام الدولة فرض صلوات رسمية على أية جماعة أمريكية.

وفي قضايا مشابهة قرر القضاء الأمريكي تحريم تقديم قروض من الدولة لإصدار الكتب الدراسية لمدارس دينية، معتبراً أن هذه القروض توفر فرص التعليم الديني، وهو عمل مخالف للدستور.

وقد تم إعفاء الكنائس وما يرتبط بها من متاحف ومستشفيات ومكتبات ومنظمات خيرية من دفع الضرائب. واعتبرت المحكمة العليا في عام ١٩٧٠ أن التأثير الرئيسي لهذا الإعفاء هو تأثير علماني، وأي مساعدة للدين في هذا المجال مجرد حدث عارض أو ثانوي.

ووجدت المحكمة أن عدم إعفاء الكنائس ومؤسساتها من الضرائب سيؤدي إلى قيام الدولة بتقويم الممتلكات الدينية مما يعني تدخلاً حكومياً في الشؤون الداخلية للكنيسة.

وهكذا يبدو لنا أن الفصل بين الكنيسة والدولة هو محصلة عوامل نفسية وثقافية وتاريخية وحضارية متعددة، وأن الصراع الذي ثار ويثور حول الحدود بين سلطة الكنيسة وسلطة الدولة قد تم حسمه نظرياً في صلب الدستور الأمريكي. **ومن الواضح «أن الفصل كان مقصوداً به حماية الدين من الدولة، والتحريم عليها أن تتدخل في شؤونه»**. ولكن كلما قويت شوكة الدولة ومعها ما يساندها من تيارات علمانية في المجتمع، أخذت بيدها زمام تطبيق المبدأ على الوجه الذي يحظر على الكنيسة أن تتدخل في شؤون الدولة.

وفي المقابل، فإن مكان الصدارة يميل إلى مصلحة الكنيسة حينما تكون في الدولة قوى ومؤسسات مؤثرة ذات نزعة دينية وقبول عام بالدين وبخاصة في مؤسسة رئاسة الجمهورية مثلما كان الحال مع الرئيس الجمهوري المحافظ رونالد ريغان.

ورغم الاعتراف بمبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، فإن هذا الفصل لم يؤد إلى فصل الدين عن السياسة. كما أن تأثير الدين في الحياة الأمريكية امتد ليمتزج بالتعليم والطب والأعمال والفنون والسياسة. وليس ثمة شيء ينجو من قبضته، وإن

جميع الجهود التي تبذل لعزل ناحية من نواحي الحياة عن الكنيسة ونفوذها قد ذهبت هباء، «فعن طريق الدين يمكن القيام بكل شيء».

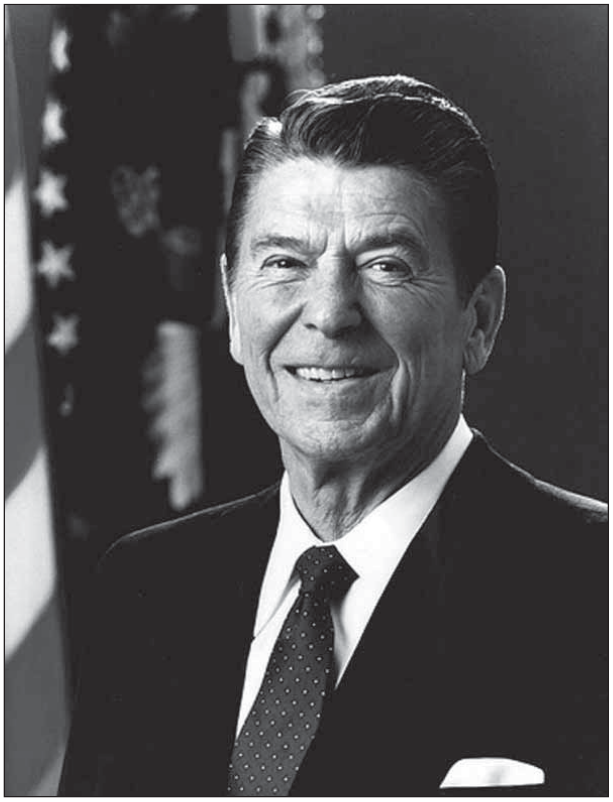
وفي اعتقادنا أن الموقف الأمريكي من إسرائيل هو نموذج واضح ومميز لاختلاط الدين بالسياسة. وقد أدى هذا الخلط إلى وجود نوع من الانفعالية الدينية الباطنية التي تدخل في صلب البيانات والتصريحات التي يلقيها القادة السياسيون والزعماء المدنيون، فقد درجوا على استخدام رموز خطابية تستقى عادة من العهد القديم من التوراة، الذي يدور في غالبيته حول تاريخ إسرائيل ومستقبلها.

ولم تعد كلمة «**إسرائيل**» مجرد اصطلاح سياسي، بل أضحت أيضاً رمزاً خطابياً دينياً. ولهذا الرمز دور مهم في ثقافة الأمريكيين وعقول السياسيين، وبخاصة أن الدولة والكنيسة المنظمة قد دخلتا في ميثاق محدد عملي للغاية تنبع جذوره من **تفهم للدور الذي تلعبه الخطابية العامة في عقول المواطنين، وعن العامل المؤثر الذي يمكن أن يكون للخطابات الرسمية على حياتهم.**

وباستخدام دين الكيان الأمريكي السياسي لأسلوب الخطاب الديني والمدني القائم على تراث المسيحية واليهودية، فقد برز نوع من الدين الشبحي لنشاط الشعب الجماعي، وهذا هو الدين المدني (Civil Religion) في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي تشمل مكوناته الإيمان بنظام المذاهب الثلاثة: البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية.

ومن هنا، فإن التفسير المقنع لدينا لما يردده السياسيون الأمريكيون بوجه خاص حول «الالتزام الأدبي ـ الأخلاقي» Moral Commitment بدعم إسرائيل، والذي لا يستعمل لأية دولة صديقة أخرى للولايات المتحدة الأمريكية سوى إسرائيل، **إنما هو تأكيد على أن ديانة هذه البلاد هي في جذورها ديانة توراتية، وضعت شروحها في قوالب عبرانية.** وبالتالي فإن استخدام الرموز الدينية الخطابية (Rhetorical Symbols) مثل أدبي وأخلاقي، والتراث المسيحي اليهودي المشترك، وإسرائيل، والأرض الموعودة.. إلخ عند السياسيين الأمريكيين وبعض العامة يهدف إلى القفز على الحائط الفاصل بين الدين والدولة، ويسد الفجوة بين المجالين الديني والسياسي في المجتمع الأمريكي.

وقبل معرفة دور الكنيسة وتحليله في الحياة الأمريكية، ومدى تأثيرها في الثقافة العامة والسياسات العامة في الولايات المتحدة الأمريكية، **تجدر الإشارة إلى أن الكنيسة الأمريكية مختلفة عما هي عليه في أوروبا. ففي الولايات المتحدة الأمريكية ترتدي الكنيسة كساء من نسيج وزخرفة أمريكيين، فمثلما يوصف الأمريكي بأنه في حالة تغير وإصلاح مستمرة، فالكنيسة كذلك أيضاً.** وفي جو الحرية



الرئيس رونالد ريغان: «يلعب الدين دوراً حاسماً في الحياة السياسية لأمتنا».

العامة وفي مجتمع متعدد المذاهب كالمجتمع الأمريكي، تجد الكنيسة نفسها أكثر انطلاقاً في التعبير عن نفسها في قضايا المجتمع المختلفة. كما أنها تستخدم الأساليب والوسائل نفسها التي تستخدمها المنظمات والمؤسسات غير الدينية للتأثير في السياسات العامة، وبخاصة ممارسة الأساليب المسماة ممارسة الضغط (Lobbying) في اتجاه القوى صانعة القرار في المجتمع الأمريكي، فضلاً عن اتخاذ المواقف وإطلاق الأحكام من خلال أدوات النشر الدينية وغير الدينية وأجهزة الإعلام المتنوعة. وكذلك من خلال الأعضاء المنتسبين إليها أو المشاركين في أنشطتها المتعددة. وتستخدم كذلك وسائل استطلاع الرأي ذات التأثير الكبير في مسار القضايا الداخلية والخارجية.

وقد ملكت في العقدين الأخيرين وأدارت أحدث أدوات الاتصال الجماهيري، من محطات مرئية ومسموعة. واستخدمت الحاسوب في أعمالها. وصارت لها مؤسساتها ولجانها وقنواتها السياسية. وقدرت ثرواتها بالمليارات. فعلى سبيل المثال تملك الكنيسة المشيخية المتحدة (The United Presbyterian) وتدير الآن أكثر من ربع مليار دولار. أما الكنيسة المنهجية المتحدة (The United Methodist) فإنها تملك أضعاف هذا المبلغ.

ولا تقف الكنيسة الأمريكية في تحديد إطارها عند مجرد قادتها من رجال دين وأساتذة لاهوت وإداريين ومشرفين، أو عند أتباعها ممن ينتسب إليها ويشاركها أنشطتها وصلواتها، **بل هي**

نظام (Organism) شمولي الأغراض والنشاطات والعلاقات. وصارت رسالته الدينية غير منفصلة عن الحياة العامة. وغدت حياتها الداخلية مجتمعاً سياسياً له القوة الاجتماعية الضرورية في صنع القرار السياسي، فهي تزود الناس بالمبادئ والإرشادات لمساعدتهم في اتخاذ قراراتهم. ولكونها منظمة مؤسساتية (Institutional) فهي تساعد أتباعها ومستمعيها في تنمية تعاطفهم وتعاملهم مع المسائل السياسية. وقد بلغ مجموع أعضاء الجسم الكنسي في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧٠ حوالى ١٣١ مليون شخص. وارتفع في عام ١٩٨٠ ليبلغ حوالى ١٣٥ مليون شخص. لكنه قفز خلال السنتين التاليتين إلى ١٣٩,٦ مليون شخص. ولا تشير هذه الأرقام إلى مجرد العدد الضخم من المنتسبين إلى هذه الكنائس، بل توضح الأحجام الكبيرة لتبرعاتهم مدى أهمية الكنيسة وقدرتها على التأثير فيهم. وقد بلغ مجموع ما قدّمه الأمريكيون من تبرعات ومساهمات إلى الكنائس الأمريكية عام ١٩٨٢ حوالى ٦٠,٣٩ مليار دولار وبزيادة ١١,٧ بالمئة عما كانت عليه في عام ١٩٨١.

وقدّم الأفراد حوالى ٨٠ بالمئة من هذه الأموال، بينما ساهمت المؤسسات والشركات والموصون بميراثهم بالنسبة الباقية.

وتنفق الكنائس حوالى ٤٦,٥ بالمئة من هذه الأموال على مسائل دينية، بينما تنفق الباقي على مسائل تعليمية وصحية واجتماعية وإنسانية متعددة.

وتنفق جزءاً من هذه الأموال على برامج إعلانية لتدعيم وجهات نظرها الدينية وغير الدينية. وقد بلغت قيمة الإعلانات السنوية التي دفعتها مؤسسة دينية واحدة هي «الدين في الحياة الأميركية» (Religion in American Life) في نيويورك، في عام ١٩٨٢، حوالى ٣٢ مليون دولار.

وتملك الكنائس وتدير عدة مئات من المعاهد والكليات والجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية. «ففي عام ١٩٨١/١٩٨٢ بلغ عدد معاهد التعليم العالي التي لها صلة بالكنائس ١٩٧٨ معهداً، من بينها ٧٢٢ معهداً تم تنظيمها باستقلالية تامة من قبل الكنائس وبخاصة البروتستانتية منها التي ملكت أكثر من ٤٥٠ معهداً».

كما يبرز تأثير تصاعد دور الكنيسة وتأثيرها في المجتمع، وبخاصة مع بروز حركة الأصولية Fundamentalist Movement، في العقد الأخير، في مدى اتساع نمو التعليم الديني، سواء على شكل زيادة عدد المدارس الكنسية اليومية أو في عدد التلاميذ الملتحقين بها. ففي عام ١٩٥٤/١٩٥٥ «كان عدد المدارس الدينية اليومية لا يزيد عن ١٢٣ مدرسة تضم ١٢ ألف تلميذ، لكن هذا العدد تضاعف مئات المرات في عام ١٩٨٠ ليبلغ عدد المدارس الدينية ١٨ ألف مدرسة تضم أكثر من مليوني تلميذ».

ومن أوائل الجامعات الشهيرة التي أسستها الكنيسة الأمريكية بهدف توفير التعليم الديني، جامعة هارفرد في عام ١٦٣٦، وكذلك جامعة ييل (Yale) في عام ١٧١٠ التي أسست بهدف توفير «تعليم حر وديني في الولايات المتحدة الأمريكية».

ومن بين الجامعات المهمة ذات العلاقة بالكنائس الأمريكية، الجامعة الأميركية وجامعة جورج تاون والجامعة الكاثوليكية، وكلها في واشنطن العاصمة، وكذلك جامعتا ديتون وبيلور في ولاية تكساس، وجامعة إموري في مدينة أتلانتا، وكلية بوسطن، وجامعة دنفر في كولورادو، وجامعة ديوك في كارولينا الشمالية... إلخ.

ويقول استطلاع غالوب في عام ١٩٨٣ «إن ٦٢ بالمئة من الأمريكيين يثقون في الكنيسة المنظمة (Organized Religion)، بينما ثقتهم في التعليم العام الحكومي والمؤسسات الاجتماعية لا تزيد عن ٣٩ بالمئة». ويؤكد الاستطلاع، «أن الدين صار عند الأمريكيين أكثر قدرة من العلم على الإجابة عن مشاكل العالم». وقد تجسد ذلك في زيادة عدد المهتمين بدراسة التوراة وفي عدد الفصول التعليمية الدينية، وفي زيادة عدد طلبة الجامعات الذين يلتحقون بالكنيسة للصلاة فيها، حيث بلغت النسبة ٣٩ بالمئة مقارنة بعام ١٩٧٥ حين كانت النسبة ٣٤ بالمئة.

وانتخبت الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الأخير رئيسين لها يؤمنا بأهمية الدين في المجتمع الأمريكي. فالرئيس كارتر أعلن عام ١٩٧٦ عن شعاره وإيمانه بعقيدة الولادة ثانية كمسيحي (Born Again). وبحلول عام ١٩٨٠ كان ثلاثة من المرشحين لرئاسة الجمهورية يرفعون الشعار نفسه. وفي ٢٣ تموز/يوليو ١٩٨٤ عبر الرئيس ريغان في خطاب له في مدينة تكساس عن إيمانه بدور الدين في المجتمع الأمريكي، رغم الاعتراف بمبدأ الفصل بين الدين والدولة. ومما جاء في خطابه: «يلعب الدين دوراً حاسماً في الحياة السياسية لأمتنا».

وكان واضحاً أن مسألة الدين قد احتلت الصدارة في مناقشات الحملات الانتخابية لعام ١٩٨٤، سواء على شكل التغطية الصحافية أو التعليقات الإعلامية، أو في تأثير ذلك في المجتمع نفسه. وقد سجلت إحصاءات صناعة الكتب الأمريكية أكبر ظاهرة في شراء الكتب الدينية. ففي عام ١٩٧٩ شكلت مبيعات الكتب الدينية أكثر من ثلث مجمل سوق مبيعات الكتب، «وبيع في عام ١٩٨٤ من الكتب الدينية بحوالى مليار دولار دفع ثمنها حوالى ٣٧ مليون مشترٍ».

واحتلت صور نجوم البرامج الدينية المسموعة والمرئية أمثال بيلي غراهام وجيري فولويل، صفحات أبرز المجلات الأسبوعية

وأغلقتها. «وصارت برامجهم الدينية تشد المشاهدين أكثر مما تشدهم البرامج والأحداث الرياضية المشهورة والمهرجانات الفنية. وصار الدين مسيطراً على الثقافة الأمريكية»، فملكت البرامج الدينية، وبخاصة برامج الكنيسة المرئية (Electric Church) «عقول وقلوب وجيوب الأمريكيين». وغدت هذه البرامج الدينية صناعة مزدهرة، وخلقت الآلاف من الوظائف والمئات من ملايين الدولارات. «وقدرت نسبة الأمريكيين المستمعين والمشاهدين لبرامجها المرئية والمسموعة عام ١٩٨٠ حوالى ٤٧ بالمئة من مجمل السكان».

ونمت عضوية الرابطة الوطنية للمذيعين الدينيين The National Religious Broadcasters منذ عام ١٩٧٨، وهي الرابطة التي تأسست في عام ١٩٤٤، والتي تضم في عضويتها أكثر من ٧٦ بالمئة من محطات الإذاعة والتلفزة الدينية. فبعد أن «كان عدد أعضائها عام ١٩٤٤ حوالى ٤٩ محطة، وصلت في عام ١٩٨٠ إلى ٨٠٠ محطة. وارتفع في عام ١٩٨٢ ليبلغ ألف محطة ومنظمة، تنتج برامج دينية مقروءة ومسموعة أو تدير محطات بث دينية».

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرابطة قد بدأت منذ عام ١٩٨٠ في تنظيم مؤتمر سنوي لأعضائها، تتخلله «صلاة إفطار» لصلحة إسرائيل، يحضره كبار المسؤولين في الحكومة والكونغرس.

وتسيطر الحركة المسيحية الأصولية على أغلبية شبكة محطات الكنيسة المرئية والمسموعة، ويتلقى نجمان من نجومها وهما جيري فولويل وبات روبرتسون أموالاً أكثر ما يتلقاه الحزبان الرئيسيان في الولايات المتحدة الأمريكية، وهما الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري.

وقد اعتبرت الحركة المسيحية الأصولية أهم ظاهرة سياسية في القرن العشرين. وتوقع لها اللاهوتي الإنكليزي جيمس بار (James Barr) أن «تستمر خمسمائة عام على الأقل».

وهكذا تكون الكنيسة الأمريكية مؤسسة شاملة متعددة الأغراض ومتنوعة الأشكال والأساليب. فهي تمزج الدين بالتعليم بالخدمات الاجتماعية بالطب بالسياسة بالأعمال التجارية بالفن بالرحلات بالندوات بالحرب والدفاع الاستراتيجي بالموسيقى..إلخ.

وبالتالي، فإن لها تأثيراً كبيراً في السياسة المعلنة من قبل الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد «كان الرئيس جيمي كارتر أحد أعضاء الطائفة الإنجيلية التي تسللت إلى معظم الطوائف البروتستانتية إضافة إلى ٢٠ بالمئة من الكاثوليك الراشدين».

ومن الأمثلة على تأثيرها أيضاً قيامها بإعداد أول مشروع إصلاح اقتصادي في العهد الأول لرئاسة الرئيس ريغان. فقد



بات روبرتسون أوصلته شعبية برامجه الإذاعية الدينية إلى الترشح لرئاسة الولايات المتحدة.

صدر هذا المشروع عن لجنة مكونة من خمسة رجال دين من أعضاء المؤتمر الوطني للرهبان الكاثوليك، وكان المشروع موضع مناقشات واسعة النطاق في الصحافة المحلية.

كما كانت وكالات الإغاثة التابعة للكنائس الأمريكية «تسبق جهود الإدارة الأمريكية في عام ١٩٨٤ إلى تقديم الأموال والغذاء للجائعين في أفريقيا».

ويبدي قادة الحركة المسيحية الأصولية دون مواربة، توجهاتهم للتأثير في قرارات الحكومة الأمريكية والسلطة التشريعية والحياة الأمريكية وفي اتجاهات المجتمع. ويستخدمون وسائل متعددة في هذا السبيل، منها ممارسة الضغط الشعبي وتدريب وتعبئة وتعليم الملايين من الأمريكيين.

وطبقاً للأيديولوجيا الأمريكية والنظام الأمريكي نفسه، فإن الفكر الديني له تأثير في صانع القرار ويساهم في صياغة السياسة الخارجية بخاصة من خلال نشاطات بعثات الكنيسة الخارجية وبرامج مساعداتها الدولية وبخاصة في العالم الثالث.

وقد لعبت الكنيسة طوال التاريخ الأمريكي دوراً ما في السياسة الأمريكية. وأعطت طريقة الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية ولنظامها «صفات مقدسة».

وفي العقود الأربعة الماضية، زرعت الكنيسة الأمريكية أطروحة **معاداة الشيوعية في العقل الشعبي وفي فلسفة المجتمع.**

وكان لرفع هذا الشعار من قبل الكنيسة صدى واسع ومؤثر في السياسات الخارجية الأمريكية.

يقول القس برايان هيهر (Bryan Hehir)، مدير قسم العدل والسلام في مؤتمر الكاثوليك الأمريكي في ١٩٧٦/٤/٣٠ خلال ندوة حول «الكنائس الأمريكية والشرق الأوسط»: «ليست الكنائس مجرد مؤسسات رئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية، بل هي مؤسسات إعلامية أيضاً..وهي ليست أحزاباً سياسية، لكن دورها يأتي في تشكيل وتعبئة جمهور من الأنصار الملتزمين والمهتمين بالمسائل السياسية الخارجية».

وتعتبر طوائف البروتستانت، التي تشكل غالبية الحركة المسيحية الأصولية، من أهم الكنائس الأمريكية تأثيراً في السياسة العامة الأمريكية، ليس بسبب كثرتها العددية فقط، بل لكونها كنيسة الطبقة العليا أو ما يسمى كنيسة (البروتستانت الانكلوسكسون البيض White Anglo-Saxon Protestant WASP. ويحرص الرؤساء الأمريكيون على الاجتماع بقياداتها والالتحاق بعضويتها، **مثلما فعل الرئيس الأمريكي الأسبق أيزنهاور حينما انتخب رئيساً. فقد سارع إلى الالتحاق بكنيسة معمدانية لمزيد من التعبئة الجماهيرية حوله.**

وقد حرصت هذه الكنائس في السنوات الأخيرة على بذل مزيد من النشاط للانخراط في العمل السياسي، فأسست مكاتب لها في العاصمة الأمريكية، قريباً من مراكز صنع القرار. وزودت هذه المكاتب بالمختصين الاقتصاديين والسياسيين ورجال العلاقات العامة.

ورغم أن إسرائيل في السياسة الخارجية لا تعدو ظاهرياً كونها مسألة سياسية أو علمانية، إلا أنها عند الكنيسة ذات طابع مميز، فإسرائيل تقع في الأرض المسيحية المقدسة. وهي الأرض التي وُلد فيها السيد المسيح عليه السلام، وجرت عليها الأحداث الدينية المسيحية. وإسرائيل أيضاً معلنة كدولة للشعب اليهودي الذي هو عند معظم الكنائس البروتستانتية «شعب اللـه المختار»، وأن فلسطين هي «الأرض الموعودة»، من أجل ذلك، ولأسباب لاهوتية متنوعة أخرى، فإن «أغلب الكنائس الأمريكية تجد نفسها غير قادرة أو غير راغبة في التزام الصمت تجاه المسائل المتعلقة بإسرائيل».

ويختلف مدى التعامل مع هذه المسائل من كنيسة إلى أخرى، ومن طائفة إلى أخرى. كما أن مدى التزام أتباع الكنيسة بموقفها من هذه المسائل، يختلف من كنيسة إلى أخرى أيضاً.

فالمنظمات الكنسية الكاثوليكية ومؤتمراتها هي أكثر الكنائس اهتماماً بالمشاكل الدولية، وبخاصة بعد توجيهات البابا يوحنا الثالث والعشرين في عام ١٩٦٣، «ومطالبته أتباعه بممارسة أدوار نشطة في تخفيف التوتر الدولي»، كما أن مواقفها هي أكثر التزاماً لأعضائها وأتباعها بسبب كونها كنيسة موحدة. **أما المنظمات الكنسية البروتستانتية، ولأنها متعددة الطوائف، فقد عكست هذه التعددية في مواقفها، كما أنها في فلسفتها أقل إلزاماً لأتباعها بهذه المواقف.**

ويتخذ قادة الكنائس ومنظماتها عادة مواقف وسياسات قد لا تكون مفهومة تماماً من قبل أعضاء هذه المجموعات وأتباعها. ومن هنا تنجم خطورة هذه الآراء والمواقف، فالقادة هم الذين يقررون كيفية صرف الأموال وتدريب الأجيال القادمة وإعلان السياسات وكتابة المقالات وتوجيه البعثات الكنسية المكثفة في الشرق الأوسط والعالم الثالث بشكل عام.

وهكذا فإن بروز الحركة المسيحية الأصولية من داخل الكنيسة الأمريكية، بما لها من تأثير في السياسة العامة الأمريكية، جاء «كعامل جديد مهم في السياسة الأمريكية ولخدمة المصالح اليهودية». فالاتجاهات الصهيونية داخل الحركة المسيحية الأصولية متأصلة لاهوتياً. وقد تبلورت بعد قيام إسرائيل وانتصارها في حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧. وصارت أكثر بروزاً، وتجسدت في عدد كبير من المنظمات والقوى الضاغطة التي مارست التأثير والضغوط لمصلحة إسرائيل، وقدمت الدعم المادي والمعنوي والسياسي والإعلامي والاقتصادي لها.

وتبرز كذلك أهمية الكنيسة في المجتمع المدني والمؤسسي الأمريكي لكون ديانتها المدنية في أكثر اعتباراتها ديانة توراتية، في كثرة استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي الأمريكي، وبخاصة ما يردده دوماً زعماء من الإدارات الأمريكية المتعاقبة حول الالتزام الأدبي والأخلاقي الأمريكي بدعم إسرائيل.

فقادة الحركة المسيحية الأصولية يؤمنون بأن لليهود حقاً تاريخياً ولاهوتياً وقانونياً في الأرض المسماة إسرائيل..وإن اللـه يتعامل مع الأمم حسبما تتعامل هذه الأمم مع إسرائيل.. وأن الوقوف ضد إسرائيل هو وقوف ضد اللـه.

وقد انعكس تأثير الحركة المسيحية الأصولية على الرئيس ريغان نفسه، فتحدث بعبارات توراتية عن إسرائيل وحقوقها التاريخية في فلسطين. وعبر عن إيمانه باقتراب نهاية العالم، وحدوث معركة بين الشر والخير (هرمجدّون)، مشيراً إلى دور إسرائيل في هذه المعركة واقتراب العودة الثانية للمسيح المخلص.

وقد أدى تأثير الكنيسة المسيحية الأصولية في الثقافة العامة للأمريكيين إلى تصوير الصراع العربي ـ الإسرائيلي في الخيال الأمريكي وثقافته على أنه امتداد للصراع التوراتي بين داود وغولياث (David & Goliath). فإسرائيل الفقيرة الصغيرة، هي داود الذي انتصر على العرب الأغنياء الأقوياء ـ غولياث. ونادراً ما ذكر اسم إسرائيل في البيانات الرسمية

والصحافة دون وصفها بالصغيرة والفقيرة والمحاصرة..إلخ.

وقد شكلت التوراة، نتيجة لذلك، «مصدراً للإيمان العام في التقاليد الأمريكية، وقوة مهمة في طموحه الوطني وأساساً في التوجهات الأخلاقية للشخصية والصفة الأمريكية».

ولم تعد صورة الصراع العربي ـ الإسرائيلي، نتيجة قوة تأثير الصهيونية المترسخة في شروحات البروتستانتية منعكسة على شكل تخيلات توراتية في فكر المسيحية الأصولية المعاصرة وحركتها فحسب، بل تعدّتها إلى عقول من هم من غير أعضاء هذه الكنيسة وحركتها المنظمة وتصرفاتهم. فقد تحدّث الرئيس الأمريكي كارتر أمام الكنيست الإسرائيلي في آذار/مارس ١٩٧٩ قائلاً: «لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين وجسدوا هذا الإيمان، بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريدة، لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه... **لقد شكل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون طليعيون، ونحن نتقاسم تراث التوراة».**

ويؤكد بريجنسكي، مستشار الرئيس جيمي كارتر لشؤون الأمن القومي، أن «العلاقات الأمريكية ـ الإسرائيلية هي علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخي والروحي».

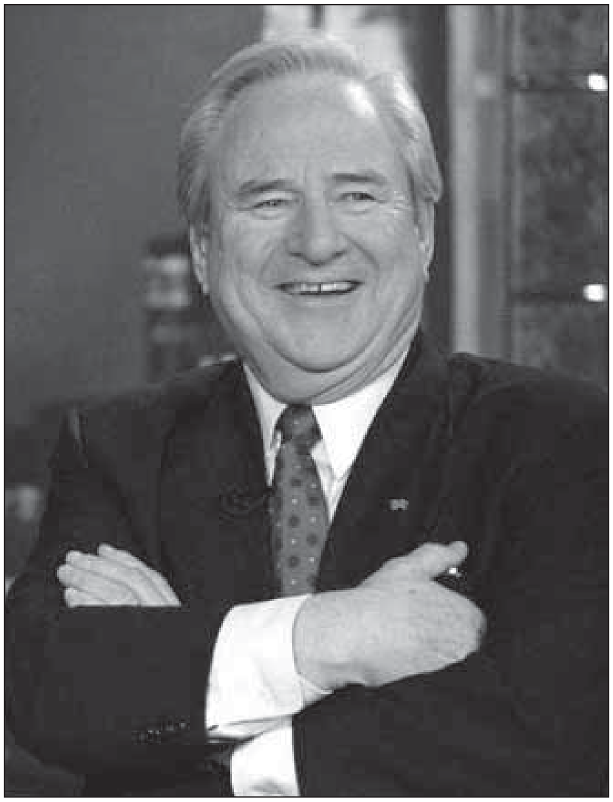
ويكتب أحد المحررين الأمريكيين عن انتصار داود الصغير على غولياث العربي في عام ١٩٦٧.

وهكذا تنعكس لغة وصور وقصص التوراة على شكل مواقف وأدوار، تتجسد فيها الاتجاهات الصهيونية لدى الأوساط التي تنتمي إلى أو تتأثر بفكر وتوجهات المسيحية الأصولية وحركتها الصهيونية المعاصرة.

وقد تحدث النائب السابق بول فندلي (Paul Findly) عن الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكيف تعمل على التأثير في الطوائف المسيحية المختلفة، وفي السياسيين الأمريكيين لاتخاذ مواقف مؤيدة لإسرائيل، وتصوير إسرائيل القرن العشرين على أنها هي إسرائيل التوراة، وتدعو إلى بذل الجهود في حملات متواصلة لتضييق حرية الكلام عن الشرق الأوسط وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية فيه.

وينقل النائب السابق بول فندلي في كتابه **رجال تحدّوا الصمت** *They Dare to Speak Out* حديثاً للسناتور روجر جيسون في عام ١٩٨١ أمام مؤتمر صهيوني حول تأييده الدائم لإسرائيل بسبب دينه المسيحي.. وأن المسيحيين، وبخاصة الإنجيليون هم من أفضل أصدقاء إسرائيل منذ ولادتها عام ١٩٤٨.

ويكشف هذا السناتور عن هوية صهيونية غامضة له، عندما يشير إلى أسباب البركة في الولايات المتحدة الأميركية فيقول: **«لأننا أكرمنا اليهود الذين لجأوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام، وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق إسرائيل في الأرض».**



جيري فالويل قائد «الأغلبية الأخلاقية»

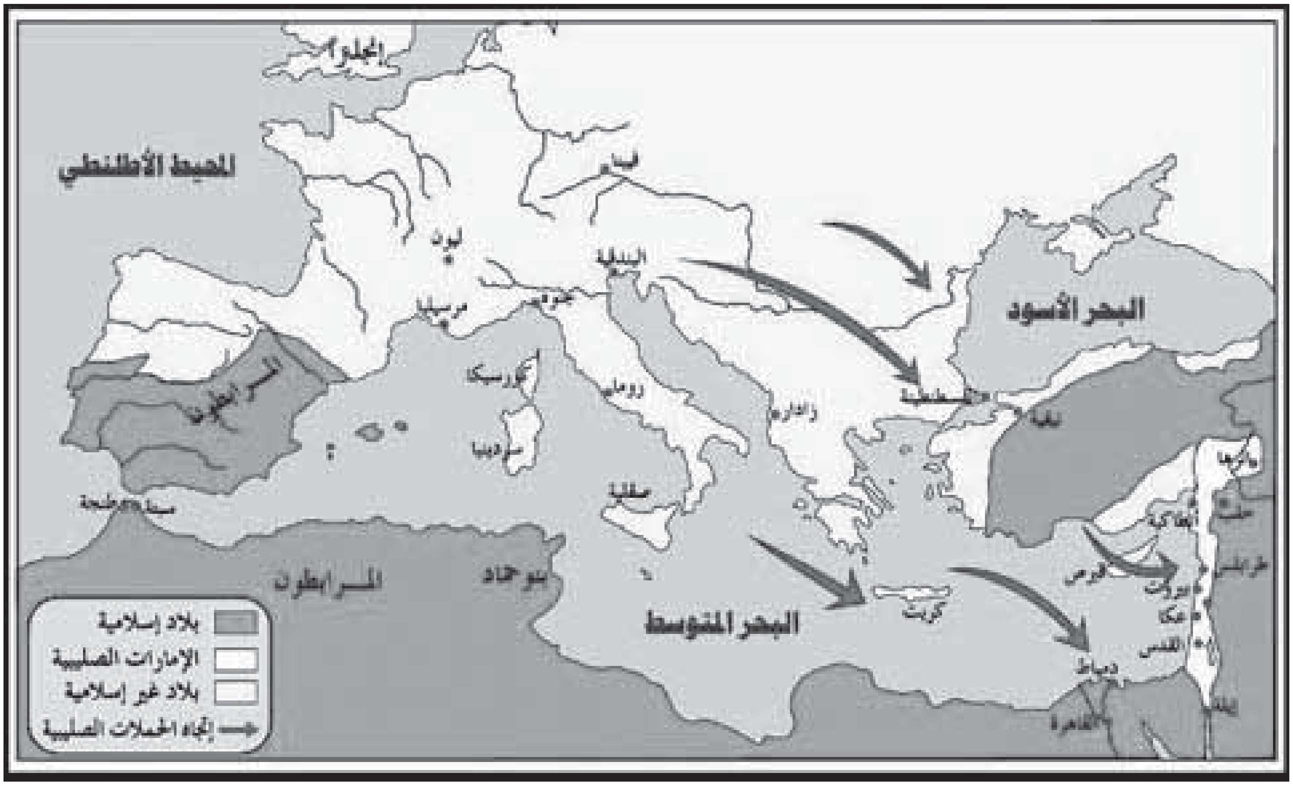
ومن هنا يتضح أن جذور الدين في الولايات المتحدة الأميركية عبرانية. وقد وُضعت تفسيراته وبخاصة لدى الطوائف البروتستانتية في قوالب عبرانية مثل الشعب المختار، الأمة المفضلة، الأرض الموعودة.

وهكذا يمكن تفسير جذور النزعة المتحيزة لإسرائيل في الولايات المتحدة الاميركية، فضلاً عن تفسير ما يردده السياسيون الأمريكيون حول كون التزام الولايات المتحدة بدعم إسرائيل التزاماً أدبياً أو أخلاقياً.

وباختصار، يمكن القول إن تأثير الكنيسة في الحياة الأمريكية كبير، فالدين في المجتمع الأمريكي يمتزج بكل شيء، ومن خلاله يمكن القيام بكل شيء.

(يوسف الحسن في كتاب **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية)**، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٥)، بيروت، ط.٤، ٢٠٠٥. ص٦٣ـ٧٨)

الأصولية المسيحية على الخط الراهن

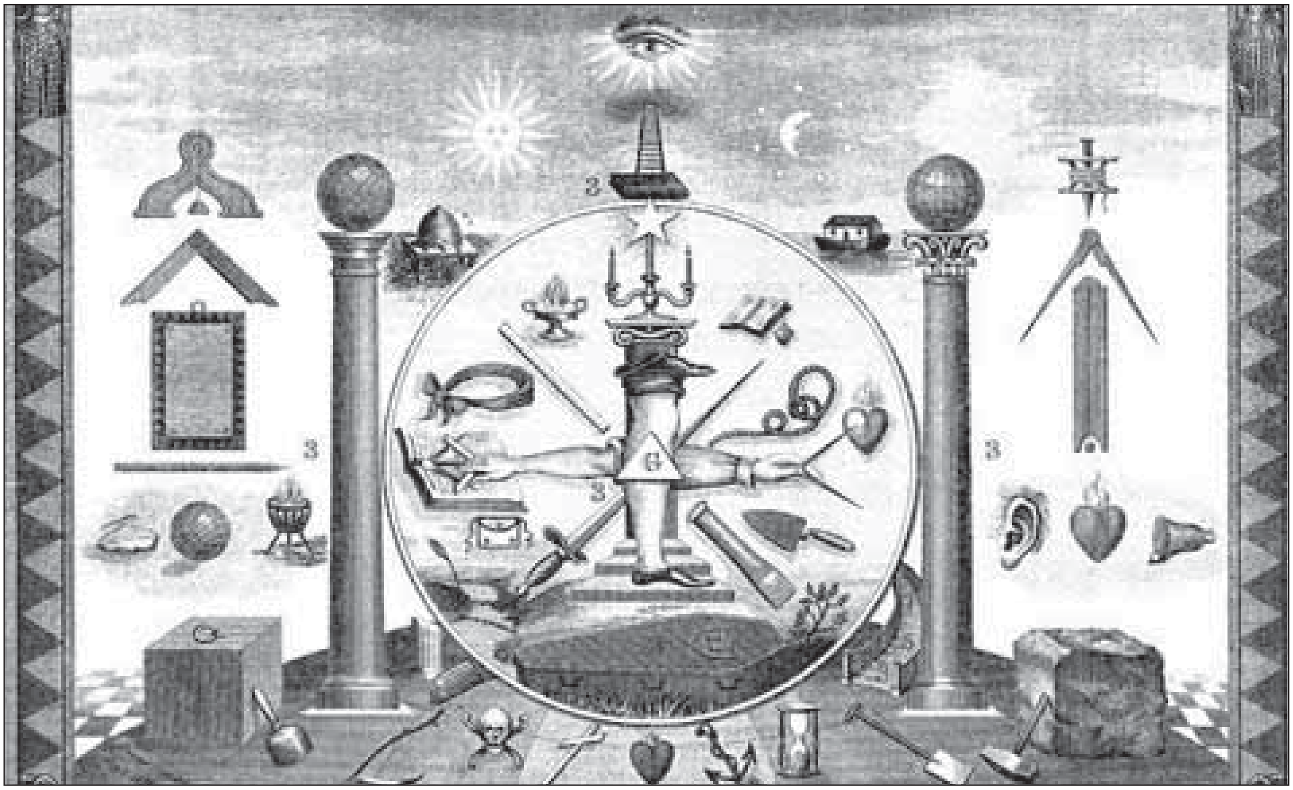


خريطة الحروب الصليبية.

تتعاظم الكتابات على الأصولية الإسلامية، وتظهر تجسدات سياسية وأيديولوجية واجتماعية لها مع بعض الممارسات المسلمة هنا وهناك، بحيث يبدو الأمر كأنه مقتصر عليها في المرحلة المعاصرة. وفي هذه الحال، يصبح طرح السؤال التالي ذا مصداقية: لماذا يبدو الأمر على هذا النحو، كأنما الأصولية في أساسها وفروعها إنما هي ظاهرة إسلامية محضة؟ وبالطبع، فإن هذا الانطباع يكتسب مزيداً من الرسوخ في أوساط شرقية وغربية، كلما تعاظمت واتسعت الممارسات الإرهابية باسم «الأصولية الإسلامية». ومع اضطراب المواقف والتأويلات، راح الانطباع المذكور يتركّز ويتسع ليشمل «الإسلام ذاته». وهنا يلاحظ أن معضلات معرفية واعتقادية أخذت تطرح نفسها بقوة، مُسهمة في استعادة الحديث عن ضرورة الدراسات الدينية المقارنة وعلم اجتماع الدين وغيره، من باب الدعوة إلى طرح المسألة في حقل الأديان الأخرى.

بيد أن الموقف، ربما منذ بدايته، كان يُفصح عن أن الأصولية ليست حالة تخصُّ الإسلام وحده، بل هي حالة يمكن أن تتجلى في المسيحية كما في اليهودية والزرادشتية.. إلخ. كما يمكن أن تتجلى في حقول مجتمعية متعدّدة، مثل السياسة والأيديولوجيا والاقتصاد والتربية. ولا شك أن غياب أو قلة الدراسات حول الأصولية، وإمكانية تجلياتها في هذه الحقول، أغلقت الباب طويلاً عليها وبنسبة عالية. وفي الفكر العربي والإسلامي الراهن، نجد مصداقية ما نقول. وها هنا نحذّر من الوهم القائل بأن أهمية أو خطورة النّحو الأصولي الإسلامي بذاته هو العامل الذي يكمن وراء ظهور الأصولية الإسلامية فعلاً وخطاباً، ووراء ظهور سيل لم ينته من الكتابات حولها في الشرق والغرب. فالبشر لا يطرحون من الأسئلة والقضايا والمعضلات النظرية إلا ما يعبر عن حاجاتهم العلمية والنظرية راهناً وفي المنظور المستقبلي بدرجة أو بأخرى، على الباحث أن يكتشفها.

لقد ظهرت الأصولية الإسلامية الراهنة في حقبة الصراع الاستعماري العولمي على النفط العربي، خصوصاً، بعد تفكك النظام الدولي السابق، نظام التوازن النسبي العسكري والاقتصادي والاستراتيجي. وهذا، بدوره، أفسح الطريق لظهور ما كان موجوداً دون جَلَبة، نعني بذلك ـ خصوصاً ـ الأصوليات «الأخرى» ومنها المسيحية. لقد وضعنا يدنا على دراسة مهمة



من رموز الماسونية.

حول الأصولية المسيحية بقلم باحث أو باحثين أصدروا هذه الدراسة بعنوان «محفّزات للتحدث عن أخطار الأصولية» (ورقة محفزات صادرة عن المجلس الأعلى المسيحي العمومي في برلين - براندنبرغ، سبتمبر من عام ٢٠٠٦، وقد أعيد طبعها أو تصويرها في هذا العام الجديد ٢٠٠٩). وقد وصلتني هذه الدراسة من برلين، حين كنت في إرلانجن، دون ذكر اسم المرسل، وهي تتألف من اثنتي عشرة صفحة تحمل العناوين الجزئية التالية: حين تتلاشى الحقائق وتهتز الأصول- الخلفية النظرية المعرفية؛ الأصولية: المسألة، والراهنية، والمصدر؛ الأصولية المسيحية في الواقع الراهن؛ أصولية السوق الاقتصادية؛ ما الذي نأخذه على محمل الجد من «الأصلي».

في تلك الدراسة نضع يدنا على موقف تدقيقي شجاع من الأصولية المسيحية، وهو موقف تاريخي نقدي من هذه الأخيرة، ويأتي على عوامل نشأتها راهناً، كما يبحث في تجلياتها ضمن الحقول المسيحية الثلاثة الكبرى في الكنائس البروتستانتية، وفي الأخرى الرهبانية الكاثوليكية، وفي الثالثة الأرثوذكسية.

ويسعى الباحثون، كتّاب الدراسة، إلى ضبط المواقف المتجلية في تلك الحقول الثلاثة عبر اكتشاف ما يوحّد بينها وما يجمع من آراء واعتقادات وتصورات لاهوتية ومجتمعية مدنية. ويرون المدخل العمومي إلى ذلك ماثلاً في مفهوم «الأزمة» الذي أصبح يمثل قاسماً مشتركاً بين كل أو معظم أطراف الحديث والحوار والصراع في المجتمعات الراهنة. فإذا كانت تلك الأطراف تتحدث عن أن تلك الأزمة تجد مصدرها أو بعضاً منه في ما يتحدثون عنه بمثابته «**مؤامرة صهيونية عالمية**»، إضافة إلى «الجذور اليهودية للشيوعية والماسونية»، فإنهم يواجهون مظاهر الأزمة إياها وأسبابها ونتائجها، على النحو التالي: مواجهة الأزمة ذاتها بوصفها بنية عالمية كلية، بالدعوة للعودة إلى «الكتاب المقدس»، كما هو وعبر التعبير عن الرضا بحكم الربّ بإطلاق «الثقة بلطف الرب وحكمته وحبّه للمؤمنين به»؛ ومواجهة التعددية الاعتقادية والسياسية والأيديولوجية بنصّ واحد يطرح العالم بقطبي الخير والشر، وهو كما كان سيظل صحيحاً وصافياً، ومواجهة القول بإمكانية تأويل النصّ، والوصول إلى آراء وتيارات مختلفة برفض التأويل، ومواجهة القول بأن الدين (المسيحي) توقف عن مواكبة العصر، بالتأكيد على أن المؤمنين هم الذين توقفوا عن الإيمان الصحيح، والتأكيد على العودة إلى البساطة في فهم الدين بدلاً من تعقيد العصر والبشر، ورفض التشكيك بمنظومة القيم الدينية لصالح القول بالعودة إلى النبع اللاهوتي، ورفض التاريخ لصالح الأصل الكامل ... إلخ. ويصل كتّاب الدراسة إلى أن الخلفية الأعمق والأخطر للأصولية المسيحية الراهنة تكمن في «**السوق الليبرالية الجديدة**» التي قال شكسبير عن سالفتها بأنها تحوّل المرأة الشمطاء إلى فاتنة.

(طيب تيزيني، من موقعه الرسمي، ٢٠٠٩/٢/١٠)

أثر حركة الإصلاح الديني البروتستانتي

إن عملية البحث في علاقة الدين بالديمقراطية لا تتم إلا بالعودة إلى التجربة التاريخية التي مرت بها أوروبا، وبخاصة في القرون الوسطى، فهذه المرحلة تعتبر الأساس. وما نجده اليوم من آراء حول علاقة الدين بالديمقراطية في الفكر الغربي ما هو في الحقيقة إلا ردة فعل تجاه واقع حكومة رجال الدين في بدايات القرون الوسطى منذ **إصدار إمبراطور الروم الشرقيين جوستنيان أمره في عام ٥٢٩ م بإغلاق الجامعات وتعطيل المدارس في أثينا والإسكندرية ففر العلماء خوفاً على أرواحهم ولجأوا إلى مناطق أخرى**. ومن الخصائص العامة لهذه المرحلة التي دخلتها أوروبا هو تسلط الكنيسة على المراكز العلمية ومناهج المدارس والجامعات، وبالتالي كان رجال الدين يفتحون المجال فقط للأفكار والعقائد التي تتلاءم مع الأفكار المسيحية، وكانوا يرفضون الأفكار المخالفة ويحاربونها بشدة. وجرائم رجال الدين ضد المفكرين لا تحصى من حيث الظلم والاستبداد الفكري والإرهاب الديني والذي استطاع أن يجثم على المجتمع الأوروبي ما يقارب الألف سنة. لكن حركة الإصلاح البروتستانتي كانت فاتحة التحول باتجاه رؤية علمانية مسيطرة في الثقافة الأوروبية، حيث مهدت لولادة الحداثة وظهور الذاتية والعقلانية والتاريخية حتى الحداثة السياسية متجسدة في الانسنة والديمقراطية وحقوق الإنسان.

وما يتمحور حوله هذا الموضوع هو هل هناك أثر إيجابي لحركة الإصلاح الديني البروتستانتي في عملية التحول السياسي نتيجة لسياسة الحركة ورفضها لسلطة الكنيسة (التشديد على أن علاقة الفرد مع الله لا تحتاج إلى وسيط من كنيسة وبابا..) ودعمها للسلطة الزمنية، ما أثار الجدل حول وجوب أو عدم وجوب طاعة الحاكم، فهل لها دور في عملية التغيير و التطور وظهور الديمقراطية في أوروبا؟ وسيتم الوصول إلى النتائج من خلال محاولة الإجابة على عدة تساؤلات منها:

- هل عملت البروتستانتية على نقل السلطة الزمنية للناس أم أبقتها في يد الكنيسة؟ كيف أثرت في السياسة؟
- هل يوجد انقسامات واختلافات حول موضوع السلطة الزمنية داخل البروتستانتية؟
- هل البروتستانتية هي حركة إصلاح ديني، أم أنها أعمق من ذلك؟

الوضع قبل ظهور حركة الإصلاح الديني البروتستانتي وبعده

ساد التفاهم بين السلطة الزمنية والروحية في بداية العصور الوسطى، إذ إن المسيحية وضعت حداً للمزج بين السلطتين. ولقد مارست الكنيسة نشاطها ضمن الميدان الروحي والأخلاقي، واستطاعت تحقيق النجاح في عصر آباء الكنيسة. واجتنبت التدخل في أمور الدولة، والتعرض لتفوق سلطة أخرى. ثم قوى رجال الكنيسة من مركز الملك، وذلك من أجل الحصول على الدعم والتأييد. **واختلف الوضع بعد انتقال المسيحية إلى أوروبا، ولعدم وجود حد فاصل واضح بين السلطتين اندلع نزاع بينهما. ونتيجة لذلك برز تياران في الفكر السياسي: تيار ينادي بتفوق السلطة الروحية على السلطة الزمنية، وتيار يؤيد السلطة الزمنية.**

عند العودة إلى تاريخ العصور الوسطى (الفترة الواقعة بين القرن العاشر والثاني عشر) نجد أن السلطة في تلك الفترة أصبحت متمركزة في الكنيسة وفي يد البابا بخاصة، والتعليم بات حكراً على رجال الدين، والثقافة مستمدة من ثقافة الكنيسة ومن المعتقدات الدينية المسيحية والبعيدة عن المنطق والتجربة بعكس ما أصبحت عليه في العصور الحديثة من حيث الثقافة



المصلح اللاهوتي الفرنسي جان كالفن (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤).

العلمانية القائمة على أسس التحليل العلمي. فالتطور الذي وصل إليه الفكر الأوروبي تم نتيجة عاملين، **الأول** صراع طويل في أواخر القرون الوسطى داخل الكنيسة البابوية للحد من الصلاحيات والامتيازات الدينية والدنيوية التي كان يتمتع بها البابا، ولوضع نظريات جديدة كفيلة بإنشاء برنامج إصلاحي جذري يتناول الكنيسة بأكملها. أما **الثاني** فهو التطورات الاقتصادية المتراكمة خلال حقبة طويلة من الزمن، والتي أدت إلى خلق تشكيل ثوري جديد من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية السائدة خلال العصور الحديثة ومتميزة بشكل ظاهر عن المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي عايشت القرون الوسطى.

إن الهجوم على البابوية ومؤسسة الكنيسة قد اتخذ في أواخر العصور الوسطى أبعاداً جديدة من حيث الاتساع والجرأة. ومن الملاحظ أن هذا الهجوم لم يشنه أصحاب الأفكار اللادينية فقط، بل شارك فيه العديد من أهل الرأي والمتدينين الذين حملوا على البابوية ومؤسسات الكنيسة باسم ما اعتبروه انحرافاً عن تعاليم المسيح. ولقد تعاظمت حدة النقد الديني داخل الكنيسة إلى أن أدت في القرن السادس عشر إلى تبلور تيار عرف بـ«حركة الإصلاح الديني».

المحاولات الإصلاحية قبل ظهور حركة البروتستانت

كانت الكنيسة هي المسيطرة في القرون الوسطى، حيث سيطرت على نواحي الحياة كافة، وبخاصة التعليم، فجعلته حكراً لها. ومع ذلك فإن القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر قرنا عصر النهضة بما حوته هذه العلوم من تحرير قضايا العلم والبحث والفلك والفنون والتعليم والرسوم والنحت. وكان هذا على حساب الكنيسة.

وكان من أهم العلوم الإغريقية التي بقيت طي الكتب علم الديمقراطية الأثيني الذي لم ينجح في أن يتخطى عَتبات أمراء المدن الإيطالية، وبقي هذا العلم حبيساً في مكتبات قصورهم وإن استعملوه على أضيق نطاق ضد الكنيسة، حيث كانوا يطمحون إلى إعادة سلطات الكنيسة إلى داخل أبواب الكنيسة تمهيداً لتقويض نفوذها. بدأت هذه الأفكار العلمية تغزو الكنيسة وتطارد نفوذها، وظهرت توجهات مبكرة تدعو لتقويض نفوذ الكنيسة، ومنع تدخلها في الأمور الدنيوية الخاصة بعامة الناس. ولقد شكل التدخل الديني من البابا ورجاله دفعاً قوياً لانتشار الأفكار الإصلاحية، والتي أثرت في الأفكار الاجتماعية والسياسية، وتشكيل الأمم الأوروبية، وتحديد حدودها (الدولة ـ الأمة). وهذا رفع من وتيرة الدراسات للمشاركة القومية سياسياً، ما دفع علماء الأنتربولوجيا إلى إعادة النظر في ديمقراطية أثينا ولو على صفحات الأبحاث والدراسات.

وفي أوائل القرن السادس عشر، قادت أفكار جديدة لعصر النهضة بعض الناس لتحدي تعاليم الكنيسة الكاثوليكية (روما)، حيث اعتنى رجال الدين الكبار بالحصول على النفوذ والأموال بوسائل منحطة من أجل الترف والحياة الرغيدة على حساب الدين وتعاليمه.

ونتيجة لسياسات الكنيسة وضعف سلطتها ظهر الكثير من الكتابات التي انتقدتها ، كما وجهت الجدل نحو السلطات البابوية المطلقة في الكنيسة، وبخاصة أن سلطات الكنيسة ليست دينية فقط وإنما تجاوزتها حيث كان البابا يشرف على منح الإقطاعيات وتحويل المبالغ الضخمة إلى الخزينة البابوية. هذا إلى جانب انتشار الفساد والرشوة في حكومة الكنيسة. ومن أشهر الكتاب **مارسيليو بادوا ووبليام آكام، كما كان لكتابات جون ويكليف في إنكلترا وجون هس في بوهيميا قيمة كبرى من حيث التأثير في الكثير من الناس، وبخاصة مع اعتبارهم أن الكنيسة عبارة عن جميع المسيحيين من العامة والكهنة، وأن الكنيسة ـ وليس رجال الدين ـ هي التي تلقت القانون السماوي والسلطة الروحية. وبذلك يكون من حق عموم المؤمنين العضوية في الكنيسة والمشاركة في إصلاحها من فساد رجال الدين.**

يظهر مما سبق أن أفكار الكتاب في تلك الفترة اتجهت إلى اعتبار رجال الدين مجرد وكلاء أو أعضاء يقوم المجتمع عن طريقهم بأداء وظائفه وواجباته الدينية؛ أي أنهم وسيلة، ما يضعف من سلطة رجال الدين ومحاولتهم السيطرة على أفراد المجتمع.

وانسجاماً مع هذا التوجه سيطر التساؤل حول مصدر السلطة العليا على كتابات **نيكولاس كوسا** في معرض دفاعه عن فكرة المجلس العام للكنيسة. وللإجابة عن هذا التساؤل استند في كتاباته على القانون الكنسي الذي ينص على أن رضا المجتمع وموافقته يُعتبران ركناً جوهرياً من أركان القانون. وبما أن رضا المجتمع ينبع من تقاليده وعاداته، يكون المجلس العام للكنيسة الذي يمثل المجتمع المسيحي كله أكثر قدرة من البابا على التحكم في موضوع السلطة والقوانين، إذ أن كثيراً ما عجزت القرارات البابوية لأن يكون لها قوة القوانين بسبب عدم حيازتها رضا الناس وقبولهم بها، حيث إن رضا الناس يعتبر شرطاً أساسياً لكي يصبح القانون ملزماً.

أما **مكيافيللي**، فيُمثل أصحاب الأفكار اللادينية، فالوضع السياسي والاجتماعي الفاسد في إيطاليا أثر في أفكاره، وأوصله إلى أن سبب التشتت والتناحر في إيطاليا هو البابا والكنيسة.

إن البابا بدلاً من أن يبقى حكماً بين المسيحيين في أوروبا بأكملها جعل من نفسه حاكماً يسعى للسلطة والنفوذ مثله مثل أي حاكم زمني آخر، ما أدى إلى تردي الأوضاع. ويضاف إلى ذلك أن مكيافيللي انتقد الدين المسيحي لأن المسيحية لها دور في احتقار الفضائل والقوة العسكرية وتشجيع الخنوع والمسكنة، ما أدى إلى ضعف الدولة، فالدين الحقيقي يكون العامل الأساسي في تقوية الدولة. **وركز مكيافيللي على الأمير، وعلى ضرورة اعتماده على شتى الوسائل حتى لو تجاوزت حدود الأخلاق والدين**. وهو لا يُهمل الدين، لكنه يرى فيه وسيلة من الوسائل التي تتيح للدولة استكمال مصالحها. فمن خلال تسليمه أن الكنيسة مؤسسة من المؤسسات التي يجب أن تكون في خدمة الدولة يسعى للقضاء ذهنياً على النزاع الذي دام قروناً عديدة بين الدين والدولة. وكان موضوعه تعيين حدود سلطة كل منهما، ودائرة صلاحياته ونفوذه.

حركة الإصلاح البروتستانتي

تُعتبر الفترة التي ظهرت فيها حركة الإصلاح الديني (القرنان الخامس عشر والسادس عشر) الفترة الانتقالية للفكر الديني الغربي من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، فهي فترة كان لها الأثر الكبير في الحياة السياسية والدينية. وما سنركز عليه هو حركة الإصلاح الديني البروتستانتي التي نشأت على يد **مارتن لوثر** عام ١٥١٧ في ألمانيا، وقد انشقت الكنيسة البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشرلتتفرع منها العديد من الكنائس الأخرى.

ومن أهم ميزات البروتستانت عن الطوائف المسيحية: الإيمان بأن الكتاب المقدس فقط (وليس البابوات) هو مصدر المسيحية، وإجازة قراءة الكتاب المقدس لكل أحد، كما له الحق بفهمه دون الاعتماد في ذلك على فهم بابوات الكنيسة، وعدم الإيمان بـالأسفار الأبوكريفا السبعة، واعتماد التوراة العبرانية بدلاً من اليونانية، وعدم الاعتراف بسلطة البابا وحق الغفران وبعض عبادات وطقوس الكنيسة الكاثوليكية.

لقد كانت الحركة الإصلاحية ضرورية لعدة أسباب أهمها رغبة الأمراء في الاستقلال ببلدانهم عن النفوذ البابوي، ومعارضة الحكام أنفسهم إعفاء الكنيسة من الضرائب، وطمع بعض الحكام في ممتلكات وعقارات الكنيسة، بينما أبدى الأثرياء والمستثمرون ضيقهم ومعارضتهم لقرار الكنيسة في منع الفوائد على القروض الاستثمارية. وعارض الكثيرون من هؤلاء وأولئك وغيرهم خروج ثروات بلدانهم لتذهب إلى روما. وأثار أيضاً بعض المثقفين الأوروبيين (نتيجة لأفكار النهضة الأوروبية) الكثير من الشكوك حول شرعية السلطة الكنسية. وأبدى البعض استياءه من تراكم أخطاء الكنيسة ورجال الدين.

وتدهور المقام الكنسي نفسه وفقد هيبته السياسية اثر قيام ملوك فرنسا بحبس البابوات على امتداد أكثر ٣٦٠ سنة بعيداً عن روما في بلدة أفينيون الفرنسية، لتعقبها فترة ثانية امتدت قرابة الأربعين عاماً من الصراع على الشرعية البابوية بين بابوات روما بابوات أفينيون (١٣٧٨ـ١٤١٧). وأخيراً لا بد من ذكر فشل محاولات المصلحين المسيحيين الكاثوليك في إصلاح الكنيسة والمؤسسة البابوية من الداخل.

لقد انحاز العديد من الأمراء الألمان لقضية لوثر إما بسبب اهتماماتهم الدينية أو بسبب رغباتهم الخفية بالاستيلاء على الأراضي الكنسية. ونظراً إلى عدم اكتراث لوثر المزاجي بالسياسة، ولارتباطه بالأمراء واضطراره للتحالف معهم في صراعه ضد روما، فقد كان عليه أن يلح على واجب المسيحيين بالطاعة للسلطة الزمنية، ولاسيما أن توجهات فوضوية دينية واجتماعية كانت قد انبثقت عن الانقلاب الأخلاقي الذي أحدثته تعاليمه التبشيرية.

يتحدث لوثر عن المملكتين أو الحكومتين اللتين يستوحيهما من مدينتي القديس أوغسطين، وهما مملكة اللـه (مملكة العفو والرحمة) ومملكة العالم (مملكة الغضب والشدة، لأنه لا يوجد فيها إلا العقاب والمقاومة والحكم والإدانة لقهر الأشرار وحماية المستقيمين، ولهذا تلقت هذه المملكة السيف وسُمي الأمير في الكتاب المقدس بغضب اللـه). ويعتبر أن المزج بين هاتين المملكتين أمر مفجع، لأن اللـه قد وضع مملكة العالم تحت السيف وتحت القانون باعتبار أن العالم بأسره سيىء، وأن من بين كل ألف شخص يوجد بالكاد مسيحي واحد لا يرتكب الذنوب ولا يخالف السلطة.

ودعا إلى إطاعة السلطة الزمنية في كل ما يتعلق بالمسائل الزمنية، وإلى الخروج عن طاعتها ومقاومتها عندما تتدخل في شؤون الإيمان والوجدان.

ولئن أعطى لوثر في كتابه «هل خلاص الجندي في يده؟» صورة إيجابية عن خدمة العلم التي هي واجب على كل مسيحي، فقد أكد أن على هذا الجندي أن يمتنع عن تلبية نداء الوطن فيما لو استدعي لخوض حرب جائرة.

باختصار لم تهدف اللوثرية إلى أن تجعل من ممثلي السلطة الزمنية قادة الكنيسة، غير أنها بضربها السلطة البابوية مهدت الطريق أمام انقياد بعض المسؤولين الزمنيين إلى تنصيب أنفسهم قادة على الكنيسة في بلادهم.

أما **كالفن** فيرى أن هناك نظاماً مزدوجاً في الإنسان: «النظام

الروحي» الذي يهتم بالروح والداخل، و«النظام السياسي أو المدني أو الزمني» الذي يهتم بالأخلاق الخارجية وبالواجبات الإنسانية والمدنية التي يجب على الناس أن يحافظوا عليها في ما بينهم من أجل أن يعيش بعضهم مع بعض بنزاهة وعدل. وهذان النظامان يكمل بعضهما بعضهما الآخر بالرغم من اختلافهما، لأن الثاني يجلب للبشر الذين في الأرض (في حين أنهم يتطلعون للسماء بلدهم الحقيقي) مساعدة ثمينة وضرورية.

وهكذا يعيد كالفن صراحة للمجتمع المدني وللشرطة أو التنظيم المدني مهمة إدارة الدين بشكل جيد، ومنع قيام فسق غير معاقب بتدنيس علني لهذا الدين الحقيقي المتضمن في قانون اللـه. ويضيف كالفن أنه مهما كان شكل الحكم، ومهما كان الرئيس الأعلى المدني الذي اختارته إرادة اللـه للسيطرة على المكان الذي يعيش فيه، فإن له الحق بالطاعة حيث إن سلطته مستمدة من اللـه..

إن كالفن مثل لوثر لا يهدف من هذا للاعتراف بحق مقاومة نشيطة، فهو يحث المؤمن على التحمل والصبر. وبالنسبة إلى التدخل لرفع ظلم الحاكم، فهو يحفظ حق التدخل الشرعي لما يسميهم بالحكام الأدنى. وهنا يختلف عن لوثر في نقطة الحاكم الأدنى، **لكن نقطة الاشتراك بينهما هي إرادة اللـه، وليس إرادة الشعب**.

يُلاحظ أن مواقف كل من لوثر وكالفن (من المصلحين الأوائل) متشابهة من ناحية المشكلة الأخلاقية الأساسية، وهي اعتقادهما أن فكرة مقاومة الحكام شريرة في جميع الظروف. وهذه الحقيقة مهمة نظراً إلى التباين الذي ظهر في ما بعد بين الكنيستين اللوثرية والكالفنية، فقد كان الكالفنيون في كل من اسكتلندا وفرنسا مسؤولين إلى حد كبير عن ابتداع نظرية أن للمقاومة السياسية ما يبررها باعتبارها وسيلة للإصلاح الديني.

أما الأحوال السائدة في ألمانيا فقد مالت إلى جعل الطاعة العمياء جزءاً دائماً من تعاليم الكنيسة اللوثرية. وكان لوثر يكن احتراماً كبيراً للسلطة المدنية، ويعارض بشكل ملحوظ العنف والفتن، لذلك أنشأ الكنائس اللوثرية التابعة للدولة، والتي تسيطر عليها القوى السياسية، ما جعلها تقريبا فروعاً من الدولة.

أما الكنائس الكالفينية فكانت ترفض استسلام الكنائس اللوثرية المصحوب بنزعة صوفية، حيث إن الكنائس الكالفينية اعتبرت النشاط الدنيوي، بل النجاح الدنيوي واجباً مسيحياً. واتخذت الكالفينية في فرنسا واسكتلندا مواقف المعارضة من الحكومات التي لم تتح لها بالفعل فرصة تحويلها إلى مذهبها.

أما **جون كنوكس** فقد أجرى تغييرات على تعاليم كالفن بسبب الظروف التي سادت زمنه، حيث إنه تم نفيه والحكم عليه بالموت من قِبل حكومة الكنيسة الكاثوليكية في اسكتلندا، فتخلى عن مذهب كالفن في الطاعة العمياء، ونادى بأنه من الواجب تصحيح ما يفعله الملك ويكون مخالفاً لكلمة اللـه.

هذا الموقف وضع جناحاً كبيراً من الكنائس الكالفينية في موضع المعارضة للسلطة الملكية، وبرر بجسارة استخدام العصيان. وهذه المقاومة والعصيان اللذان استخدمهما كنوكس في اسكتلندا سرعان ما انتقلا إلى فرنسا التي استمرت الحروب الدينية فيها بين عامي ١٥٦٢ و ١٥٩٥.

هل البروتستانتية هي حركة إصلاح ديني، أم أنها أعمق من ذلك؟

البروتستانتية حركة إصلاح ديني، لكنها اتبعت سُبلاً وطرقاً كان لها الأثر الكبير في تطوير واقع الحياة السياسية، فقد اتجهت إلى دعم الأمراء والملوك. وجعلت سلطتهم سلطة إلهية، وكان الهدف من ذلك ضرب الكنيسة وسلطة البابوات. واتجهت إلى تحرير الفرد من سيطرة الكنيسة مثل الدعوة إلى حق الفرد في تفسير الكتاب المقدس.

إن حركة الإصلاح البروتستانتي لم تكن حركة جماهيرية في انطلاقتها الأولى، ولا يبدو أنها كانت تهدف إلى ذلك، إلا أن دعم الأمراء والإقطاعيين لها قد حولها من وجهة نظر لاهوتية في أمور العقيدة إلى دين جديد عمل على إخضاع السلطة الدينية للسلطة السياسية، وهو الصراع الذي تأسست عليه النظريات في ما بعد.

ومن الملاحظ أن الديمقراطية ليست هدف الحركة البروتستانتية، فهي حركة إصلاح ديني تسعى للتخلص من سلطة الكنيسة ومن سياستها التي كانت تعمل على تشويه الدين المسيحي.

وحتى وإن حاولت البروتستانتية أن تفصل الحكم الديني عن الحكم الزمني، فإن هدفها يبقى دينياً.

(من مقالة لديما أحمد صالح،
«الحوار المتمدّن»، ٢٠٠٨/٧/٢٧)

«الطالبان» يقلدون الأميركيين



تماثيل بوذا في باميان (أفغانستان) بعدما فجرتها «طالبان».

النظرة المغرضة هي التي تزين للبعض أن يحصروا التهمة في المسلمين، ويرموهم بالتعصب وكراهية الآخرين، ويشيعوا في العالم كله أن ما يفعله «الطالبان» في أفغانستان هو ما يمكن أن يفعله غيرهم من المسلمين في أي مكان، والدليل على هذا هو ما تقوم به الحكومات والجماعات الدينية في مختلف البلاد الإسلامية. وليس هناك من يستطيع الدفاع عن «الطالبان» ومن هم على شاكلتهم، ممن يسيئون إلى الإسلام، ويرسمون له هذه الصورة الدموية المتخلفة، لكن الذين يحصرون التهمة في المسلمين، ويعممونها عليهم جميعاً، ويتجاهلون ما يقع في بقية بلاد العالم من صراعات دموية وجرائم وحشية تذهب ضحيتها الأرواح والممتلكات والمقدسات الدينية والقومية، هؤلاء لا يقلون تعصباً وعدوانية عن «الطالبان» وغيرهم من الإرهابيين، مسلمين وغير مسلمين. **ولو كنا نستسهل التعميم ونأخذ الكل بجريرة بعضهم لقلنا إن اليهود جميعاً لصوص قتلة، لأن جماعات منهم اغتصبت فلسطين وأجْلت أهلها عنها، وأعلنت عليهم حرب الإبادة التي لم تهدأ حتى اليوم.** ولأن جماعات من الصرب فعلت في البوسنة وكوسوفا ما فعله الصهيونيون في فلسطين، فالصرب إذاً كلهم قتلة. ولأن النازيين الجدد في ألمانيا وفرنسا واسبانيا والولايات المتحدة، يقاتلون الأتراك والمغاربة، ويحاصرون العراقيين والليبيين، وينحازون للإسرائيليين، فالغربيون كلهم لا يختلفون عن الصرب واليهود!.

ولقد دمر الصرب والسيخ والهندوس عشرات من أقدم الآثار الإسلامية وأقيمها في البوسنة، وكشمير، والهند. ودمر الإسرائيليون بلداً بكامله، وجردوه من شخصيته، وغسلوه من ثقافته التي عمرته أربعة عشر قرناً، وألبسوه ثيابهم وقبعاتهم، ثم دفعوا به ليرقص مذبوحاً في حفلتهم التنكرية!

وأنا بالطبع لا أبرر بهذه الإشارة إلى جرائم الآخرين جرائم «الطالبان»، أو غيرهم من الجماعات الإرهابية المتسترة بالإسلام، فلا شيء يبرر تدمير أثر، أو مصادرة رأي، أو إحراق كتاب.

ولقد خسرت الثقافة العربية الإسلامية، بما لقيته على أيدي أبنائها العاقين الجانحين، سواء أكانوا في الحكومة أم في المعارضة، أضعاف ما خسرته الثقافات الأجنبية على أيديهم.

إن الحملة التي شنها بعض الفقهاء المسلمين على الفلاسفة والمتصوفة المسلمين، وأيدهم فيها بعض الحكام، أجهضت الفكر الفلسفي في الإسلام، وقطعت شجرته من أصلها بعد أن وعدت بأطيب الثمرات. والذي حدث للفلسفة حدث للفن، فن النحت والتصوير، وحدث لحركة التجديد والاجتهاد في ثقافتنا بصورة عامة.

ومع أني لا أبرر ما نقع فيه نحن بما يقع فيه الآخرون، فأنا متأكد من أن التيارات المتخلفة المتشددة لم تقو في بلادنا إلا لأن القوى الاستعمارية والعنصرية في الغرب لم تترك خلال القرنين الماضيين فرصة تنال فيها منا، وتسحق إنسانيتنا، وتغتصب حقوقنا، وتخرجنا من مجال الفكر والفعل والتأثير والحوار، وتلقي بنا خارج العالم، إلا انتهزتها. ويكفي أن ننظر إلى ما يحدث في فلسطين، كيف تحولت إسرائيل إلى مصنع لإنتاج العنف واستخدامه، وأثارته في المنطقة، وتصدره إلى العالم كله. وإذا كنت أستنكر الإرهاب، وسوف أظل أستنكره مهما يكن مصدره وسببه، فأنا لا استطيع أن أسوي بين الجنود الإسرائيليين الذين قتلوا محمد الدرة في حضن أبيه، والسائق الفلسطيني الذي اقتحم بسيارته محطة الركاب الإسرائيلية في جنوب تل أبيب. وعلينا بعد هذا أن نتذكر أن هذه الذئاب التي اغتصبت السلطة في أفغانستان إنما رضعت من لبن الأميركيين وتربت في أحضانهم!.

لا يكفي إذاً أن نستنكر التعصب والإرهاب، بل علينا أيضاً أن نستنكر الأسباب التي تصيب الناس بهذا الجنون، والقوى التي تستخدم المصابين بالجنون، وتطلقهم ليعيثوا في الأرض فساداً، ويهلكوا الحرث والنسل، فيندفعوا إلى القتل وتدمير المعابد وإحراق الكتب، مما عانت منه البشرية كلها في الشرق والغرب، وفي الماضي والحاضر.

نعم، فالتعصب، والجمود، والخوف من الحرية والتقدم، ليست آفات إسلامية أو شرقية مقصورة على المسلمين والشرقيين وحدهم، أو على العصور الماضية من دون العصور الحديثة، بل هي آفات يتعرض لها أي مجتمع في أي عصر حين يُهزم، أو يجوع، أو يتخلف، أو يبتلى بطغيان فرد أو جماعة.

لكن الأمم تصاب بهذه الآفات وتبرأ منها. وفي العصور التي كان فيها المسيحيون أخوة أعداء عاجزين عن أن يتسامحوا مع أي اجتهاد يخالف مذهبهم السائد، في تلك العصور كان المسلمون يعيشون في بلادهم جنباً إلى جنب مع المسيحيين واليهود والصابئين والمجوس.

وليس معنى هذا أن التاريخ الإسلامي خلا من التعصب، أو بريء من الصراعات الدينية والمذهبية، لكن التسامح النسبي الذي استظلت بظله المجتمعات الإسلامية في العصور الوسطى لم يتح لغيرها من المجتمعات الأوروبية بالذات. **والدليل على هذا أن تماثيل بوذا التي دمرها «الطالبان» في الأيام الأخيرة، عاشت في أفغانستان المسلمة أربعة عشر قرناً لم تمس،** في الوقت الذي تعرض فيه ما لا يحصى من الأعمال والآثار للهدم والتدمير والتبديد بأيدي الغزاة الهمج والمتشددين المتعصبين من أبناء الديانات والمذاهب المتصارعة.

هيكل سليمان دمر مرتين، مرة على أيدي البابليين في القرن السادس قبل الميلاد، وأخرى على أيدي الرومان في القرن الميلادي الأول.

وعلى أيدي الرومان أيضاً احترقت مكتبة الإسكندرية وجامعتها، فقد اشتعلت الحرب بين يوليوس قيصر قنصل الرومان ومنافسه بومبي الذي لجأ إلى مصر، فتبعه قيصر إلى الإسكندرية، حيث نجح جنوده في الوصول إلى الأسطول المصري في الميناء الشرقي، وأضرموا فيه النار التي امتدت إلى مدرسة الإسكندرية (الموسيون) ومن ثم إلى المكتبة التي أسسها بطليموس الأول في القرن الثالث قبل الميلاد.

وفي أواخر القرن الرابع الميلادي، أرسل البطريرك المصري ثيوفيلوس جماعة من أتباعه نهبوا معبد السيرابيوم وحطموا تمثال سيرابيس الذي توحدت فيه آلهة المصريين واليونانيين؛ اوزيريس، وأبيس، وديونيزوس. وكانت مقتنيات المكتبة التي نجت من الحريق في الحرب الأهلية الرومانية بين قيصر وبومبي قد انتقلت إلى السيرابيوم لتلقى نهايتها على أيدي المتعصبين من أتباع البطريرك الذين بنوا على أنقاض السيرابيوم كنيسة، **ثم جاء العرب لتتصل حلقات هذه الحرب التي خسر فيها التراث الإنساني الكثير.**

ولقد عرف تاريخ المسيحية حركة متشددة كانت لها نتائجها السلبية على فن التصوير والنحت، وهي حركة تحطيم الصور التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي. ولهذا يعتقد المؤرخون أنها تأثرت بالمسلمين في رفضهم للتجسيد، وتحريمهم للصور والتماثيل الدينية، ودعوتهم لتحطيم كل أثر يبالغ الناس في تقديسه.

وكانت الكنيسة الشرقية قد منعت منذ البداية إقامة التماثيل ذات الأبعاد الثلاثة، باعتبارها أوثاناً، لكنها سمحت برسم الصور المسطحة لما تعبر عنه من أفكار مجردة لا يستطيع

البسطاء أن يتمثلوها، ولما تحدثه في النفوس من تأثير روحي مباشر.

لكن الجدل الذي دار حول طبيعة المسيح وما فيها من اللاهوت والناسوت، والاتصال والانفصال، أثار السؤال حول تصوير هذه الطبيعة وتجسيدها مما خشي منه أن تتحول إلى شكل من أشكال الوثنية.

وهكذا ظهرت حركة تحطيم الصور والأيقونات، وتبنتها الدولة البيزنطية، فأصدرت مرسوماً يحظر عبادة الأيقونات، لكن الكنيسة عادت فأدانت هذه الحركة التي انتعشت من جديد في القرن التاسع ثم اختفت بعد ذلك، وإن ظهرت في القرن الخامس عشر حركة أخرى يمكن أن تذكر بها من بعيد، ويمكن أن تذكر ببعض الجماعات الإسلامية من قريب، وهي حركة الراهب الايطالي جيروم سافونا رولا، وكان هذا الراهب مسيحياً متحمساً، وخطيباً مؤثراً يحكم بحكومة دينية تطبق شرائع الكنيسة ووصايا المسيح، وتعد المسيحيين للحياة الباقية.

وهكذا أعلن سافونا رولا في فلورنسا أن المسيح وحده هو ملك المدينة، وجمع حوله آلافاً من الشبان المتحمسين الذين نظمهم في فرق تحض الناس على أداء الشعائر، وتصرفهم عن اللهو والعبث والترف، وتعاقب من يقع منهم في خطأ، وتجمع منهم الصدقات، وتفض المشاجرات، وتقبض على المرابين، وتفتش البيوت عما يمكن أن يكون من مقتنيات لا تتفق مع القوانين والأخلاق المسيحية، كالتحف، والملابس الفاخرة، وأدوات التجميل، واللوحات الفنية، والمؤلفات الأدبية والفلسفية التي لا تدافع عن المسيحية، كروايات بوكاشيو، وأشعار بترارك، فإن وجد هؤلاء الأنصار المتحمسون شيئاً من هذه الأشياء صادروه، ووضعوه مع غيره أكواماً في ميادين فلورنسا وأضرموا فيها النار!.

لكن الذين هدموا دور العبادة، وصادروا الرأي، وأحرقوا الكتب والصور لم يكونوا دائماً من الأصوليين المتعصبين للدين، وإنما كان بعضهم من المستعمرين الباحثين عن الذهب، وبعضهم من الشعوبيين المتعصبين لجنسهم المعادين لغيرهم من الشعوب والأجناس. ونحن لا نكاد نعرف شيئاً عن الجرائم الرهيبة التي ارتكبها الأسبان والبرتغاليون والإنكليز والهولنديون وغيرهم من الأوروبيين في حق الهنود الحمر وتراثهم الثقافي.

لقد أحرق الأسبان كتب المكسيكيين ـ كما يقول تزفيتان ثوردوروف في كتابه **فتح أميركا** ـ حتى تمكنوا من محو ديانتهم، وهدموا آثارهم حتى يتسنى لهم القضاء على أي ذكرى لعظمة غابرة!

ويقول القائد الأسباني كورتيس الذي دمر امبراطورية الآزتيك في المكسيك، في القرن السادس عشر: «لقد نزعت أهم هذه الأوثان من أماكنها، ورميتها أسفل السلالم، وأمرت بتنظيف المعابد التي كانت فيها، لأنها كانت مغطاة بدماء القرابين، ووضعت هناك صورة سيدتنا (العذراء) وصور قديسين آخرين!».

لكن الجرائم التي ارتكبها المستعمرون البيض في حق المكسيكيين، وحق الثقافة البشرية، لم تتوقف حتى في العصر الذي نعيش فيه، وهذا ما يحدثنا عنه ماهر البطوطي في كتابه الجديد، **بين الفن والأدب**.

ففي شباط/فبراير سنة ١٩٣٤ أمر المليونير الأميركي روكفلر بتحطيم لوحة جدارية يربو حجمها على ألف قدم مربع، من رسم الفنان المكسيكي الشهير دييغو ريفيرا، الذي يضع اسمه مؤرخو الفن إلى جانب بابلو بيكاسو وهنري ماتيس وسواهما من كبار المصورين في القرن العشرين..

أقول إن المليونير الأميركي أمر بتحطيم اللوحة التي كانت تزين البهو الرئيسي لأحدث مبانيه في الشارع الخامس بنيويورك، وتصور الإنسان الحديث في مفترق العصور يبحث عن مستقبل أفضل. **ومن هنا وضع الفنان في جانب من جوانب لوحته وجه الزعيم الروسي لينين باعتباره أحد وجوه العصر الحديث، فأمر روكفلر بتحطيم اللوحة التي كلف الفنان برسمها وتدميرها بالكامل!.**

(أحمد عبد المعطي حجازي، نشرتها «السفير» بترتيب خاص مع وكالة «الأهرام» للصحافة، ٢٠٠١/٣/٢٨)

الكنيسة الكاثوليكية بين الممانعة والاختراق الصهيوني



عن مدونة أبناء العلامة اللاهوتي الأنبا بيشوى في مصر.

العلاقات المسيحية ـ اليهودية

يتحدث التاريخ بأن اليهود تآمروا على السيد المسيح (عليه السلام)، وقاموا بصلبه، وهو معتقد راسخ في الديانة المسيحية، ما جعل المسيحيين يتخذون موقفاً عدائياً من اليهود «قتلة المسيح»، حيث تنسب إلى «المجلس الكهنوتي الأعلى» الذي تأسس لإدارة شؤون اليهود أيام الرومان جريمة صلب السيد المسيح، بل ومعظم التحركات التخريبية التي تعرض لها المسيحيون، فاتهموا بأنهم قاموا بإحراق روما عام ٦٤م، ما أدى إلى تعريضهم إلى اضطهاد شديد. وكذلك تعرضوا للتقتيل نتيجة المؤامرة التي دبرها هذا المجلس في العام ١٣٠م، عندما خيل له، ظهور تصدّع في الكيان الروماني.

وتعود أسباب وجود هذه العلاقة العدائية بين الطرفين إلى ما هو مختزن في الذاكرة الجمعية لمعتنقي المسيحية حول اليهود «قتلة المسيح»، وإلى السلوكيات اليهودية اللاحقة التي كانت تعززها الانطباعات القديمة، وخاصة تلك الممارسات البشعة وعمليات تقتيل المسيحيين التي كان يقوم بها اليهود من أجل الحصول على الدم اللازم لفطير صهيون. وقد ولّدت هذه الممارسات ردّات فعل قاسية من جانب المسيحيين، أدت إلى قيام «ميليشيات» مسلّحة لمواجهة هذه الأوضاع، كما هو الحال في فرنسا مثلاً، هذا إلى جانب النشاط الربوي في العصور الوسطى في أوروبا، الذي ساهم في المضاربات الاقتصادية والسياسية لمجتمعات الإقطاع الأوروبي، الأمر الذي أدّى إلى حالة من السخط والاضطراب الاجتماعي جعلت الناس في حالة من الغليان، أدت إلى طرد اليهود من إنكلترا، ثم فرنسا وغيرها.

انشقاقات كنسية واختراقات صهيونية للمسيحية

بيد أن الأمور سرعان ما أخذت بالتبدل مع انتهاء العصور الوسطى، وعاد اليهود ليمسكوا بزمام الأمور، ولكن هذه المرة من خلال التسلل إلى داخل المسيحية، مستفيدين من التحوّلات التي شهدتها الساحة العالمية آنذاك مثل فتح

القسطنطينية (١٤٥٣) واكتشاف أمريكا (١٤٩٢) وسقوط الحكم الإسلامي في الأندلس، الذي تبعه طرد اليهود من إسبانيا، وهجرتهم إلى فرنسا وهولندا وإنكلترا وغيرها، حيث أخذوا في تشكيل طبقة اقتصادية ثرية، وبخاصة في مجال التجارة الخارجية، ما أغرى إنكلترا ودولاً أخرى على الاستعانة باليهود، للاستفادة من شبكة علاقاتهم التجارية الممتدة عبر أوروبا في ما بعد.

ووجد اليهود في هذه التحوّلات فرصة سانحة لاختراق المسيحية وتفتيتها، فشجعوا على الانشقاقات في الكنيسة، وأسسوا جمعيات «الإنسانيين»، ووقف يهود بريطانيا إلى جانب كالفن الذي كان يقول: «إن اللـه يحب أن تطرح الرأفة والإنسانية جانباً»، وما إلى ذلك من حركات ومنظمات.

غير أن أخطر هذه الحركات وأوسعها انتشاراً كانت الحركة البروتستانتية، أو ما عرف بـ«حركة الإصلاح الديني»، حيث تداخلت في هذه الحركة أساطير صهيونية تسربت إليها عبر التفسيرات الحرفية للتوراة، وساعد على تناميها دوافع سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة.

وقد تسببت هذه الحركة بحروب دامية طويلة في أوروبا، كان المستفيد الأول منها اليهود، حيث سمحت هذه الحركة التي تحولت إلى مذهب مسيحي واسع الانتشار لأتباعها بحقهم المتساوي في فهم الكتب المقدسة، وعارضت الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم هذه الكتب وقفاً على رجال الكنيسة، وضمت العهد القديم (التوراة) إلى العهد الجديد (الأناجيل).

ومن المعروف أن العهد القديم، وهو تاريخ اليهود، لم يكتسب شكله النهائي إلاّ في القرن الأول بعد ميلاد المسيح. وبصفته تلك جرى اعتماده من قِبل المسيحية البروتستانتية مع بعض الإضافات والحذف، وباللغة العبرية.

ولعل المساهمة الكبرى في تعميم العهد القديم، وجعله جزءاً من الثقافة الإنكليزية والمصدر الوحيد لمعرفة التاريخ القديم، كانت على يد الملك هنري الثامن ملك إنكلترا عام ١٥٣٨، وذلك عندما أمر بترجمة التوراة إلى اللغة الإنكليزية، ونشرها، وإتاحتها للقراءة من قِبل العامة، وللدلالة على أهميتها في الثقافة الإنكليزية، أُطلق على هذه التوراة المترجمة اسم «**التوراة الوطنية لإنكلترا**».

ولم تقتصر حركة التأثر بالتوراة والتعرف على محتوياتها على إنكلترا فحسب، بل شملت أوروبا كلها؛ هذه التوراة المملوءة بالأساطير والأشعار، التي تتحدث عن تاريخ اليهود، وقصص أنبياء بني إسرائيل وملوكهم وأسباطهم وتعاليمهم وطقوسهم الاجتماعية والمدنية والدينية ونفيهم وخروجهم من مصر وفلسطين، وحروبهم وأغانيهم ومراثيهم، وهكذا دخلت فلسطين في قراءات الكنائس ومواعظها، وأصبحت في العقل المسيحي في أوروبا البروتستانتية الأرض اليهودية، وصار اليهود «شعب فلسطين الغرباء في أوروبا، والغائبين عن وطنهم والعائدين إليه في الوقت المناسب».

ولذلك يمكننا القول إن السياسة الإنكليزية في علاقتها مع اليهود تدين بهذا التحول، ما جعل البروتستانتية تتحول بذلك إلى داعية شديدة الحماس من أجل ما أسمته «عودة اليهود إلى فلسطين» «أرض شعب اللـه القديم».

ونتيجة للأفكار التي كانت تؤمن بها البروتستانتية، وعدم الحاجة إلى رجال الدين في فهم نصوص العهدين القديم والجديد، **تعددت الاجتهادات في فهم النص الديني، ما أدى إلى بروز العديد من الحركات الدينية المتشددة التي تدعو إلى تقديم التوراة على التعاليم المسيحية**، فالبيوريتانيون أو التطهيريون صنفوا أنفسهم على أنهم «أبناء إسرائيل»، واستخدم بعضهم العبرية في صلواتهم، وذهب بعضهم إلى حد اعتناق اليهودية.

ومن الطوائف التي انشقت عن البروتستانتية أيضاً الإنجيليون، والمتجددون، فيما كان اليهود وراء إنشاء طوائف مثل «السبتيين» و«شهود يهوه». وهذه الطوائف على ما يذهب د. جرجي كنعان: «تحفظ وتقرأ وتبشر من التوراة، أكثر مما تفعل من الإنجيل، وتصر على أن التوراة ـ الحالية ـ كتاب مقدس، وأنها أصل الإنجيل، وأن المسيح يهودي، وأن الإنجيل مكمّل للتوراة». وهكذا، لم يعد مستغرباً، تحت وطأة هذه التأثيرات والقناعات المتشكلة في العقل المسيحي الغربي (البروتستانتي وما يتفرع عنه تحديداً)، أن تقوم دعوة أساسية في الكنائس الأمريكية، على دعم التسلح النووي لليهود في فلسطين، استعداداً لخوض المعركة الفاصلة في «هرمجدون» التي سوف تمهد لظهور السيد المسيح (عليه السلام)، وهذا ما أشارت إليه **دائرة المعارف البريطانية**: «إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين قد بقي حياً في الأذهان، بفعل المسيحيين المتدينين، وعلى الأخص في بريطانيا، أكثر من فعل اليهود أنفسهم».

في ظل هذا الوضع، أصبح العهد القديم مصدراً مهماً للمعلومات التاريخية عند العامة، حيث اقتصر تاريخ فلسطين على القصص المتعلقة بالوجود اليهودي فيها دون غيرها، وبالتالي أصبح البروتستانت مهيئين للاعتقاد بأنه لم يكن في فلسطين إلاّ ما جاء في العهد القديم من الأساطير والقصص التاريخية، حيث كان يبدو وكأنه لا وجود للشعوب الأخرى التي عاشت في فلسطين. وهكذا، رسخت في أذهان البروتستانت فكرة الرابطة الأبدية بين اليهود وفلسطين،



الفاتيكان في روما: مركز القيادة الروحية للكنيسة الكاثوليكية.

باعتبارها وطنهم القومي الذي أخرجوا منه، والذي يجب أن يعودوا إليه طبقاً للنبوءات الواردة في العهد القديم.

كما أن حركة الإصلاح الديني أعطت وزناً للغة العبرية باعتبارها اللغة الأصلية للكتاب المقدس. فلكي يفهم المؤمنون كلمة اللـه بشكل صحيح، لا بد لهم من معرفة اللغة الأصلية التي كتب بها، **وبالتالي أصبح العلماء والمصلحون وحتى العامة منكبين على دراسة اللغة العبرية وتعلمها.**

وهكذا يمكننا تقدير الخدمة التي قدّمها لوثر لليهود من خلال دعوته الأصولية، حيث أعاد بعثهم من جديد، وأكّد وجوب عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد، حيث تلقف البروتستانت هذه الأفكار وبدأوا في العمل على تنفيذها على أرض الواقع.

كما أن كثيراً من الباحثين يذهبون إلى القول بأن المذهب البروتستانتي أصلاً من صنع اليهود والماسون، حيث يقول عبد اللـه التل في كتابه «**جذور البلاء**»: «وجدت الماسونية في البروتستانتية خير سند لها في حربها ضد الكثلكة، وتبادل الفريقان الخدمات، الماسون يساندون البروتستانت لإذكاء الحرب بين الفرق النصرانية، والبروتستانت ينخرطون في محافل الماسون للاستفادة من نشاطهم السري ومؤامراتهم ودسائسهم».

الكنيسة الكاثوليكية: موقف عدائي لليهود

في الأساس، كانت الكاثوليكية تنظر إلى اليهود نظرة عدائية بسبب رفضهم الإيمان بدعوة السيد المسيح وكفرهم بها، ولذلك وصفهم أكثر من مرة «بخراف بني إسرائيل الضالة» وبغيرها من الأوصاف، وقد اتهموا بقتل المسيح (عليه السلام).

كما أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تتمسك بنظرية القديس أوغسطين، بأن ما ورد في الكتاب المقدس بشأن مملكة اللـه قائم في السماء وليس على الأرض، وبالتالي فإن القدس وصهيون ليسا مكانين محددين على الأرض لسكن اليهود، ولكنهما مكانان سماويان مفتوحان أمام كل المؤمنين باللـه، ولذلك كان رجال الدين الكاثوليك يعتقدون أن الفقرات الواردة في **العهد القديم** لا تنطبق على اليهود، لأن اليهود طبقاً للعقيدة الكاثوليكية اقترفوا إثماً، فطردهم اللـه من فلسطين إلى منفاهم في بابل، وعندما رفضوا دعوة السيد المسيح نفاهم مرة ثانية،

وبذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد.

وقد وضح هذه النقطة بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق في كتاب له مؤرخ في ١٧/ ١١/١٩٧٧، حيث قال: «إنه يفوت بني قومي أن السيد المسيح نسخ أحكام العهد القديم القومية، فبعد أن لعن سبع لعنات فقهاء العهد القديم (متى ٢٣) ختم بهذا الحكم المبرم قائلاً: «هوذا بيتكم خراباً» (متى ٢٣ـ٣٨) **وقد تحققت نبوءة السيد المسيح الذي رفضوه ولم يبق لهم وعد اللـه التوراتي بالأرض المقدسة**».

كما أن البعض يرى أن هذه النبوءات تحققت فعلاً عندما أعادهم الملك الفارسي قورش من منفاهم في بابل في القرن السادس قبل الميلاد، ولذلك ليس هناك أي نبوءة أخرى في العهد القديم تنص على عودتهم ثانية إلى فلسطين بعد عودتهم من الأسر البابلي.

كما أن الكنيسة الكاثوليكية وغيرها من الكنائس الأخرى لم تكن تعترف بأن اليهود هم شعب اللـه المختار، لأن السيد المسيح حارب بشدة هذه النزعة العنصرية فيهم، ودعا اليهود وغيرهم إلى الدخول في ملكوت اللـه المفتوح أمام جميع الصالحين: «لأن اللـه لا يخص أحداً بالرعاية لأسباب ذاتية، فالشمس تسطع على الجميع سواء بسواء».

وبالنسبة إلى العهد القديم (التوراة)، فقد كان مهملاً قبل حركة الإصلاح الديني، حيث كان الاعتماد الأساس على العهد الجديد ورسائل الرسل والإلهامات غير المكتوبة للبابوات، وأتت اللغة العبرية لغة ميتة، حيث كانت الأساطير الكاثوليكية ترى أن دراسة اللغة العبرية تسلية الهراطقة، وأن تعلمها بدعة يهودية.

في أصل هذه المواقف الكاثوليكية، لم يكن هناك أي أمل في إعادة بعث اليهود أو عودتهم وتملكهم لأرض فلسطين من جديد.

(السيد محمد حسين فضل اللـه، موقع «بينات» الإلكتروني)

المراجع

ـ جرجي كنعان، **وثيقة الصهيونية في العهد القديم**، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.
ـ سليمان ناجي، **التحركات اليهودية عبر التاريخ: زحف الطاعون المزمن**، دار النبراس، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.
ـ يوسف الحسن، **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.
ـ يوسف الياس ضاهر، **رد على الوثائق الفاتيكانية، الصادر عن لجنة العلاقات مع اليهودية**، بدون تاريخ، بدون مكان نشر.
ـ نصر شمالي، **إفلاس النظرية الصهيونية**، منشورات فلسطين المحتلة.
ـ عبد الرحمن ناصر، «الإسلام وفلسطين»، العدد ٦٤، تموز، ١٩٩٩.
ـ يوسف العاصي الطويل، **الصليبيون الجدد**، مكتبة مدبولي، ط ١، ١٩٩٧.

الأصولية المسيحية في أوروبا .. صراعات النفوذ والاتجار بـ«الخطر الإسلامي»



تفجير أوسلو في ٢٠١١/٧/٢٤.

لم يكن التفجير الدموي الذي هز العاصمة النروجية أوسلو مفاجأة للمتابعين للأوضاع السياسية الداخلية الأوروبية. فهذه الدول الصناعية الرافعة ألوية حقوق الإنسان تعيش منذ سنوات صراعاً على السلطة بين الأجنحة السياسية الحاكمة مدعمة بلوبي المال والإعلام المتعدد الانتماء والولاءات.

وقد تكون المفاجأة الوحيدة هي حصول الهجوم في بلد مثل **النروج**، بينما كانت كل الظروف تشير إلى إمكانية وقوعه في فرنسا او بريطانيا، **خصوصاً بعد الحملات السياسية والإعلامية التي استهدفت المهاجرين والمسلمين بالتحديد في لعبة الصراع على السلطة والنفوذ بين الأحزاب الوطنية في هذه الدول ومجموعات النفوذ المالي والإعلامي والعسكري، وتحديداً في ما يتعلق بالصراع الخفي بين اللوبي الكاثوليكي الفرنسي واللوبي اليهودي على ما يعتبره الكاثوليك آخر معاقل المسيحية في فرنسا، وهي الجيش وأجهزة المخابرات بعد نجاح اليهود في السيطرة على الإعلام ودخول مؤسسة الخارجية والجامعات والقضاء.**

في هذا السياق جاء هذا الهجوم في النروج ليظهر حقيقة الأوضاع على الأرض، لجهة تجذر الفكر العنصري المتطرف دينياً تارة، وعنصرياً قومياً تارة أخرى، فضلاً عن أن هذا الهجوم يشير إلى حقيقة لطالما سعت السلطات الأوروبية إلى إخفائها عن المجتمعات الأوروبية وعن الخارج **والمتمثلة بالتنظيمات الأصولية المسيحية المسلحة والتي تحمل في عقيدتها مبادئ المسيحية الصهيونية الأميركية مع اختلاف في تفاصيل الأولويات المحلية الخاصة بكل من أميركا وأوروبا، حيث تتوجه هذه المسيحية الصهيونية بعدائها في أوروبا نحو المسلمين والعرب، بينما تهتم في الولايات المتحدة الأميركية**

بضرورة دعم «إسرائيل» وبناء الهيكل في فلسطين.

في **فرنسا** التي تعد حاملة لواء العلمانية ضد كل ما هو مسلم منذ عقدين على الأقل، تنمو الميليشيات المسلحة تحت أعين الأمن، التي حذرت السياسيين من مخاطر استغلال وجود المهاجرين في لعبة الانتخابات الداخلية الفرنسية. ولم تتوقف هذه الأجهزة عن التحذير من هذه السياسة على الاستقرار الداخلي منذ الحملة على الحجاب في بداية عهد الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك، حتى وصلت الأمور إلى التحذير **من وصول الخطر إلى الدرجة الحمراء عند محاولة ساركوزي مناقشة الوجود الإسلامي في فرنسا في أروقة البرلمان الفرنسي**، لكن النواب رفضوا هذا المسعى بسبب تحذيرات أجهزة الأمن الفرنسية حسب مصادر نيابية فرنسية.

في الوضع الأوروبي العام، يبدو هجوم أوسلو منظماً ومخططاً له بشكل دقيق تقنياً وعملانياً، ولا يمكن بأي حال من الأحوال القول بأن من يقف وراءه شخص واحد بمفرده، وذلك يعود إلى طبيعة الهجوم الذي استخدمت فيه كميات كبيرة من المواد الكيمائية الزراعية، وتمت عملية خلط العبوات كيميائياً من خبير أو أكثر في المتفجرات، كما أن الإمكانات اللوجيستية المستخدمة تفوق قدرة شخص واحد على التخطيط والتنفيذ. **ولا يمكن الفصل بين المجموعة التي خططت ونفذت عملية أوسلو وباقي المجموعات الأصولية المسيحية المتنامية في دول أوروبا الغربية كافة، خصوصاً في الدول الكبرى (فرنسا وبريطانيا وألمانيا)** حيث تنتشر المجموعات المتطرفة في هذه الدول وتحمل في بعض جوانبها بعداً مسلحاً في فرنسا وألمانيا، وتبقى في هذا المجال الحالة الفرنسية نموذجاً مصغراً لكافة أشكال الصراعات بين هذه المجموعة ومجموعات الضغط المرتبطة بها، وخصومها الذين يتوزعون على شرائح واسعة، تبدأ بالقوميات الفرنسية ذات الطابع الإنفصالي (الباسك والبروتون والكورسيك) مروراً بالصراع مع اليهود على السلطة في فرنسا وصولاً إلى العداء للمسلمين في أوروبا والعالم.

لا يحمل الأصوليون المسيحيون المتدينون في أوروبا أي شعور بالود اتجاه النفوذ اليهودي القوي في مؤسسات الدول الأوروبية الحديثة، وفي المجتمعات الأوروبية. وفي المقلب الآخر أنتج النفوذ اليهودي السياسي والاقتصادي والإعلامي مجموعات ضغط مسيحية داخل الكنيسة تحمل أفكار المحافظين الجدد في أميركا المؤيدة لـ«إسرائيل» من وجهة نظر دينية تعتمد قراءة للتاريخ وللإنجيل تلائم كل أساطير الصهيونية حول وجوب إعادة بناء الهيكل ووجوب دعم «إسرائيل» تمهيداً لعودة المسيح إلى الأرض.

من جهة التدين المسيحي التقليدي أو ما يمكن تسميته باللوبي الكنسي الكاثوليكي، لا تتوقف الشكاوى والكلام عن سيطرة اليهود على مجمل مقدرات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والمالية في أوروبا، وهذا ما أنتج تياراً معارضاً لهذه الهيمنة، لكنه تيار غير موحد ويتألف من قوى عديدة لا يجمع بينها سوى هذا الموقف من النفوذ الصهيوني فيما علاقاتها الداخلية لا تتفق على حال رغم محاولات العديد من رجال الدين المسيحيين خلق لوبي قوي داخل مؤسسات الدولة وخارجها. ويظهر هذا الانقسام عادة في الانتخابات التي تتوزع فيها أصوات هذا اللوبي تبعاً للمصالح الشخصية للناخب أو للكنيسة التي يتبعها والتي تراعي مصالحها المناطقية والجهوية.

في المقابل ساهم تراجع التيار الكنسي التقليدي وعدم قدرته على التأثير في دوائر القرار في صعود تيار المسيحية الصهيونية المتأثر بالمحافظين الجدد في أميركا، ولا يُخفي أتباع هذا التيار توجهاتهم العقائدية والسياسية بالنسبة إلى المهاجرين من المسلمين حيث صدرت عدة كتب لأشخاص من أتباع هذا التيار تهاجم المسلمين وعقيدتهم. وتحدث البعض منهم منذ عدة سنوات عن ضرورة احتلال العراق وسوريا وإيران حتى ولو تم استعمال القنبلة النووية. وينشط هؤلاء بالأخص في محيط الكنائس البروتستانتية أو تحت غطاء جمعيات (شهود يَهْوَه)، كما أن البعض من هؤلاء ينشط مالياً وتجارياً لحساب هذا الفكر وجمعياته.

وتكمن مفارقة الصراع الخفي والتحالف العلني ضد المسلمين في اختلاف المصالح بين أتباع هذا الفكر واليهود، فالإعلام الفرنسي يخضع لسيطرة الجالية اليهودية فيما المال والتجارة يقعان في يد البروتستانت، وذلك لأسباب تاريخية تعود إلى حقب الملكية في أوروبا، والتي كانت تمنع على البروتستانت الدخول في الجيش وفي وظائف الدولة، ما دفعهم الى العمل في التجارة وفي المال وفي المهن الحرة.

هذا الوضع ينطبق على اليهود أيضاً الذين منعوا في العهود الملكية من كل الأشياء التي منع منها البروتستانت، ما دفعهم إلى التوجه بدورهم للتجارة والمال والأعمال الحرة. وهذا ما وضعهم في منافسة مباشرة مع البروتستانت انعكست على سير العلاقات بينهم، والتي تحولت إلى نوع من الصراع الطبقي وصراع النفوذ والمال والسلطة، داخل المجتمعات الأوروبية، فيما نجحت الصهيونية في خلق تيارات داخل هذا الخط تؤيد «إسرائيل» وتدافع عنها وعن سياستها.

وينشط التيار الأصولي المسيحي في صفوف العاطلين عن العمل بكثرة، كما أنه بدأ بدخول النقابات العمالية والمهنية، ولديه وصول لبعض النواب في البرلمان، فضلاً عن تسرب

أفكاره إلى الجيش الفرنسي وأجهزة الشرطة والمخابرات التي تتعامل في كثير من الأحيان مع المسلمين وفق مبدأ المتهم. ولسجل الشرطة والمخابرات في التعامل مع كل ما هو مسلم تاريخ حافل بالتعاطي غير القانوني في كثير من المواقف.

كما ويُعتبر حاملو الفكر الاستعماري من المنضوين تحت لواء الحلف الأصولي للمسيحية اليهودية وإن كان هؤلاء يحاولون التبرؤ من هذه العلاقات على خلفية الابتعاد عن التهم الموجهة لأصحاب الفكر الاستعماري بالدفاع عن عصور العبودية بحق الشعوب الأفريقية التي انتهجتها أوروبا سابقاً.

إلى أين تتجه الأمور؟

تقول أجهزة الشرطة في أوروبا إنها تضع تحت المراقبة المئات من العناصر المتطرفة التي يمكن أن تشكل خطراً على الأمن والسلم الأهليين. ففي **فرنسا** على سبيل المثال، تقول السلطات إن هناك ثلاثمئة ناشط يميني متطرف تحت مراقبة وحدة خاصة من المخابرات تضم نحو مئة عنصر أنشئت من أجل مراقبة ناشطي اليمين المسيحي المتطرف ومكافحته. ويتعدى هذا الأمر الحدود الوطنية في البلدان الأوروبية إلى تعاون بين الدول على هذا الموضوع الذي يقلق الحكومات وأجهزة الأمن الأوروبية، ويوجد بين فرنسا **وألمانيا** تنسيق أمني حول عدد من اليمينيين المتطرفين في كلا البلدين حسب ما ذكرته صحيفة **لوفيغارو** الفرنسية في عددها الصادر الأربعاء الماضي.

غير أن هجوم أوسلو جاء ليشير إلى عدم جدوى الإجراءات المتبعة من قبل الأوروبيين في هذا المجال. **فمنفذ العملية شخص لم يكن ضمن المجموعات المصنفة خطرة على الأمن العام، وبالتالي لم يكن تحت المراقبة الأمنية**، وهو ما يطرح سؤالاً عن الحالات غير المعروفة للشرطة في البلدان الأوروبية، والتي يمكن لها أن تقوم بما قام به منفذ هجوم أوسلو في أي وقت يريد وبالوسائل الإجرامية الفتاكة نفسها بسبب توافر المواد والخبرة التي كانت السبب في سقوط عدد كبير من الضحايا في أوسلو.

في هذا السياق ورغم التقليل الإعلامي من خطر هذه المجموعات الأوروبية المتطرفة، واستمرار وسائل الإعلام الأوروبية في التركيز على الخطر الإسلامي، جاء هجوم أوسلو الدموي ليثبت بالوقائع وبالدم بأن هناك خطراً موجوداً لن ينفع تجاهله ولا حرف الأنظار عنه بادعاء أخطار وهمية لأسباب انتخابية تتعلق بمصالح الساسة الأوروبيين فقط لا غير.

فالحكومات الأوروبية، وخصوصاً الكبرى منها في فرنسا وبريطانيا وألمانيا مدعوة إلى انتهاج سياسات جديدة في الداخل الوطني كما في الخارج من أجل الحد من هذه الظاهرة تمهيداً للقضاء عليها. ولن ينفع هنا الاستمرار في الاتجار بالخطر الإسلامي الآتي ولا بالاستمرار في تغطية الفشل الذريع اقتصادياً وسياسياً عبر اختلاق مشاكل وهمية كمسألة منع الحجاب أو الاستفتاء على بناء المآذن والمساجد، لأن هذه لم تكن يوماً سبباً جدياً في زعزعة الأمن الوطني إلا بالمقدار الذي أرادته وتريده الأجهزة الحاكمة التي استغلت الوجود الإسلامي المهاجر في صراعاتها السياسية الداخلية وفي خلافاتها مع دول إسلامية كما يحدث في فرنسا منذ عقدين أو كما حدث في مسألة المآذن في سويسرا مباشرة بعد خلافات مع ليبيا في قضية هنيبعل القذافي الشهيرة.

أيضاً لا بد للسلطات السياسية في الدول الأوروبية من الالتفات أكثر إلى كل الجمعيات الدعوية المتطرفة التي تنبت كالفطر في المجتمعات الأوروبية، ويشاهد الجميع تحركاتها في الشارع عبر توزيع المنشورات الدينية والنبوئية أو عبر حملات الغزو الدعوي المنظم الذي تقوم بها على بيوت الناس في سعي لكسب المريدين **كما تفعل جمعية** (**شهود يَهْوَه**) **المتطرفة وجمعيات مسيحية أخرى تعد بالعشرات، لا تخفي انتماءها للفكر الماسوني الذي ينتمي إليه منفذ عملية أوسلو في النرويج.**

من ناحية ثانية هناك التبعية الكاملة لكل ما هو إسرائيلي والتحالف الخفي بين السلفية المتطرفة والدول الأوروبية التي بفعل مصالحها النفطية والمالية تحتضن السلفيين الذين لا يعطون عن الإسلام سوى الانطباعات السيئة، والذين تستغلهم هذه الدول في عملية شيطنة الإسلام والمسلمين التي تأتي بشكل تلقائي تأييداً لـ«إسرائيل» ضمن المجتمعات الأوروبية.

أخيراً على هذه الدول الأوروبية التي لا تتوقف عن تقديم النصائح لغيرها في العالم بحجج استعمال سياسات أمنية في الداخل، **عليها أن تتخلى عن تعاطيها الأمني مع الوجود المسلم والانتقال إلى المعالجة السياسية، لأن التهويل الأمني لم ينتج سوى جماعات مسيحية أصولية تتعاطى مع المجتمع من نظرة أمنية إرهابية.**

(نضال حمادة، موقع «تحت المجهر»، ٤/ ٨/ ٢٠١١)

بعد اعتداءات أُوسلو
هل توجد أُصولية مسيحية تميل إلى العنف؟



القس الأميركي تيري جونز وخلفه لافتة على باص تنقله كتب عليها: اليوم العالمي لحرق نسخة من **القرآن** ٩/ ١١/ ٢٠١٠.

بعد اعتداءات النرويج، وبعد الكشف عن بعض دوافع المتهم بتنفيذ تلك الاعتداءات، عاد مصطلح «الأصولية المسيحية» إلى دائرة الأضواء. فما هو وضع هذا التيار في الأوساط المسيحية؟ وهل هناك خطورة متوقعة من انتشاره؟ وهل يؤمن بالعنف؟

الجميع يريد معرفة دوافع المتهم بتنفيذ اعتداءي أوسلو اللذين أوديا بحياة العشرات. وبدأت تتوالى التفاصيل حول تلك الدوافع، من قبيل أن المتهم **أندريس بيهرينغ بريفيك** يحمل نهجاً يمينياً متطرفاً، كما أن لديه كراهية متجذرة تجاه جميع المسلمين، بالإضافة إلى جوانب مرضية في شخصيته يجري بحثها والنقاش حولها حالياً. وعلى رغم أن المتهم البالغ ٣٢ عاماً من العمر يصف نفسه بالمسيحي، وعلى رغم أن الشرطة صنفته في البداية على أنه «**أصولي مسيحي**»، إلا أن علماء دين ألماناً يرون الأمر بشكل مختلف.

راينهارد هيمبلمان يدير مركزاً بروتستانتياً للحوار في برلين، وقد اطلع على مذكرات المتهم المؤلفة من ١٥٠٠ صفحة، فيقول: «في مذكرات المتهم المليئة بالكراهية لم يتم عرض رؤية عن دولة دينية، ولم يتم الاقتباس بشكل مستمر وصريح من الإنجيل. وكلا الامرين يعد من السمات المميزة للأصوليين المسيحيين». وبالإضافة إلى ذلك فلا يوجد أي أدلة على صلة بريفيك بمجموعات وأوساط أصولية مسيحية.

تيارات مسيحية محافظة

هناك أصوليون مسيحيون في كافة أنحاء العالم. وخلال العقود الأخيرة لقيت بعض الأفكار المحافظة، مثل الحركة الخمسينية أو

جهات إنجيلية، صدى كبيراً في الأوساط المسيحية، كما يوضح هيمبلمان.

هل يمكن اعتبار منفذ اعتداءات أوسلو جزءاً من ظاهرة للتطرف المسيحي؟

ويمكن الربط بين مثل هذه التطورات وبين عمليات التوجه نحو الأصولية، ولكن لا يمكن التعميم في اتهام هذه الجماعات.

ويرى البروفيسور هيرموت لوهر، أستاذ علم اللاهوت في جامعة مونستر بأن الحديث عن الأصولية المسيحية يؤدي «بنا إلى النظر إلى الكنائس البروتستانتية أولاً»؛ أي على المستوى الأوروبي، وليس في شمال أمريكا أو جنوبها أو في أفريقيا. ولكن هناك أصولية مسيحية في الطائفتين الكاثوليكية والأرثوذكسية أيضاً.

الأصولية المسيحية والمسيحية المحافظة

من سمات الأصولية المسيحية، بالدرجة الأولى، التفسير الحرفي للإنجيل. فهم يعزلون أنفسهم عن كافة المجموعات الاجتماعية والدينية الأخرى؛ ومن ضمن ذلك مثليو الجنس والمسلمون.

وينظر الأصوليون المسيحيون إلى المجتمع التعددي الحديث على أنه تهديد، ويعتقدون بأنهم المؤمنون الحقيقيون، أو نخبة مختارة.

إيفيلين شميت (٥٥ عاماً) وترعى منذ سنوات الأشخاص الذين يرغبون في الخروج من هذه المجموعات الأصولية في ولاية شمال الراين الألمانية.

وتعرف عالمة الاجتماع التي كانت في السابق تنتمي لإحدى هذه المجموعات جيداً ماذا يقدم لاتباع هذه المجموعات هناك، فالعرض جذاب، والإجابات عن الأسئلة تكون مفهومة وبسيطة، مهما كان السؤال صعباً. «ويشكل أعضاء المجموعة ما يشبه العائلة الصغيرة التي يسودها الحب والمودة والأمان»، كما تقول شميت.

ولكن لا يجوز الخلط بين الفكر المعقد للأصولية المسيحية والمسيحية المحافظة. ويشدد بعض علماء اللاهوت مثل راينهارد هيمبلمان على ضرورة التفريق بين الأصولية المسيحية ومصطلح التعصب.

ويوجد في التاريخ المسيحي العديد من الأمثلة على الفكر المتعصب، كما يوجد في الوقت الحاضر أيضاً، ولكن كظاهرة على الهامش. فمثلاً رأينا القس الإيفانجيليكي تيري جونز قد دعا إلى حرق القرآن، ونفذ ذلك بنفسه.

مسافة ضيقة بين التعصب والعنف

الاستعداد لاستخدام العنف أو مجرد الدعوة إلى ذلك، غير معروف في أوساط الأصوليين المسيحيين.

وحتى التعصب الديني لا يمكن وضعه على قدم المساواة مع العنف. ولكن المسافة ليست بعيدة بين التعصب وبين القيام بأعمال عنف وإرهاب. فالمذكرات المؤلفة من ١٥٠٠ صفحة التي خلفها المتهم في أوسلو، والمصبوغة بكراهية المسلمين، يمكن أن تقود إلى أكثر من مجرد اعتناق أفكار متعصبة، يقول البروفيسور هيرموت لوهر معبراً عن خشيته من انتشار مثل هذه المذكرات المشحونة بالكراهية.

ولذلك ينصح لوهر بأن لا تعطى الفرصة للمتهم النرويجي (بريفيك) لكي يحقق رغبته المتمثلة بحب الظهور ونشر أفكاره.

(أولريكه هومل وفلاح الياس، مراجعة عبده جميل المخلافي، موقع «دوتشه فيله»، ٢٠١١/٨/٧)

«الأصولية المسيحية».. التهديد الجديد لأوروبا؟

شكل إعلان الشرطة النروجية اعتقال مواطن يميني متطرف للاشتباه في تورطه **بتفجير الحي الحكومي في أوسلو وإطلاق النار في مخيم بجزيرة أوتويا أول من أمس، مؤشراً لاحتمال نشوء خطر أمني جديد في أوروبا بعد عقد على اعتداءات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ التي نفذها تنظيم «القاعدة»، وأدت إلى نشوب حربين في أفغانستان والعراق.**

ووصف هاغاي سيغال، الخبير الأمني في جامعة نيويورك بلندن الهجومين بأنهما «ربما يكونان النظير الأوروبي لحادثة أوكلاهوما سيتي»، في إشارة إلى تفجير الأميركي اليميني المتطرف تيموثي مكفاي شاحنة مفخخة أمام مبنى اوكلاهوما سيتي الفـدرالي عام ١٩٩٥، ما أسفر عن مقتل ١٦٨ شخصاً.

وتابع: «إذا صح ذلك فالأمر بالغ الأهمية، لأن أوروبا، وخصوصاً الدول الاسكندنافية لم تستهدف سابقاً بهجوم يميني متطرف، لذا يطرح السؤال نفسه هل الهجوم المزدوج يمثل تغييراً في هذه المعادلة، أم ينحصر في عمل فردي أو لجماعة صغيرة؟».

وتقلق الشرطة في دول أوروبية غربية كثيرة من تنامي المشاعر اليمينية المتطرفة، والتي يؤججها خليط قاتل من معاداة الإسلام والهجرة إلى جانب تصاعد المشاكل الاقتصادية.

لكن أعمال العنف الفتاكة أحياناً، تجاوزت نادراً العنف الجماعي واستخدام سكاكين.

وكانت دول اسكندنافية أخرى تعرضت لعنف أو تهديد، أهمها إحباط هجوم بقنبلة في العاصمة السويدية ستوكهولم في كانون الأول/ديسمبر الماضي حين قتل المفجر.

وتلقت الدنمارك تهديدات متكررة بعدما نشرت صحيفة محلية رسوماً كاريكاتورية مسيئة للنبي محمد نهاية عام ٢٠٠٥، ما أغضب المسلمين في العالم، علماً أن مبنى صحيفة نروجية شعبية نشرت أخيراً ترجمة لكتاب دنماركي في شأن الجدل حول الرسوم الكاريكاتورية تضرر في انفجار الحي الحكومي، لكن يبدو أن الاعتداء لم يستهدفه.

وكان تقرير أصدرته الشرطة الأوروبية (يوروبول) عن الأمن العام الماضي أشار إلى أن اليمين المتطرف أضحى «أكثر حرفية في إنتاج دعاية ذات طبيعة معادية للسامية والأجانب على الإنترنت، وأكثر نشاطاً على شبكات التواصل الاجتماعي».

وأورد التقرير: «على الرغم من أنه يبدو أن التهديد الإجمالي من التطرف اليميني يضعف وعدد الجرائم المتطرفة منخفض نسبياً، فإن حرفية دعايته والتنظيم يبينان أن الجماعات اليمينية المتطرفة لديها الرغبة في التوسع ونشر أيديولوجيتها، وما زالت تمثل تهديداً للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي».

وأضاف التقرير: «إذا كانت الاضطرابات في العالم العربي وخصوصاً في شمال أفريقيا ستقود إلى تدفق عدد كبير من المهاجرين لأوروبا، فربما يكسب التطرف اليميني والإرهاب متنفساً جديداً من خلال توضيح نظرته الأوسع انتشاراً عن الهجرة من الدول الإسلامية لأوروبا».

وفي تقرير نشره جهاز الشرطة النروجية في شباط/فبراير الماضي عن الأمن القومي، ذكر الجهاز أنه «يرى أن الصورة تتسم بعدم وضوح متنام في ظل تصعيد غير متوقع لمستوى نشاط يمينيين متطرفين».

وقال: «اليمينيون المتطرفون في النروج يتصلون بيمينيين متطرفين في السويد ودول أوروبية أخرى بينها روسيا. وقد يقود ذلك إلى تنامي مستوى النشاط بين جماعات معادية للإسلام لزيادة الاستقطاب وعدم الارتياح خصوصاً أثناء احتفالات وتظاهرات أو نشاطات تتصل بهم».

(«النهار»، ٢٤/٧/ ٢٠١١)

التعصّب الديني في الغرب يعود إلى حقبة سقوط غرناطة

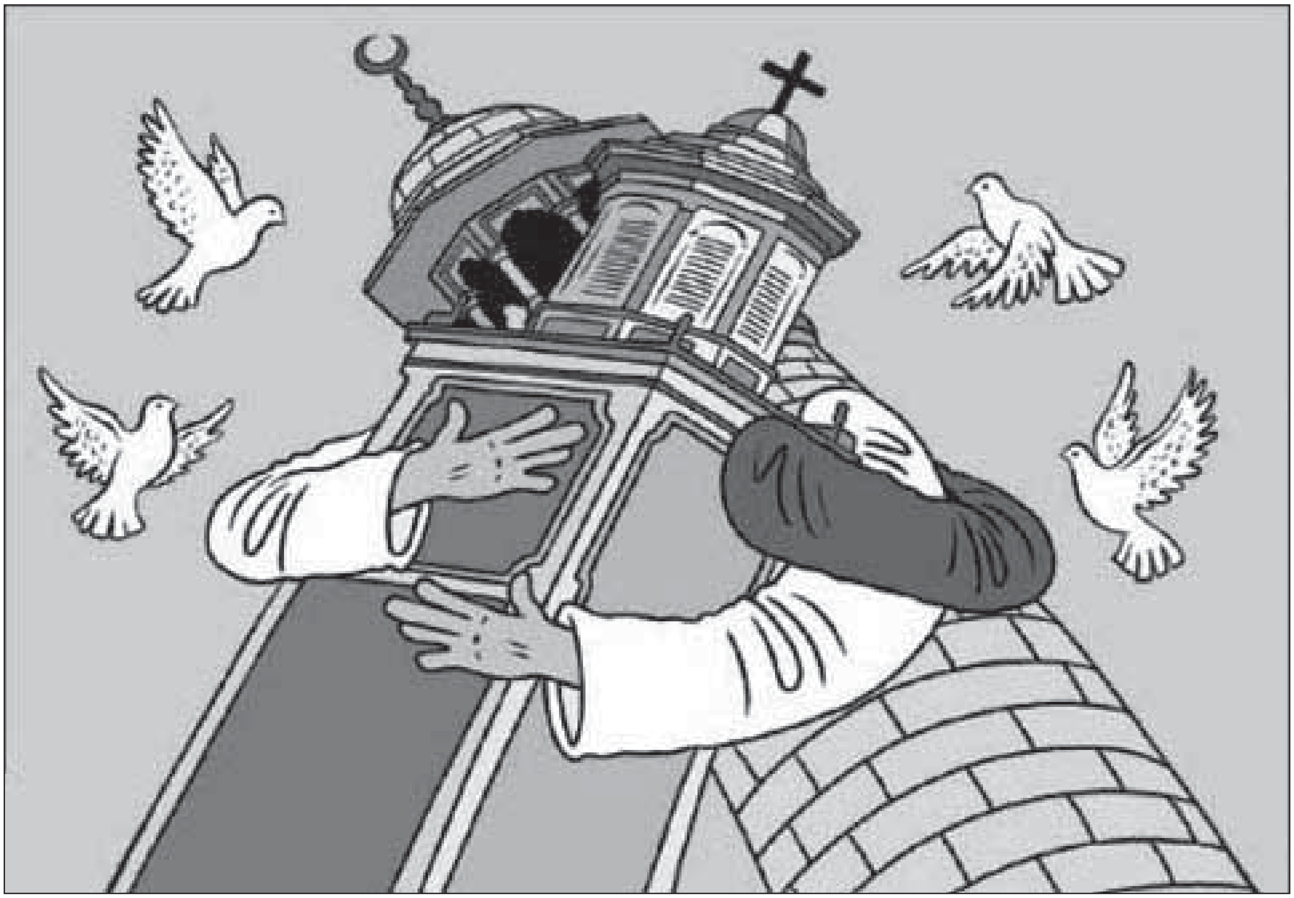


من الحقبة الأندلسية.

لا شك في أن الغرب ـ أوروبا وأميركا ـ ومنذ أحداث ١١ أيلول/سبتمبر تجتاحه موجة طاغية من العنصرية حيال العرب والمسلمين عموماً. وقد تكون العنصرية الدينية هي رأس الحربة فيها، بيد أن العنصرية الدينية تعود خلفيتها الحقيقية إلى **حقبة سقوط غرناطة آخر معاقل العرب المسلمين في بلاد الأندلس (أسبانيا)، ومروراً بالحروب الصليبية، ووصولاً إلى القرن الأخير الذي شهدت السنوات الأولى منه تعرّض بلدين مسلمين إلى الغزو والاحتلال من قبل أميركا.**

إن ما يدور في الوقت الحاضر في الغرب حيال المسلمين والإسلام هو تعصب ديني، وقد يكون غطاءً لغرض أو هدف له ارتباطات سياسية وثقافية، وبمجمل هذه الارتباطات العامة لهذا الهدف، فإن فحواه ومبناه لا يخرجان عن نطاق حالة العداء والكراهية المتصلة أصلاً بالرجع التأريخي الآنف. وربما تكون مقتضيات العصر الراهن قد تطلبت من الغرب استخدام آليات عصرية غير أخلاقية وحضارية، مثل نشر الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد، والتهديد بحرق نسخ من المصحف الشريف، ومنع بناء المآذن، والاعتراض على إنشاء مركز إسلامي في نيويورك، ناهيك عن الممارسات العنصرية والتمييزية حيال المسلمين اللاجئين والمهاجرين، وحتى المسلمين المكتسبين جنسيات البلدان التي يقيمون فيها. أضف إلى ذلك اللجوء إلى الأساليب القديمة في محاربة الإسلام والمسلمين من خلال الحروب العسكرية، مثلما هو حاصل في أفغانستان والعراق، وقد يأتي الدور على إيران على خلفية الملف النووي. وهذه الحروب بدت سافرة في نياتها لدى الغرب، والذرائع التي ساقها في التحضير لهذه الحروب اتضح في ما بعد زيفها وبهتانها، بل إن زعماء الغرب ما انفكوا عن اتخاذ مواقف علنية ومكشوفة في إبداء عنصريتهم الدينية هذه.

وفي الفترة الأخيرة قامت المستشارة الألمانية إنجيلا ميركل باستقبال الرسام الدنماركي كورت فيسترغارد، الذي أثارت رسوماته المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم احتجاجات عنيفة في العالم الإسلامي قبل خمسة أعوام، وتسليمه جائزة (أم ١٠٠ ميديا ٢٠١٠)، كما دعا وزير الداخلية الألماني فولفغانغ شويبل كل الصحف الأوروبية إلى نشر تلك الرسوم الكاريكاتيرية السيئة، على غرار الصحافة الدنماركية،



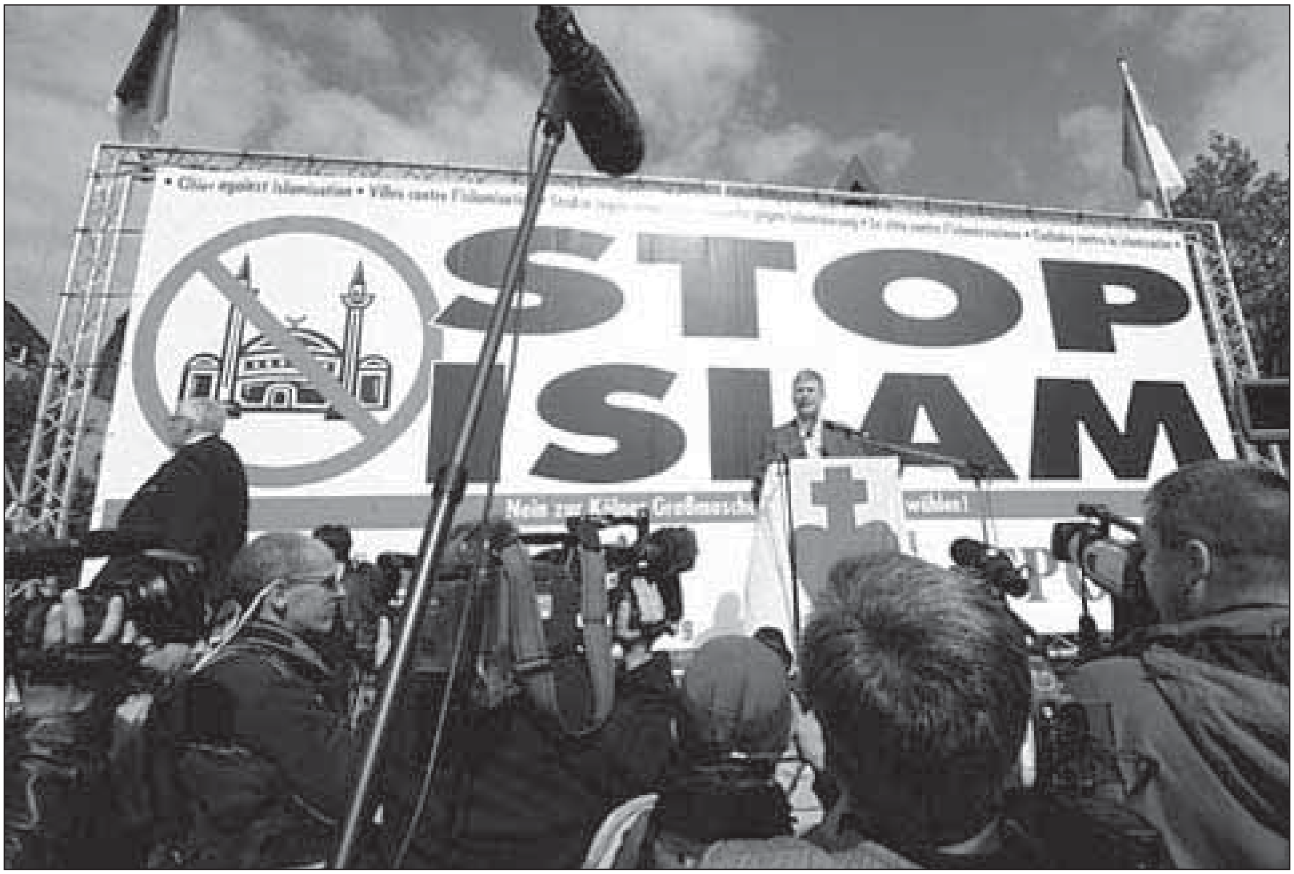
وذلك دفاعاً عن حرية الصحافة على حد زعمه، ناهيك عن دفاع رئيس الوزراء الدنماركي السابق اندرس فوغ راسموسن عن إعادة نشر هذه الرسوم المسيئة في صحافة بلاده، تحت ذرائع ومزاعم تتعلق بالديموقراطية والصحافة الحرة.

اللافت في هذا الموضوع أن هناك العديد من الدول الغربية بما فيها أميركا وألمانيا وفرنسا وإيرلندا وكندا مثالاً وليس حصراً، **تتضمن دساتيرها فقرات تحظر التمييز على أسس دينية. وتحّرم عدم احترام المقدسات وتشويه العقيدة الدينية**، بيد أن الزعماء الغربيين ممارسة وتصريحاً لا يحترمون ما ورد في دساتير بلدانهم التي هي أساساً تمثل قانون ديموقراطيتهم هذه، بينما نراهم يدعمون ويشجعون على العنصرية الدينية تحت شماعة تجسيد الديموقراطية واحترام حرية التعبير والرأي، في وقت هم لا يحترمون قانون هذه الديموقراطية وحرية التعبير والرأي، المتمثل في الدستور، وهو ما يعني أن هناك تناقضاً صارخاً بين ممارساتهم ومواقفهم من جهة، وإدعاءاتهم وتبريراتهم بشأن الحفاظ على الديموقراطية وحرية الرأي والتعبير من جهة أخرى.

لذلك، اتخذت العنصرية الدينية الغربية لها جوانب حضارية وفكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية وتأريخية وعرقية، لتكون بالتالي عنصرية شاملة، لكنها في حقيقة الأمر تنطلق من اعتبارات وأسس دينية، حتى أن المرشح الأسبق لانتخابات الرئاسة الأميركية بات بوكانان في كتابه **موت الغرب** يعتبر أن أحد مؤشرات موت الغرب يتمثل في نمو المجتمعات في العالم الثالث وخاصة الإسلامي حجماً وكياناً، وهجرة العرب والمسلمين إلى ديار الغرب وتشكيلهم كينونة ثقافية مغايرة للكينونة الغربية ومتحديه لها، وغشيان العرب والمسلمين في ديار الغرب لمجالات الإعلام والسياسة والنقابات، وممارسة دورهم بروح رسالية خاصة بعد أحداث أيلول.

(عبد الزهرة الركابي، «السفير»، ٤/ ١٢/ ٢٠١٠)

لماذا يكرهوننا؟



من التظاهرات الأوروبية ضد بناء المساجد.

أظن أن من حقنا الآن أن نسأل: لماذا يكرهوننا في الغرب؟ ولماذا هان أمرنا حتى أصبح يتجرأ على ديننا ومقدساتنا كل من هب ودب من المتعصبين والكارهين؟

(١)

خلال الأسبوعين الأخيرين على الأقل كانت لوثة حرق المصاحف التي خرجت من إحدى كنائس ولاية فلوريدا عنواناً رئيسياً في الصحف ونشرات الأخبار. وقبلها بأسابيع كان الجدل مثاراً في **الولايات المتحدة** حول فكرة «مركز قرطبة»، الذي قيل إنه مسجد يراد له أن يبنى بالقرب من موقع البرجين اللذين تم تفجيرهما في هجمات ١١ أيلول/سبتمبر. وهو ما صور بحسبانه استفزازاً لمشاعر الأميركيين وتحدياً لهم، الأمر الذي قسم الرأي العام بين مؤيد ومعارض. أدري أن الرئيس أوباما أدان اللوثة، وأن وزيرة الخارجية تبنت الموقف نفسه الذي عبر عنه آخرون من رموز النظام والقيادات الدينية، لكن ما حدث أن أصداء الحملة ترددت في مختلف أنحاء الولايات المتحدة. **وبدا أن الموج أعلى وأقوى من أن تصده تصريحات السياسيين، ومن ثم أحدث تسميم الأجواء مفعوله في ثلاثة اتجاهات هي:**

ـ إن خطاب المتطرفين والمتعصبين أصبح يربط بصورة مباشرة بين الإرهاب والإسلام، متخلياً عن الحذر الذي لاح يوماً ما في الفصل بين الإثنين.

ـ إن مشاعر الغضب عبرت عن نفسها في حوادث عدة تعرض لها المسلمون، فطعن أحد الشبان الأميركيين بسكين سائق تاكسي مسلماً مهاجراً من بنغلاديش (على أحمد شريف) حين تعرف على هويته الدينية. ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية على لسان إبراهيم هوبر مسؤول الإعلام في مجلس العلاقات

الأميركية الإسلامية «كير» قوله إن مساجد المسلمين تعرضت هذا العام لاعتداءات عدة، فقد فجر رجل قنبلة يدوية الصنع في مركز إسلامي في جاكسونفيل بولاية فلوريدا، وجرت محاولة إحراق مسجد في أرلنغتون بولاية تكساس. ووجهت تهديدات أخرى لمسجد في فريسنو بولاية كاليفورنيا، وشب حريق مشبوه قرب موقع يفترض أن يُبنى فيه مسجد بولاية تنيسي.

ـ قبل عشرة أيام أجري استفتاء بين الأميركيين تبين منه أن أكثر من ٦٠ بالمئة منهم يعارضون بناء مركز قرطبة في موقعه الحالي، و١٠ بالمئة عارضوا مبدأ بناء المساجد في أميركا، وعبر ٥٠ بالمئة من المستطلعين عن نظرتهم السلبية إلى الإسلام، في حين قال ٣٣ بالمئة إن الإسلام يشجع على العنف ضد غير المسلمين. وهذه نسبة تعادل ضعف الذين أيدوا الفكرة ذاتها قبل ٨ سنوات، الأمر الذي يدل على تنامي مؤشرات الربط بين الإسلام والعنف.

(٢)

الموقف في أوروبا لا يختلف كثيراً، فالتخويف من أسلمة القارة وتحولها إلى أورابيا (أوروبا العربية) يتردد حيناً بعد حين، ليس فقط على ألسنة زعماء اليمين الذين يزداد مؤيدوهم في أوروبا، ولكن أيضاً على ألسنة بعض مسؤولي الفاتيكان (لا تنس أن البابا الحالي هاجم الإسلام واعتبره ديانة تحض على العنف). إذ قبل أيام قليلة (السبت ٩/٤) خرجت تظاهرة في **باريس** ضمت ممثلي ٢٦ منظمة مطالبة بمقاومة «الخطر الإسلامي». ورفع بعض المشاركين في التجمع الذي دعت إليه جمعية «الرد العلماني» لافتة كتب عليها: لا للحجاب والنقاب. ولا نريد «طالبان» في فرنسا. وظهر أحدهم حاملاً علم فرنسا في يد وزجاجة خمر في اليد الأخرى، وقال للصحافيين إننا ضقنا ذرعاً بهذه الديانة، ولن نسمح للرجال بضرب النساء ونشر العنف كأسلوب حياة. ومعروف أن فرنسا كانت سباقة إلى حظر الحجاب في المدارس الحكومية، ومنع الظهور بالنقاب في الأماكن العامة، مع فرض غرامات مالية على المخالفات. وهي الصرعة التي ترددت أصداؤها في دول أوروبية أخرى بعد ذلك.

ليست بعيدة عن الأذهان قصة **الرسوم الدنماركية** التي أهانت النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ودافع عنها رئيس الوزراء هناك. وبين أيدينا سجل طويل من التصريحات المعادية للإسلام والمنددة به التي ما برح يطلقها في **هولندا** القيادي والنائب اليميني جيرت فيلدر الذي ازدادت شعبيته في الانتخابات الأخيرة. وأصبح حزبه القوة السياسية الثالثة في هولندا. وهو يتزعم الآن حملة لتوحيد جهود اليمين الأوروبي للمطالبة بإخلاء أوروبا من المسلمين. وفي **النمسا** حملة موازية تتبنى الأطروحات نفسها، يقودها حزب الحرية اليميني، الذي فاز بـ١٧,٥ بالمئة من الأصوات في انتخابات العام ٢٠٠٨. وكان من نتائج التعبئة المضادة أن ظهرت في الأسواق لعبة على الإنترنت باسم «**وداعاً للمسجد**»، يزيل فيها اللاعبون رسوماً متحركة يهدمون بها مساجد ومآذن، ويتخلصون من مؤذن ملتح يحث المسلمين على الصلاة. وقد حظرت الحكومة تلك اللعبة.

في **ألمانيا** تتزايد مؤشرات الخوف من الإسلام والمسلمين، بعدما بينت الاستطلاعات التي أجراها معهد «ديماب»، أن ٧٠ بالمئة من الألمان يستشعرون ذلك القلق. **وقد جاء مقتل الباحثة المصرية مروة الشربيني في العام الماضي على يد أحد العنصريين الألمان ليلفت الانتباه إلى تفشي «الإسلاموفوبيا» في المجتمع، وإلى دور الأحزاب اليمينية في إذكاء المشاعر المعادية.**

وبدرجة أو أخرى، خيمت الأجواء ذاتها على **سويسرا** التي قاد فيها الحزب اليميني حملة لحظر مآذن المساجد، وأيدت الأغلبية هذا الموقف في الاستفتاء الذي أجري في العام الماضي.

(٣)

أوافق تماماً على أن حملة العداء للمسلمين والإسلام يقودها نفر من المتطرفين المتعصبين وغلاة المحافظين، وأن في العالم الغربي آخرين أكثر حصافة وتعقلاً. لكن الحاصل أن صوت المتطرفين هو الأعلى بحيث مكنتهم ثورة الاتصال من تعبئة الرأي العام واستنفاره. ولذلك فإن شعبيتهم تتزايد، بدليل تزايد الأصوات التي يحصدونها في الانتخابات البرلمانية عاماً بعد عام.

أدري أيضاً أن ثمة اختلافاً في ملابسات ودوافع حملة العداء بين الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا. **فالدوافع في أميركا سياسية** بالدرجة الأولى، ونفوذ اللوبي الصهيوني وغلاة المحافظين لا ينكر هناك. ثم إن هناك رأياً قوياً يربط بين اشتداد الحملة في الوقت الراهن وبين انتخابات التجديد النصفي للكونغرس في شهر تشرين الثاني / نوفمبر القادم، التي يأمل الجمهوريون في تحقيق فوز محسوس فيها على الديموقراطيين. **أما في أوروبا فالدوافع اقتصادية في الأغلب.** ذلك أن الأزمة الاقتصادية أنعشت عناصر اليمين، وأثارت قلق قطاعات من الأوروبيين إزاء وجود المسلمين في سوق العمل، واستمرار هجراتهم عبر شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وهو ما يشكل عبئاً على اقتصاديات الدول الأوروبية، ويرتب نفوراً من المسلمين.

أياً كانت التباينات والاختلافات بين أوروبا وأميركا فإنها لا تلغي حقيقة أن حملات التعبئة ضد الإسلام والمسلمين أحدثت أثرها في تسميم أجواء علاقات الغربيين مع المسلمين، الأمر الذي يهدم ما قيل عن حوار الحضارات والتعايش والتسامح الذي بشر به نفر من المثقفين، بذات القدر فإن ذلك يفتح الأبواب لفكرة صدام الحضارات التي أطلقها المحلل السياسي الأميركي فرانسيس فوكوياما (عام ١٩٨٩)، ولم تؤخذ على محمل الجد في حينها، لكنها تبدو الآن احتمالاً وارداً، من الناحية النظرية على الأقل.

(٤)

نحن بإزاء مشكلة حقيقية مرشحة للتصاعد، تكاد تكرر أجواء العداء للسامية التي خيمت على ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر. **ولئن كان العداء للسامية قد أصاب بضعة ملايين من اليهود آنذاك لا يكاد يتجاوز مجموعهم عدد أصابع اليدين، فإن لوثة استعداء المسلمين وإهانتهم تمس ملياراً ونصف مليار مسلم، للدول الغربية مع أقطارهم مصالح جمّة بالغة الحيوية.** وإذا كان العداء للسامية يمثل لحظة عابرة في التاريخ، فإن العداء للإسلام له تاريخ طويل، يذهب به البعض إلى القرن السابع الميلادي (برنارد لويس) حيث نزلت رسالة الإسلام في وجود المسيحية واليهودية. ويؤرخ له أكثر الباحثين بزمن الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر، والتي عبئت لأجلها أوروبا ببغض الإسلام والمسلمين قبل شن الحملات العسكرية بدعوى تخليص بيت المقدس من شرورهم. **ورغم انتهاء تلك الحملات في القرن الثالث عشر، إلا أن التعبئة الثقافية المضادة لم تتوقف، وظل مفعولها حاضراً في تشويه الوعي الأوروبي، وكامناً في ثنايا جميع مراجعه وموسوعاته.** وهو ما نضح على كتابات أغلب المستشرقين وأطروحات الباحثين ومناهج التعليم. وهو ما عبر عنه الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه «**الإسلام في تصورات الغرب**» ـ الذي أصدره في العام ١٩٨٧ حين كان عميداً لكلية أصول الدين، حين قال إنه «من المعلوم أن الكتابات الغربية في الإسلام ونبيّه تتروح بين الجهل التام والمعرفة الموجهة، بين الإسفاف الشنيع والموضوعية النسبية، بين الافتراء والإنصاف، بين الاستعلاء والنزاهة، بين الفحش الصارخ والتسامح العاقل».

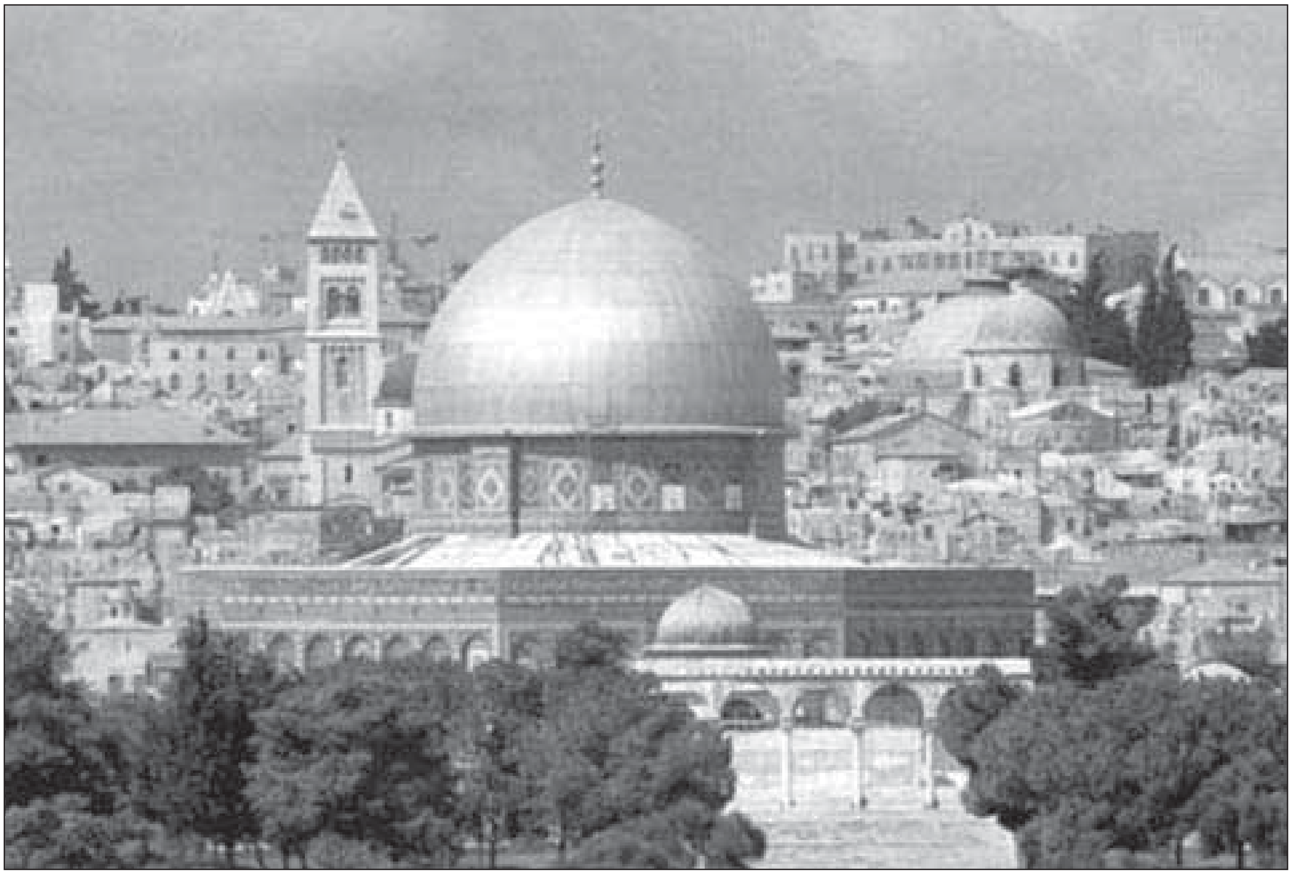
هذا البغض للعالم الإسلامي وديانة المسلمين ليس معرفياً فحسب، لكن له بعداً وثيق الصلة بالاستعلاء والشعور بالتفوق العرقي والحضاري. وهو ما فصل فيه الفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه غارودي في كتابه **حوار الحضارات**، حين وصف الاستعلاء الغربي على المسلمين بأنه «الشر الأبيض».

لقد قصدت الإشارة إلى هذه الخلفية لكي ألفت النظر إلى أن أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر لم تكن منشئة لبغض الأميركيين المتعصبين والمتطرفين الغربيين للإسلام والمسلمين، ولكنها كانت كاشفة عن ذلك البغض. وأذكر هنا أن مشاعر العرب خاصة نحو الولايات المتحدة الأميركية اتسمت بالود يوماً ما، حين طالب أهالي سوريا وفلسطين عند نهاية الحرب العالمية الأولى أن تكون الولايات المتحدة هي الدولة المنتدبة على بلادهم وليس بريطانيا أو فرنسا. تعبيراً عن ثقتهم فيها وحسن ظنهم بها وقتذاك قبل أن تسفر عن تطلعاتها بعد الحرب العالمية الثانية، وتقف مع إسرائيل ضد العرب. وهو ما أثبته الدكتور رؤوف حامد في بحثه المنشور بكتاب «**صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأميركية**».

أدري أن صورة بعض المسلمين وممارساتهم تثير النفور حقاً، وتبعث على إساءة الظن بهم، لكنني أزعم أن الغربيين، وساستهم بوجه أخص، لم يحسنوا الظن بالمسلمين، ولا عبروا عن احترامهم قبل أن يطالعوا تلك الصورة أو الممارسات المنفرة. **وتظل المشكلة أننا احترمناهم واعترفنا بديانتهم وشرعيتهم على المستوى العقيدي، لكن قياداتهم الدينية لم تعترف بشرعية الإسلام وكونه ديانة سماوية حتى هذه اللحظة. كما أننا قبلناهم على المستوى الحضاري، ولم نتردد في التعلم منهم حتى صار بعضنا يدعو إلى اللحاق بهم، لكنهم لم يعترفوا لنا بخصوصية.** واعتبروا أن تقدمنا مرهون بقدرتنا على تمثلهم واستنساخ تجربتهم. ولا أنكر أن لدى عامة المسلمين شعوراً بالمرارة والسخط إزاء ساستهم وسياساتهم، وليس ضد شعوبهم أو ثقافتهم. لكن الصوت المعلى عندهم مشحون بمشاعر السخط على أمتنا بأسرها. و شجعهم على ذلك ما أصاب الأمة من انكسار ووهن حتى أن السيد أوباما حين أراد أن يثني القس الذي دعا إلى إحراق المصحف عن عزمه، فإنه حذره من أن ذلك يهدد أمن الجنود الأميركيين في العراق وأفغانستان، **وعز عليه أن يشير إلى أن ذلك يمثل إهانة للمليار ونصف المليار مسلم.**

(فهمي هويدي، «السفير»، ١٤/٩/٢٠١٠)

الأصولية الدينية: مخاطر استشراء التفريع



مساجد وكنائس في القدس. أما هيكل سليمان الثاني فقد دمره قائد الجيش الروماني تيطوس في عام ٧٠ م.

ليس سراً أن الأصوليات الدينية تجنح إلى المزيد من التمايز في ما بينها. وإذا ما كانت كل من الأصولية الإسلامية والمسيحية قائمة أصلاً على التقابل، فإن المساحة المشتركة بينهما محكومة بأن تبقى تتقلص تدريجاً إلى أن تنعدم الشراكة تماماً بينهما في ما يعود إلى نظام القيم والأفكار، ولا يبقى من مشترك بينهما إلا كونهما ظواهر تاريخية سياسية وسوسيولوجية تتشكل على موجباتها، وتتذرع الموجبات الدينية بعد أن توقعها إلى أقصى درجات الاختلاف والتنافي.

ربما كان السبب الكامن والمؤثر في هذا الواقع المشهود هو أن العلاقة بين الأصولي ومصدره الديني (دينه الذي ينتمي إليه) مبنية على فرضية التناقض بين أي دين ودين آخر، سواء كان الدين أو الدينان سماوياً أو سماويين أو اختلفا في ذلك.. وبذلك تمشي الأصولية بمنزلة الدفع المنظم والهادف لهذا التناقض من القوة إلى الفعل؛ أي إلى المقام التناحري، أي الاشتغال المتبادل على النقض والتقويض، تقويض ونقض الحضور والفعل وصولاً الى وجود الدين الآخر والمتدينين به، إن لم يتداركوا حالهم ومآلهم ويلحقوا بالدين الغالب أو المتدين المنتصر، أو ينزووا بإيمانهم وطقوسهم في زاوية معتمة، ولا يعترضوا طريق الغالب الذاهب وحده الى الجنة والناجي بفضل اتصاله واحتمائه بالفرقة الناجية!

إذاً.. ومنذ التشكل الأول لأي تيار أصولي ديني ينهض، يظهر الاختلاف والتنافي والنفي للآخر محدداً ومعيناً وجداراً مقفلاً.

قد لا يكون هناك مانع من الاتفاق على هذه الفكرة كمسلمة تحتاج إلى مزيد من الاستبيان والتحقيق.

غير أن هناك مفارقة في الأصولية المسيحية هي غاية في الوضوح والعمومية، فالفصال أو المفاصلة التأسيسية أو الأساسية في الأصولية المسيحية في مقابل الأصولية الإسلامية تذهب إلى مواجهة الإسلام والمسلمين عموماً، لتجد نفسها

تلقائياً في صف الأصولية اليهودية ممثلة في صيغتها شبه العلمانية (الصهيونية) مغلبة للاختلاف أو التعارض المحدود والطبيعي بين الإسلام والمسيحية على التناقض العميق بين اليهودية والمسيحية. في حين أن المفارقة الأقل وضوحاً وعمومية في الجهة الإسلامية هي أن الأصولية الإسلامية تدخل في فصالها أو مفاصلتها مع المسيحية عموماً من خلال استحضار مفهوم الكفر كمائز يمكنها من إسقاط الفوارق بين اليهودية والمسيحية المنصوص عليها في القرآن، وتجاهل المفهوم الجامع الذي يلتزم به الإسلام ويلزم ويرتب عليه أحكامه الشرعية في التعامل مع أهل التوحيد، أي مفهوم الكتابية الذي لا يمكن إلغاؤه حتى على فرضية تحريفه. ويمكن أن يضاف إليه المبنى الفقهي المتعارف في **التفريق بين كتابي وكتابي آخر على أساس كونه محارباً أو مسالماً، وبذلك يغدو يسيراً التفريق بين النصارى واليهود، حيث إن القاعدة في النصارى هي المسالمة، والقاعدة في اليهود هي المحاربة.** ويتحول هذا المسلك الأصولي إلى حجة أو ذريعة لدى الشرائح الأصولية المسيحية المختلفة لمزيد من الأصولية التي تحسم أمرها في اعتبار المسلك العدواني اليهودي على المسلمين في فلسطين وغيرها رديفاً طبيعياً لها ورافداً لنهرها العظيم.

وفي الوقت نفسه يؤثر المسلك الأصولي الإسلامي سلباً وخيبة وضيقاً وحرجاً في شرائح مسيحية معنية بالسلام والعدل والمحبة والحرية لجميع الناس، من منطلقها الإيماني والتوحيدي، ما يدفعها دفعاً للكون في موقف وموقع واحد مع المسلمين في عنائهم من المشروع اليهودي، الذي دفعه الغرب متناغماً مع مكونات ذاتية يهودية، إلى أن ينيخ بثقله الضاغط حضارياً وثقافياً وروحياً ووجودياً على فلسطين التي اختاروها باعتبارها واسطة العقد الإسلامي والعربي الممنوع من الانتظام، حسب إملاءات المرحلة الامبريالية الغربية التي يتزايد ضغطها الآن على إيقاع المسعى الأميركي إلى الهيمنة وتأسيس حالة امبراطورية شديدة التركيز والاستتباع في كل شيء ولكل شيء (وثيقة كامبل بنرمان عام ١٩٠٧ بعد نداء نابليون إلى اليهود ووعده لهم بدولة في فلسطين).

هذا وفي حين يخلو الخطاب الأصولي الإسلامي في أقطار الصفاء الإسلامي أو الأقطار القريبة من الصفاء (أفغانستان مثلاً) من أي دلالة على أي شعور بإشكالية العلاقة المسيحية الاسلامية، ويسهل عليها قسمة العالم إلى فسطاطين، من دون شعور بالحرج من تجميع كل المسيحيين مع كل اليهود في فسطاط واحد، يلتفت الأصوليون الإسلاميون في أقطار التعدد على اختلاف النسبة، أحياناً، إلى الشريك أو الجار المسيحي فيجاملونه بأدبيات وإنشائيات قابلة للتنصل والتنكر والإنكار ومحكومة بازدواج الظاهر والباطن. وهنا يعاني أهل الحوار من أسئلة تأتي من جهة الأصوليين الإسلاميين المنظمين والمستقلين، عن جدوى الحوار وضرورة قطعه إذا لم يكن يهدف أو يصل إلى الأسلمة. ولا يقل المبشرون المسيحيون عن الأصوليين الإسلاميين هجساً بالتنصير الذي يسقطونه على الحوار.

هنا قد لا يكون من قبيل التعسف أن يقترح المشغولون بالحوار الراهنون عليه كأطروحة علائقية يمكن أن تكون خلاصية، للمستقبل بين المسيحيين والمسلمين.. **أن يقترحوا فلسطين ملتقى حضارياً وروحياً مركزاً يكاد أن يكون وحيداً، وموضوعة يبدأ منها الهم والاهتمام ويصب فيها، مفترضين أننا مسلمين ومسيحيين إذا ما استطعنا أن نحول فلسطين إلى مشترك نهائي، فإن بإمكاننا أن نزيح من وجه أهل الديانتين (ثلاثة مليارات وكسور) العائق الأول والأصعب من عوائق اللقاء،** خاصة أن الغرب المختزل طوعاً وقهراً، بالطرف الأميركي المهيمن هو مسيحي، وأن السياسي فيه يعمل على خطين، خط مصادرة الديني المسيحي، وخط اختراقه بمماهاته بالسياسي شكلاً، ذريعة إلى تحقيق أهدافه التي تتعدى فلسطين الآن إلى المشرق أو إلى الجنوب.

وتضع أحداث الحادي عشر من أيلول على عاتق الثقافة الإسلامية الممتدة في بنيان العقل المسيحي الشرقي عموماً والعربي خصوصاً، كفاء امتداد الثقافة المسيحية في بنيان العقل الإسلامي، ما يعني أميركياً خصوصاً، أن هذه الثقافة التبادلية بامتياز مسؤولة ومرشحة لأن تصبح مسرحاً عملانياً لمحاولة إلغاء واجتثاث أو تمييع، لن يتم إلا بإعادة رسم الخارطة، أي قسمة المقسوم وتحويل الجزء الى جزيئات، لتجديد الرهن وتحقيق الاستلحاق الذي يعني ترجيح مخاطر العولمة ومساوئها على محاسنها.

ذلك ربما كان بإمكانه أن يشكل شرطاً معرفياً غائباً وعملياً لتحقيق رغبة يفترض أن أصلها ما زال قائماً في وعينا، لأداء وظيفتنا الإيمانية الإنسانية في إعادة العقل والفعل اليهودي إلى صوابه وسياقه التوحيدي. تجنباً، أو تجنيباً للغرب خاصة، من التسارع في تراكم حالة من العداء للسامية مجسدة في اليهود، استناداً إلى الماضي والذاكرة، من دون حاجة إلى نازية جديدة، ومن دون استبعاد لأن يقع الغرب في محارق غير مبالغ فيها هذه المرة وغير منحصرة في مكان واحد أو مزاج سياسي واحد. **ليعود، بعد هذه المحارق، ضمير الغرب ليستيقظ ويدفعه إلى عملية تعويض وتكفير تدفع باليهود إلى استكمال جريمتهم في فلسطين بجريمة أخرى وأكبر، يؤشر عليها الكلام اليهودي الذي يتردد عند كل محطة من محطات الحرب والمواجهة والاجتياح، واصفاً الطموح الصهيوني للوصول إلى مكة فضلاً عن المدينة وخيبر،**



من نضال المسيحيين ضد الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين.

وقد سبق لبعض قياداتهم ـ شارون في ما أظن بعد احتلال لبنان عام ١٩٨٢ـ أن قال إن نفوذ اسرائيل سوف يصل إلى تركيا من جهة.. وإلى ماليزيا وأندونيسيا من جهة أخرى. وقد سبق لرئيس الوزراء الماليزي محاضر محمد أن كاشف الجميع بحجم الدور اليهودي والإسرائيلي في وضع العوائق أمام بلده في طريقه إلى استكمال تجربته الخاصة في التحديث والتنمية الشاملة على أساس الوفاء والتواصل مع الجذور والمكونات الخاصة للاجتماع الماليزي.

وقد امتدت الآثار إلى أندويسيا التي لم يكن الموقف الساذج أو المائع لرئيس وزرائها عبد الرحمن وحيد من إسرائيل كافياً لجعلها في منأى عن الهدف الإسرائيلي ـ الأميركي.

إن خطر استدعاء الأصولية للأصولية الثانية، والثانية للثالثة، بالانشقاق على موجب اختلافات جزئية وبالتناغم عادة مع مؤثرات خارجية تتركب من المال والسياسة على مقتضى العصبية المعاد تركيزها، بين المسلمين والمسيحيين، خطر حقيقي ومشهدي. إن واقعة دفع التمايز الطبيعي أي الاختلاف الذي هو قانون كوني، بين الجماعات الدينية إلى مستوى الفصال التام، عندما تحدث وتؤتي ثمرتها، يصبح من الصعوبة بمكان حصارها وحصرها في حيز نشوئها الإسلامي ـ المسيحي. ومن هنا يرتفع شعار توحيد المتعدد والمنفصل والمتقابل في محطات استشعار المخاطر الخارجية من دون أن تؤدي التفاهمات على السلب، أي ضد الآخر المعتدي، إلى حالات توحيد ناجعة، ليبقى على منتظري التوحيد والجازعين من استشراء الانشقاق والتجزئة أن يواظبوا على انتظارهم لغائب يمعن في الغياب.

إذاً يبدأ الانقسام الأصولي على موجبات غير ملزمة، ولكن هاجس التمايز يبعث على الالتزام بها، لتصبح، وإن كانت فرعية أو مفرعة من الأصول، أصولاً، ويستشري هذا الانقسام، من دون أن يعدم المسوّغات، ويتوالى جبرياً أو هندسياً أحياناً، فيتم تحويل الأصولية العامة، على أساس ما ينهض أو يُستنهض من الحساسيات والذاكرات والمحددات الفئوية التاريخية أو العقدية، إلى أصوليات إضافية متفاصلة ومتناحرة وجاهزة لمزيد من التشظي على أساس ما في التاريخ العام أو الخاص (المذهبي) من اختلاف، تم على يد الموحدين والعقلاء من أئمة الفكر والفقه تكييفه فقهياً وعقدياً، بحيث يبقى دون المساس بوحدة الأصل التوحيدي وفي حدود تعدد المعرفة بالدين بتعدد العارفين.

هذا في حين أن النهج التفريعي أو التشقيقي، الذي يفرع ثم

يؤصل الفرع ليبني عليه أصوليته المدبرة او المفتعلة والحاشدة باحتمالات التفريع يجد مناصه الفصالي في السياسة، فيعيد بناء الثابت على المتغير، والغيب على العيان، والديني على الدينوي، والاجتهادي على الاتباعي، واليقيني على المشكوك، والعام على الخاص، والمقدس على غير المقدس، **ليصبح غير المقدس بالتوليد (أي السياسي) مقدساً في النهاية**، وتسقط قواعد الاحتياط الشرعي في التماس المعذرات والاحتراس بحسن الظن بناءً على الظواهر، وفي الدم والمال والعرض، أهم موارد الاحتياط الشرعي.

ويتسع الفضاء السياسي التعددي لهذا المسلك، متخطياً السياسة بمعناها الإنساني والعمراني إلى السياسة الملتبسة بالأيديولوجيا أو المؤدلجة، أي الديماغوجيا، أي الخرابية، حيث يكون السياسي في هذه الحالة غير قادر على أن يبرر ذاته إلا إذا دفع الاختلاف إلى مصاف الأيديولوجيا أو العقيدة أو العقدة الجامعة لجماعته المانعة للجماعات الأخرى، **والتي تصل في لحظة الوعي المرضي والمتورم إلى جعل المذهب أو جزئه ديناً في مقابل المذهب أو الجزء الآخر، أي الدين الآخر!**

هذا مع العلم أن المعرفة الأقرب إلى كنه المقاصد الشرعية في الإسلام، والتي مارسها الابدال من شركاء التأسيس ومن أئمة المذاهب الإسلامية، تؤصل وتبرهن فرضية المعادلة الموضوعية والجدلية بين التوحيد والوحدة في نظام العلم والعقيدة الإسلامية.

وهنا يتم تجاوز هذه المسلمة أو المبنى المعرفي أو الفقهي أو الاعتقادي المتموضع بوضوح كاف في المحطات التاريخية المفصلية (بدءاً من وضع علي (ع) للمعيار الشرعي في العلاقة بالمؤسسة الحاكمة، من موقع المعترض، على أساس مصلحة الجماعة الكبرى وأرجحيتها على رؤية الجماعة الأصغر «لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن جور إلا عليّ خاصة».. ولا يشك أحد من المؤرخين في انحياز أبي حنيفة مؤسس المذهب الحنفي في فترة ازدهار المذهب الجعفري إلى الخط العلوي ودعمه له في مقابل السلطة العباسية الجائرة، ما جعل أبا حنيفة يدفع ثمناً باهظاً سجناً وتعذيباً أو قتلاً كما عند بعض المؤرخين.. من دون أن ننسى اعتزاز أبي حنيفة بتلمذته على الإمام جعفر الصادق (ع)).

يتجاوز الأصولي السياسي الديني أو العلماني كل ذلك، لأنه يحتاج إلى التعصيب المركز والفصالي لإقامة سلطانه عليه، فيحرك مشاعر جماعته المذهبية لترفع الفوارق السوسيولوجية الحادثة بينها وبين جماعة أو جماعات أخرى شريكة لها في الإيمان العام أو الوطن أو الخطر، إلى مستوى الحدود الفاصلة. وتكتشف مرجعيتها النابذة في الاختلاف الفقهي أو العقدي المتحرك، أي الذي يبقى دائماً خاضعاً للقراءة وإعادة النظر ليؤول إلى اتفاق بناءً على البحث الدائم في أدلة الأحكام والإعادة الدائمة لاستكشاف المقاصد وتجديد الوعي بها.

اذاً فلا بد من البحث عن السياسي (المأمون والمعتزلة ومحنة الإمام أحمد والأشاعرة والمتوكل والأشاعرة ومحنة المعتزلة والدولة العثمانية إبان توجهها إلى المشرق في أوائل القرن السادس عشر، متزامنة مع تأسيس الدولة الصفوية والصراع السياسي والنفوذي بين الدولتين اللتين اضطرتا من أجل تسويغه والإيغال فيه لأن تظهرا بمظهر الأصولية السنية والشيعية..

وفي المثال المسيحي نذكر في ما نذكر ما حصل بعد مجمع نيقية والتباس المسيحية بالامبراطور الروماني، وترتب عليه إلغاء عدد من الحساسيات المسيحية المختلفة (الآريوسية مثلاً) إلى الموقف الفرنسي من البروتستانتية الذي تحول إلى أصولية إلغائية إلى حد كبير وإقصائية الى حد كبير أيضاً ما ترتب عليه بعد التصفيات الجسدية طرد البروتستانت إلى الخارج، ألمانيا خصوصاً).

(هاني فحص، في القسم الأول من ورقة قدمت إلى ندوة الفريق العربي للحوار الإسلامي ـ المسيحي في القاهرة في ١٧ ـ ٢٠/١٢/٢٠٠٢، نشرتها «السفير» في ١٠/١/٢٠٠٣)

«الليكود» واليمين الأوروبي المتطرف:
أجندة موحدة لمواجهة «الزحف الإسلامي»



جهود لوقف هجرة المسلمين إلى أوروبا بقيادة صهيونية!

أنشأت أحزاب «الإسلاموفوبيا» في أوروبا شبكة اتصالات متينة تمتد من إيطاليا إلى فنلندا، وشملت مؤخراً مؤيديها بين المحافظين الإسرائيليين، وتحديداً الدائرة المقربة من رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وائتلافه السياسي، إذ في إسرائيل من يعتقد أن الشعبويين (أصحاب الفكر الشعبوي المتطرف المعادي للأجانب) هم مستقبل القارة الأوروبية.

صفحات أندريس بيرينغ بريفيك الـ ١٥٠٠ ليست شيئاً.. صفحات متتالية من نص تفصيلي يدعم رؤيته الأيديولوجية للعالم، دفعته مؤخراً لقتل ٧٦ شخصاً في هجومين رهيبين في النروج الأسبوع الماضي. وثيقة دفعت الكثيرين إلى السؤال عن صحة بريفيك العقلية، لكنها أضاءت في الوقت ذاته، مع اقتباس «سفاح أوسلو» مقولات لا تعد ولا تحصى، مصدرها مدونات الكترونية مروجة للـ«إسلاموفوبيا» ولمكافحة الهجرة، على أن هناك شبكة ترابط وثيقة بين الجماعات اليمينية الشعبوية في أوروبا، من الجبهة الوطنية في فرنسا لـ«فلامز بيلانغ» في بلجيكا إلى «حزب الحرية» في النمسا.

واتضح مؤخراً أن شبكة الأحزاب الشعبوية الأوروبية لم تقتصر على حدود القارة فحسب، بل اتجهت شرقاً لتشمل السياسيين المحافظين في إسرائيل، وتحديداً البرلماني الإسرائيلي أيوب قرّا، من حزب «الليكود» الذي يرأسه نتنياهو، ويشغل أيضاً منصب نائب الوزير المكلف شؤون تنمية النقب والجليل.

قد يكون ما قاله زعيم «حزب الحرية» النمساوي هاينز ـ

كريستيان ستراتش لـ«**دير شبيغل**» كفيلاً بتفسير الاهتمام الأوروبي المتنامي بإسرائيل: «**لا شك أن الثورات في الشرق الأوسط عظيمة، إلا ان الامور قد تتجه في النهاية إلى تشكّل أنظمة دينية إسلامية تحيط بإسرائيل وبفناء أوروبا الخلفي**».

يشاطر العديد من الإسرائيليين ستراتش وجهة نظره التي توحي بأن إسرائيل على خط المواجهة بين الشعبويين اليمينيين والإسلام الزاحف باتجاه أوروبا. وقال اليعازر كوهين، المعروف في إسرائيل باسم «شيتا»، إن الأحزاب اليسارية في كل من أوروبا وإسرائيل أضاعت طريقها. كوهين، الكولونيل المتقاعد في سلاح الجو الإسرائيلي، هو عضو سابق في الكنيست عن «إسرائيل بيتنا»، الحزب القومي المتشدد الذي يتزعمه وزير الخارجية أفيغدور ليبرمان، شريك حزب الليكود في حكومة نتنياهو الحالية.

وأضاف كوهين في كلام له في تشرين الأول / أكتوبر الماضي في برلين أن «سياسيي اليمين في أوروبا هم أكثر حساسية تجاه ما يواجه إسرائيل من مخاطر.. يتحدثون تماماً بلغة الليكود وغيره من الأحزاب اليمينية الإسرائيلية.. نأمل أن يفوز اليمينيون في أوروبا».

لا يختلف كوهين وقرّا في الرأي، إذ قال الأخير لصحيفة «**معاريف**» الإسرائيلية في حزيران / يونيو الماضي «أبحث عن أساليب للتخفيف من التأثير الإسلامي في العالم، وأعتقد أن هذا يمثل النازية الحقيقية في العالم.. أنا أشاطر كل من يؤمن بوجود هذا النوع من الحروب».

للوهلة الأولى، يبدو أن علاقة الشعبويين الأوروبيين مع إسرائيل أشبه بزواج مبني على الحب.. يرى كثيرون أن «حزب الحرية» في النمسا مجرد خطوة صغيرة لـ«التنصل» من صبغة جماعات «النازيين الجدد» الكلاسيكية، وهو الأمر الذي ينطبق على شركائه في كل أنحاء أوروبا. ففي حين أن هذه الأحزاب تصر على أنها ليست معادية للسامية، يبقى سهلاً العثور على دلائل مضادة على تطرفها في نقد الصهيونية ومعاداتها للسامية من داخل القوائم العضوية في الحزب الشعبوي.

أندرياس مولزر، على سبيل المثال، العضو في البرلمان الأوروبي عن «حزب الحرية» والذي غيّر مؤخراً لهجته للدفاع عن نهج ستراتش تجاه إسرائيل، مسؤول عن تحرير أسبوعية «**زورزيت**» التي تفند الهجمات على إسرائيل. **فبعد توغلها في قطاع غزة في أواخر عام ٢٠٠٨، اتهم مولزر إسرائيل بالعمل على أساس «روح الإبادة التلمودية»، وأنها كانت تحاول «القضاء نهائياً على قطاع غزة وفقاً لروح العهد القديم».**

في الواقع، عندما يتعلق الأمر بـ«حزب الحرية»، يقول المراقبون إن نسجه مثل هذه العلاقة مع إسرائيل يصب في خانة التأسيس لسياسة خارجية ذات مصداقية. ويؤكد أحد خبراء الحزب هريبرت شيدل أن «هذه الاستراتيجية أصبحت مقبولة اجتماعياً» في وقت يكتب في رسالة إلكترونية «إننا نفترض أن معاداة السامية لا تزال تشكل جزءاً أساسياً من عقيدة الحزب».

أما في إسرائيل، فيميل كثرٌ إلى الموافقة على هذه الاستراتيجية.. بعد اجتماع قرّا في برلين مع الألماني اليميني الشعبوي باتريك برينكمان في وقت سابق من الشهر الماضي، انتقدت الصحف الإسرائيلية وعلى رأسها «**يديعوت أحرونوت**» زيارة قرّا، وعنونت «قرّا يلتقي مليونير النازيين الجدد» في إشارة إلى برينكمان الذي «يصر الآن على عدم معاداة السامية بعدما كان في السابق على علاقة وثيقة مع الحزب الوطني الديموقراطي في ألمانيا». وعقب زيارة قام بها إلى فيينا في كانون الأول / ديسمبر الماضي للاجتماع مع ستراتش، نشر زعيم الجمعية اليهودية في فيينا، أرييل موزيكانت، رسالة مفتوحة إلى نتنياهو طالبه فيها بطرد قرّا.

إن رسالة «حزب الحرية» السياسية الأساسية ـ كغيره من الأحزاب الشعبوية في فنلندا (الفنلنديون الحقيقيون) وإيطاليا (رابطة الشمال) ـ هي مكافحة الهجرة الإسلامية، إذ تعتقد هذه الجماعات اليمينية التي تعارض بناء المآذن أن ما يهدد مستقبل أوروبا هو ارتفاع معدل الولادات عند المسلمين، وتعتبر أن على الغرب المسيحي أن يدافع عن نفسه بمواجهة الإسلام.

السياسي الهولندي خيرت فيلدرز، الذي اشتهر عام ٢٠٠٨ بإنتاجه فيلم «فتنة»، المعادي للإسلام، هو من أطلق التعاون الوثيق بين الشعبوية الأوروبية وإسرائيل قبل ٣ أعوام. وقد عاد لزيارة إسرائيل مرات عدة منذ ذلك الحين. أما العلاقات الأوسع فبدأت بالتجذر في العام الماضي، إذ سافر ستراتش جنباً إلى جنب مع زعيم حزب «فلامز بيلانغ»، فيليب دوينتر، والسياسي السويدي كينت إيكيروث من حزب «الديموقراطيين السويديين الوطنيين» وغيرهم، إلى إسرائيل في كانون الأول الماضي، قبل أن تردّ الزيارة بسرعة مع جولة قام بها قرّا وغيره إلى فيينا في نهاية الشهر ذاته.

في الحقيقة، إن شركاء اليمينيين الأوروبيين في إسرائيل هم يمين الوسط: قرّا، العضو في الأقلية الدرزية الذي يتمتع بعلاقات وثيقة مع نتنياهو، معارض للانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة ومؤيد مخلص للمستوطنات اليهودية في الضفة الغربية. رشون مسيكا، زعيم للمستوطنين في الضفة، كان في استقبال الوفد الشعبوي في كانون الأول الماضي. أما هيلل وايز وديفيد هيفري، مؤيدا «**الصهيونية الجديدة**»، **وهي الحركة التي تعتقد بأن من المستحيل العيش في سلام مع العرب**، فقد زارا ألمانيا في نيسان / أبريل الماضي لعقد مؤتمر استضافته الحركة اليمينية الشعبوية الألمانية.

كلهم يأملون بتشكيل منبر أوروبي يضع إسرائيل في موقع المقاومة للمد الإسلامي، كما يعتقدون أنه مع تحقيق اليمين الشعبوي مكاسب انتخابية في مختلف أنحاء أوروبا في السنوات الأخيرة، يبقى الرهان الذكي على ستراتش وشركائه.

(عن «دير شبيغل»، «السفير»، ٣/٨/ ٢٠١١)

المسيحية المتصهينة.. أصولها وجذورها
هل كان كالفن يهودياً؟



شـهود يهوه: برج المراقبة للتبشير بقدوم المسيح

لقد أدى الفساد الذي كانت تمرّ به الكنيسة الكاثوليكية الأوروبية في روما في القرن السادس عشر الميلادي إلى تهيئة الأوضاع المناسبة لقيام حركة دينية احتجاجية، أطلقها أحد القساوسة الألمان في عام ١٥١٧م ويدعى **مارتن لوثر** الذي أعلن انفصاله عن روما والفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية، وأسس مذهباً جديداً أطلق عليه **المذهب البروتستانتي**. وفي ٣١ تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٥١٧ علق لوثر احتجاجاً صارخاً على باب كنيسة مدينة فيتنبرغ، وقد ضم هذا الاحتجاج ٩٥ اعتراضاً على كنيسة روما، ورفضها واستنكرها تماماً، وأدان صكوك الغفران. وأرسل مارتن لوثر صورة من هذا الاحتجاج إلى كبير أساقفة مدينة ماينس، وتناقل الناس هذه الاحتجاجات في كل مكان.

واتسع نطاق احتجاج لوثر على كنيسة روما، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك، فاحتج على سلطان البابا نفسه، وعلى المجتمع البابوي. ورأى أن كل إنسان يجب ألا يخضع إلا لسلطان الكتاب المقدس وحده. ولم تسترح السلطات الكنسية إلى هذه الثورة، واستدعته، واستمعت إليه، وأدانته، واتهمته بالإلحاد، وحرمت مؤلفاته، حيث كان لوثر قد ألف كثيراً ونشر ذلك على أوسع مجال. **ومن أهم أعماله كلها ترجمة التوراة إلى اللغة الألمانية. وقد أدى ذلك إلى أن أصبح من السهل على أي إنسان أن يقرأ الكتاب المقدس من دون أن يعتمد على كهنة الكنيسة.** ومن احتجاجات لوثر انه أنكر أن يكون القسيس أعزب مدى الحياة، ولذلك تزوج في سنة ١٥٢٥ من راهبة وأنجبا ستة أطفال.

ولم يكن مارتن لوثر أول من احتج على الكنيسة الرومانية، فقد سبقه إلى ذلك رجل آخر هو يان هوس في ولاية بوهيميا. وكذلك سبقه الباحث الإنكليزي جون وايكليف في القرن الرابع عشر، والعالم الفرنسي بيير فالدو في القرن الثاني، ولكن أثر هؤلاء المحتجين كان محلياً.

لقد كانت تلك الرسائل إعلاناً تاريخياً عن بدء الحركة الإصلاحية البروتستانتية التي أحدثت انشطاراً في الكنيسة

الكاثوليكية التي يتزعمها بابا الفاتيكان في روما. وفي سنة ١٥٢٠م أرسل مارتن لوثر خطاباً حاداً إلى البابا ليو العاشر جاء فيه: «إنك ترعى ما يسمى بهيئة الكهنوت الرومانية التي لا تستطيع أنت ولا غيرك أن تنكر أنها أشد فساداً من بابل وسدوم، وقد أظهرتُ احتقاري، وانتابني الغضب، لأن الشعب المسيحي يخدع تحت ستار اسمك، واسم الكنيسة المسيحية، لهذا قاومت، وسأظل أقاوم ما وجد فيّ عرق ينبض بروح الإيمان».

وفي عام ١٥٢٣م أصدر مارتن لوثر كتاباً بعنوان **عيسى ولد يهودياً** قال فيه: «.. إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء اللـه، ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يسقط من فتات مائدة أسيادها..». كذلك دعا مارتن لوثر إلى تفضيل الطقوس العبرية في العبادة على تعقيدات الطقوس الكاثوليكية، كما دعا إلى دراسة العبرية على أنها «كلام اللـه في الناس»، ثم قام بترجمة التوراة إلى اللغة الألمانية.

أما احتجاجه على الكنيسة فقد نما بالتدريج، ففي سنة ١٥١٠ سافر إلى روما، وصدمه ما رأى عليه أحوال رجال الدين، ولكن الذي صدمه أكثر هو تلك التجارة التي انشغلت بها الكنيسة؛ **تجارة صكوك الغفران**، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تبيع الجنة للمؤمنين، فالكنيسة هي التي تبيع العفو عن الخطايا، وهي التي تقدر سلفاً فترات العذاب التي يقضيها المذنبون في النار، أو مدد النعيم في الجنة.

كل ما سبق دفع الكنيسة الكاثوليكية إلى إصدار قرار الحرمان ضد مارتن لوثر، متهمة إياه أنه من اليهود الذين تنصروا من أجل هدم الكنيسة. هذا وقد أثبتت الأيام تحالف مارتن لوثر مع اليهود **حيث نشرت مجلة كاثوليك جازيت في عام ١٩٣٦م وثيقة يهودية مهمة تبين دور اليهود في نشأة المذهب البروتستانتي. ومما جاء في تلك الوثيقة:**

«.. والآن دعونا نوضح لكم كيف مضينا في سبيل الإسراع بقصم الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دخائلها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيتها وقساوستها ليكونوا رواداً في حركتنا، ويعملون من أجلنا.. أمرنا عدداً من أبنائنا بالدخول في جسم الكاثوليكية، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق، والكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها، عن طريق اختلاق فضائح داخلية. ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود الذي أوصانا بحكمة بالغة: دعوا بعض أبنائكم يكونوا كهنة ورعاة أبرشيات من أماكن العبادة عند النصارى، فيهدموا كنائسهم. ومع الأسف الشديد لم يبرهن جميع اليهود من أبناء العهد عن إخلاصهم للمهمة الموكلة إليهم، فخان كثيرون العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفذوا مهماتهم بشرف وأمانة. نحن آباء جميع الثورات التي قامت في العالم .. **ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الاحتجاج الديني للمسيحية، فكالفن الذي هو أحد القساوسة الذين أدوا دوراً مشابهاً لدور مارتن لوثر كان واحداً من أولادنا، يهودي الأصل، أمر بحمل الأمانة، بتشجيع المسؤولين اليهود، ودعم المال اليهودي، فنفذ مخطط الاحتجاج الديني، كما أذعن مارتن لوثر لإيحاءات أصدقائه اليهود.** وهنا أيضاً نجح برنامجه ضد الكنيسة الكاثوليكية بإدارة المسؤولين اليهود وتمويلهم. ونحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا، برغم أن معظمهم، وهم يخلصون الإيمان لدينهم، لا يعون مدى إخلاصهم لنا. **إننا جد ممتنون للعون القيم الذي قدموه لنا في حربنا ضد معاقل المدنية والمسيحية، استعداداً لبلوغ مواقع السيطرة الكاملة في العالم**»..

وفي عام ١٥٤٤م نشر مارتن لوثر أفكاره الصهيونية عن عودة اليهود إلى فلسطين بحجة التخلص منهم، حيث ذكر في كتابه **اليهود وأكاذيبهم** ما نصه: «..من الذي يحول دون اليهود وعودتهم إلى يهودا، لا أحد... إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحيلهم النهائي، لا لشيء إلا لنتخلص منهم، إنهم عبء ثقيل علينا..».

وهذا النص يعد على درجة من الخطورة لأنها المرة الأولى التي يدعو فيها قسيس مسيحي إلى عودة اليهود إلى فلسطين بجهد وتدخل من البشر، وعدم ترك ذلك إلى قدر اللـه، وهو ما كان يؤمن به اليهود، حيث كانوا ينظرون إلى النبوءة المزعومة الواردة في سفر التكوين من توراتهم المحرفة والمتعلقة بزعمهم أن اللـه سبحانه وتعالى قد خاطب إبراهيم عليه السلام ووعده أنه سيعطي فلسطين لنسله، كانوا ينظرون إلى أن تحقيق تلك النبوءة متروك لقدر اللـه، وليس للبشر حق في التدخل لتحقيق هذه النبوءة. **وبذلك يكون مارتن لوثر أول من أطلق شرارة الصهيونية المسيحية، والتي يعد ظهورها سابقاً على ظهور الصهيونية اليهودية بعدة قرون.**

ولد لوثر سنة ١٤٨٣، وقد درس في الجامعة، وبتشجيع من والده درس القانون ثم حصل على الدكتوراه في اللاهوت؛ أي في الشريعة المسيحية من جامعة فيتنبرغ، ثم عمل مدرساً بها. وتوفي في سنة ١٥٤٦ أثناء زيارة لمدينة ايسلبن الألمانية التي ولد فيها. وكلمة بروتستانتي في اللغات الأوروبية تعني الاحتجاج والمعارضة. وقد دعي بذلك لأن أتباع هذا المذهب احتجوا على بابا روما وعارضوه في أشياء عقائدية كثيرة كرد فعل على الكنيسة الكاثوليكية التي تجاوزت الحدود في الفساد الأخلاقي والخروج على الإنجيل ومبادئ الدين المسيحي.

ومعلوم أن مارتن لوثر احتج بقوة على هذا الانحراف، وبخاصة عندما أمر البابا ببيع صكوك الغفران من أجل جمع أكبر قدر ممكن من المال من الشعب الألماني وبقية الشعوب المسيحية الأوروبية. وبما أن الشعب آنذاك كان فقيراً جاهلاً، ويخاف على آخرته، ويطيع رجال الدين بشكل أعمى فإنه كان يشتري صكوك الغفران هذه لكي يحظى بالجنة، ولا تذهب روحه إلى

النار. وعندئذ ظهر مارتن لوثر وقال لهم: «هذا كله كذب وافتراء الدين لا يشترى بالفلوس أو الجنة ليست لمن يدفع أكثر لبابا روما وبطانته الذين لا يشبعون من المال. الجنة هي للمؤمنين الحقيقيين الذين يخشون اللـه ويعملون صالحاً ويرأفون بالفقراء ولا يبتزونهم ويسرقون أموالهم. وبالتالي فكل صكوك الغفران هذه لا تفيدكم شيئاً فلا تشتروها إذن». وعندئذ غضب البابا غضباً شديداً على لوثر، وكفّره، وأخرجه من أمة المسيحيين. فكان أن رد عليه لوثر الصاع صاعين وحرق فتاواه على مشهد من الناس، وقال لوثر للجميع: «.. إن بابا روما بشر مثلكم وليس معصوماً أبداً. هذه كذبة كبرى لا تنطلي إلا على الفقراء والأميين». وعندئذ حاول البابا قتله ولكنه لم يستطع لأن الأمة الألمانية اجتمعت حول لوثر وحمته. وبدءاً من تلك اللحظة ظهر الإصلاح الديني في أوروبا، وتشكلت البروتستانتية التي أصبحت المنافس الأكبر للمذهب الكاثوليكي في أوروبا.

المذهب البروتستانتي يشكل المذهب الغالب في الولايات المتحدة. من هنا زادت أهمية المذهب البروتستانتي على المذهب العالمي، **ولكن المذهب البروتستانتي انقسم هو نفسه إلى عدة تيارات**، فهناك **أولاً التيار اللوثري** الذي يضم الآن خمسة وخمسين مليون شخص. ومعظم أتباعه موجودون في ألمانيا وشمال أوروبا كالسويد والنرويج والدنمارك. يليه من حيث القوة **تيار الفرنسي كالفن المؤسس الثاني للإصلاح الديني في أوروبا بعد لوثر**. وتعتبر مدينة جنيف العاصمة الرئيسية لكالفن وتياره. ويبلغ عدد أتباع هذا المذهب في العالم كله خمسين مليون شخص، وهم منتشرون في ألمانيا، وفرنسا، وسويسرا، وبلاد أخرى عديدة. وهناك أيضاً **التيار الإنجيلي** بالمعنى الواسع للكلمة، وهو منتشر جداً في الولايات المتحدة وأميركا الشمالية. ويقدر عدد أعضائه بمئتي مليون نسمة. ثم هناك **المذهب الأنغليكاني** السائد في انكلترا، ويبلغ عدد أعضائه سبعين مليون نسمة، ولكن هذا العدد مبالغ فيه. فالواقع أن عدد البروتستانتيين في العالم كله لا يتجاوز الخمسمئة مليون نسمة. وهذا يعني أن التصنيف السابق لا يمثل العدد الحقيقي، وإنما يخلط بين عدة تيارات دفعة واحدة. ولهذا السبب تضخم العدد. مهما يكن من أمر فإن خمسمئة مليون نسمة ليس بالعدد القليل، خاصة أن البروتستانتيين موجودون في دول صناعية غنية، ومتقدمة جداً عموماً. **إنهم موجودون في الولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا، وانكلترا، وألمانيا، والبلدان الإسكندنافية، وإيرلندا، وهولندا، والشيء الأساسي الذي يميز البروتستانتيين عن الكاثوليكيين هو أنه لا يوجد فوق رأسهم بابا ولا فاتيكان ولا سلطة عليا إلا سلطة الكتاب المقدس؛ أي الإنجيل**. يضاف إلى ذلك أن رجال الدين عند البروتستانتيين يتزوجون، وينجبون الأطفال على عكس ما هو حاصل عند الكاثوليكيين حيث يمنع الزواج منعاً باتاً. يضاف إلى ذلك أن البروتستانتيين يؤمنون بالقضاء والقدر، وأن اللـه هو الذي يختار عباده الصالحين الذين سينجيهم في الدار الآخرة، وبالتالي فالأعمال الإنسانية ليست هي الأساس، إنها تجيء بعد الإيمان. أما الكاثوليك فيعتقدون بأن أعمال الإنسان هي التي تحسم مصيره في الدار الآخرة. فإذا عمل صالحاً دخل الجنة، وإذا عمل الشر دخل النار. وهذا يعني أن الإنسان مسؤول عن أعماله حقاً أو باطلاً. **وهنا تبدو عقلانية المذهب الكاثوليكي بالقياس إلى المذهب البروتستانتي. فالأول يؤمن بأن الإنسان حر في حين أن الثاني يعتقد أن إرادة الإنسان لا تغير في الأمر شيئاً**.

وتعود أصولية البروتستانتيين إلى كونهم يتمسكون بالكتاب المقدس بشكل حرفي، ويرفضون تأويله على الطريقة المجازية. فإذا قال بأن الأرض مسطحة فإنهم يعتقدون أنها مسطحة، وإذا قال بأن الشمس هي التي تدور حول الأرض فإنهم يتمسكون بحرفية النص ويرفضون نظرية كوبرنيكوس وغاليليو. ولكن هناك تياراً ليبرالياً عريضاً في البروتستانتية، وهو يفسر الكتاب المقدس بشكل مجازي لا حرفي، ويحاول إقامة المصالحة بينه وبين العلم الحديث عن طريق التأويل التاريخي والعقلاني للنص.

ومن الآثار البالغة للاحتجاج الذي قام به لوثر نشوب الحروب الدينية في أوروبا بعد ذلك . من بين هذه الحروب: حرب الثلاثين عاماً **في ألمانيا** التي استغرقت من سنة ١٦١٨ حتى سنة ١٦٤٨، وكانت هذه الحروب جميعاً دموية صارخة. وكذلك الصراعات السياسية بين الكاثوليك والبروتستانت لعبت دوراً خطيراً في تشكيل السياسة الأوروبية طوال القرون التالية، **كما أن البروتستانتية نفسها لم تكن متسامحة، فقد أدى التعصب لها إلى حروب دموية في ألمانيا نفسها، بل كانت هذه الحروب أعنف من الحروب التي اشتعلت في بريطانيا**. إن هذا الاحتجاج الديني كان له أثر فكري خطير في أوروبا الغربية، فقبل سنة ١٥١٧ لم تكن هناك سوى كنيسة واحدة مستقرة راسخة هي الكنيسة الكاثوليكية وكان الخلاف معها يوصف بأنه نوع من الزندقة والإلحاد ولكن بعد «الإصلاح» الذي تزعمه لوثر، وبعد أن قبل كثير من الدول حرية التفكير الديني لم يعد هناك خوف من مراجعة كل الأفكار والنظريات القديمة .. أي الانطلاق في كل المجالات.

أما في **إنكلترا** فإن رياح التغيير ضد الكنيسة الكاثوليكية كانت قد بدأت في القرن الرابع عشر الميلادي على يد جون وايكليف، أستاذ علم الأديان في جامعة أكسفورد حيث قال: «.. إن الشعب الإنكليزي أحق من البابا ومن فرنسا بأمواله، إن البابوية تستغل ثروات شعبنا وتقدمها إلى فرنسا لتحاربنا بأموال الكنيسة، تحت إشراف المارقين من رجالها». ولقد أدى تململ الشعب الإنكليزي من الكنيسة الكاثوليكية إلى تهيئة الأجواء أمام رياح التغيير البروتستانتية، لذلك فقد قام الملك الإنكليزي هنري الثامن في القرن السادس عشر الميلادي بعدة خطوات نتج عنها انفصال الكنيسة الإنكليزية عن التبعية

للكنيسة الكاثوليكية، وبالتالي انتقال الكنيسة الإنكليزية من المذهب الكاثوليكي إلى المذهب البروتستانتي؛ وهو ما عُبر عنه بقانون السيادة الذي صدر في عام ١٥٣٤م، والذي ينص على أن الملك هو الرئيس الأعلى للكنيسة، وأن الولاء هو للملك في سلطتيه الدنيوية والدينية. **وبمرور الوقت تمكن ساسة انكلترا من نشر المذهب البروتستانتي بالقوة في كل من اسكتلندا، والجزء الشمالي من إيرلندا، وبذلك أصبحت بريطانيا المكونة من إنكلترا واسكتلندا وشمال إيرلندا أقوى دولة بروتستانتية في غرب أوروبا.** على أية حال، فقد أدى انتقال بريطانيا من الكاثوليكية إلى البروتستانتية إلى تقديس التوراة، وبالتالي الإيمان المطلق بكل ما فيها.

وفي ذلك تقول المؤرخة اليهودية بربارا توخمان في كتابها **الكتاب المقدس والسيف**: «إن ملك إنكلترا حينما أمر في عام ١٥٣٨م بترجمة التوراة إلى اللغة الإنكليزية، ونشرها وإتاحتها للقراءة من قبل العامة، كان بذلك يضع اليهودية، تاريخاً وعادات وقوانين، لتكون جزءاً من الثقافة الإنكليزية، ولتصبح ذات تأثير هائل في هذه الثقافة على مدى القرون الثلاثة التالية، وصار يطلق على التوراة المترجمة، **التوراة الوطنية لانكلترا**، والتي أصبح لها من التأثير في روح الحياة الإنكليزية أكثر من أي كتاب آخر. وذلك ما جعل قصص التاريخ اليهودي المادة الرئيسية في الثقافة الإنكليزية، والمعرفة التاريخية للإنكليز».

وبالفعل فقد أدى ذلك الغزو الفكري التوراتي الجارف للبروتستانتية إلى قيام فكر صهيوني يعد امتداداً لفكر مارتن لوثر الذي فسر نبوءة عودة اليهود إلى فلسطين عودة حقيقة مادية، وليست عودة مجازية معنوية كما كان يردد الكاثوليك.

ومن ذلك ما كان في عام ١٦٤٩م حين رفع اثنان من علماء الأديان الإنكليز خطاباً إلى حكومتهم جاء فيه: «ليكن شعب إنكلترا أول من يحمل أبناء إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التي وعد بها أجدادهم إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، لتكون إرثهم الأبدي». كذلك قام العالم الصهيوني إسحاق نيوتن بوضع جدول زمني للأحداث التي سوف تؤدي إلى عودة اليهود إلى فلسطين انطلاقاً من نبوءات العهد القديم، كما توالت صيحات العلماء والأدباء والشعراء الذين اعتنقوا الصهيونية المسيحية بعد حركة الإصلاح الديني من أجل تدخل الحكومة البريطانية لإعادة اليهود إلى فلسطين، غير أن تلك الصيحات لم يتسن للساسة البريطانيين العمل على تطبيقها إلا في القرن التاسع عشر الميلادي، عندما بدأ الضعف يدب في أنحاء الدولة العثمانية، حيث تمكنت بريطانيا في عام ١٨٣٨م من إنشاء أول قنصلية بريطانية في القدس لتكون بذلك مقدمة للهيمنة البريطانية على فلسطين. **وفي السنة نفسها دعا وزير البحرية البريطانية الدول البروتستانتية في شمال أوروبا وأمريكا إلى الاقتداء بالإمبراطور الفارسي قورش الذي أعاد اليهود من السبي البابلي إلى فلسطين.**

ولعل أخطر ما حصل في القرن التاسع عشر الميلادي هو إشراف الصهيونية المسيحية البريطانية على ولادة الصهيونية اليهودية، وهو ما تجسد في المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول الذي انعقد في بال في سويسرا عام ١٨٩٧م برئاسة تيودور هرتزل. ذلك أن اليهود كانوا يرفضون تدخل البشر في مساعدتهم من أجل استيطان فلسطين، ويتركون ذلك لمشيئة الله، ولكن الضغط المتواصل للصهيونية المسيحية أفلح أخيراً في ولادة الصهيونية اليهودية.

تقوم المسيحية اليهودية على تفضيل الطقوس العبرية في العبادة على الطقوس الكاثوليكية، بالإضافة إلى دراسة اللغة العبرية على أساس أنها كلام الله. ووصلت محاولة استمالة لوثر لليهود من أجل الدخول في مذهبه حداً قال فيه يوماً أمام عدد من اليهود الذين كانوا يناقشونه: «إن البابوات والقسيسين وعلماء الدين ذوي القلوب الفظة تعاملوا مع اليهود بطريقة جعلت كل من يأمل أن يكون مسيحياً مخلصاً يتحول إلى يهودي متطرف. وأنا لو كنت يهودياً ورأيت كل هؤلاء الحمقى يقودون ويعلمون المسيحية فسأختار على البديهة أن أكون خنزيراً بدلاً من أن أكون مسيحياً».

وتشير الكثير من المصادر التاريخية إلى أن رغبة مارتن لوثر الجامحة في إعادة الاعتبار لليهود وتمسيحهم كانت تعود لإيمانه العميق بضرورة وجودهم في هذا العالم تمهيداً لعودة المسيح. واعتبرت دعواته تلك انقلاباً على موقف الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تنظر لليهود على أنهم حملة لدم المسيح عيسى بعدما صلبوه، حيث دأبت الكنيسة الكاثوليكية على تحميل اليهود المسؤولية الكاملة عن مقتل المسيح. وكان بعض المسيحيين في أوروبا يحتفلون بمقتل المسيح عن طريق إحياء طقوس عملية الصلب، بل وكان سكان مدينة تولوز الفرنسية يحرصون على إحضار يهودي إلى الكنيسة أثناء الاحتفال ليتم صفعه من قبل أحد النبلاء بشكل علني إحياء لطقس الضرب الذي تعرض له المسيح من قبل اليهود. كما أن هناك نصاً في إنجيل متى يحمل اليهود مسؤولية مباشرة عن مقتل المسيح، ويذكر بالتفصيل كيف غسل بيلاطس الحاكم الروماني للقدس آنذاك يديه بالماء معلناً براءته من دم المسيح الذي كان اليهود على وشك صلبه قبل أن يصيح فيه اليهود قائلين: «ليكن دمه علينا وعلى أولادنا».

ومارتن لوثر عمل على تهويد المسيحية عندما أصر على اعتماد التوراة العبرانية بدلاً من كتاب العهد الجديد، وقد قام عدد من رجال الدين البروتستانت مثل القس الإنكليزي جون نلسون داربي بإعادة قراءة العقائد المسيحية المتعلقة باليهود. ومنحهم مكانة متميزة حتى أصبحت الكنيسة البروتستانتية هي حاملة لواء الصهيونية المسيحية أينما حلت. وقد حصل انشقاق داخل الكنيسة البروتستانتية نفسها بسبب اليهود، فبينما أعرب بعض البروتستانت الإنكليز عن اعتقادهم بأن

اليهود سيعتنقون المسيحية قبل أن تقوم دولتهم في فلسطين، ذهب بعض البروتستانت الاميركيين إلى أن اليهود لن يدخلوا في المسيحية حتى لو قامت إسرائيل، وأن عودة المسيح هي الشرط النهائي لخلاصهم وتوبتهم ودخولهم في الدين الذي جاء فيهم أصلاً. وقد تزعم القس نلسون داربي هذا الفريق، وينظر إليه على أنه الأب الروحي للمسيحية الصهيونية قبل أن يعمل العشرات من القساوسة على نشر نظريته تلك. ونشر وليم بلاكستون الذي كان من أشد المتحمسين الاميركيين لأطروحة داربي كتاب **المسيح آت** سنة ١٨٨٧ وترجم الكتاب إلى عشرات اللغات، وركز فيه على حق اليهود التوراتي في فلسطين. وبلاكستون كان وراء جمع ٤١٣ توقيعاً من شخصيات مرموقة مسيحية ويهودية طالبت بمنح فلسطين لليهود. وتم تسليم عريضة التوقيعات للرئيس الأميركي آنذاك بنيامين هاريسون. أما القس سايروس سكوفيلد فيعتبر من أشد المسيحيين الصهيونيين تشدداً، وقام بوضع إنجيل سماه **إنجيل سكوفيلد المرجعي** نشره سنة ١٩١٧. **وينظر إليه اليوم على أنه الحجر الأساس في فكر المسيحية الأصولية المعاصرة.**

تتباين المراجع التاريخية في تقويم ما قام به مارتن لوثر، فهناك من ينظر إليه على أنه ثائر إصلاحي خلص الكنيسة الكاثوليكية من الكثير من الأساطير اللاهوتية التي أفسدتها، وهناك من يرى أنه أفسد العقيدة المسيحية بمنحه اليهود مكانة رفيعة جعلتهم يستعملون المذهب البروتستانتي لتحقيق أهدافهم الخاصة. غير أن الكثير من المصادر يتجاهل حقيقة عودة مارتن لوثر عن الكثير من مواقفه وآرائه، وبخاصة تلك المتعلقة منها باليهود. وقد كتب مارتن لوثر في آخر أيامه كتاب **اليهود وأكاذيبهم** أعرب فيه عن خيبة أمله من اليهود. وأقر بالفشل في استقطابهم لعقيدته الجديدة، كما أقر في شبه استسلام تلقفه اليهود قبل غيرهم بأن دخول اليهود في الدين المسيحي لن يتم إلا عبر عودتهم لأرض فلسطين وعودة المسيح الذي سيسجدون له، ويعلنون دخولهم في الدين المسيحي حتى يعم السلام العالم.

الجماعات اليهودية المسيحية في أوروبا وأمريكا

في أوروبا تزيد الجماعات الدينية الطائفية على الثلاثمئة، ويستحيل الإحاطة بهذه الجماعات في كتاب أو مقالة مطولة، إنما ذلك عمل يصلح لتؤلف حوله موسوعة خاصة يتعاون عليها جماعة من الخبراء والمهتمين. ويمكن الاقتصار على أهم الجماعات، لكن ضمن تصنيف ثنائي يقسم الظاهرة المدروسة إلى قسمين كبيرين: **الجماعات المتحدرة من الجذع اليهودي المسيحي، والجماعات المستوردة من الشرق الغنوصي الآسيوي. الجماعات الأولى أيضاً يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام: الألفيون، وحركات اليقظة، والمجموعات العلاجية.**

١ـ الألفيون

هي جماعات تؤمن بنهاية العالم القائم وبداية عالم جديد يمتد ألف عام تكون هي أسعد الأيام في حياة البشر، وبعدها يأتي يوم القيامة، ولذلك أطلق عليهم لقب الألفيون؛ لقولهم بالألفية السعيدة. وهم يجعلون العهد القديم كتابهم المعتمد، ويفسرونه تفسيراً حرفياً ظاهرياً، خاصة كتاب القيامة الذي يتنبأ بقدوم المسيح المخلص الذي يملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً، وليؤسس مملكة عالية جديدة. ووجدت هذه الأقوال صداها خاصة في زمن كثرت فيه الكوارث البيئية الطبيعية التي أحدثها التدخل الإنساني في النظام العام للكرة الأرضية، مثل: كوارث بوبال في الهند، وتشيرنوبيل في الاتحاد السوفياتي، وثقب الأزون، وانقراض حيوانات وكائنات ونباتات، وتلوث مياه، وحروب تستعمل فيها الأسلحة البيولوجية والنووية المحرمة بالقانون الدولي. ويصاحب ذلك زلزال اجتماعي انعدم فيه الأمن، وكثرت فيه الجرائم والتنظيمات الدولية الخطيرة المتخصصة في القتل والسرقة والمتاجرة في الجنس البشري، وغيرها. وعندما تتعزز هذه المعطيات والوقائع بالاستبداد السياسي والاقتصادي الدولي، وتجديد أساليب الهيمنة والاستعمار من لدن الدول الصناعية الكبرى في حق دول العالم الثالث، مع ارتفاع نسب البطالة في العالم، يصبح سهلاً على النفوس أن تتقبل أن الحل الأمثل للخروج من هذه الأوضاع لن يكون إلا بانقلاب تام وقريب متبوع بتحرير شامل ينجزه مخلص سماوي وإلهي. وهذا ما يفسر النجاح المتزايد ـ في القارات الخمس ـ لنبوءة جماعة شهود يهوه التي تعلن حتمية قيام معركة هرمجدون المتبوعة بمملكة ثيوقراطية ليهوه، كما يفسر ذلك توسع بعض الجماعات الألفية قبيل الألفية الثالثة.

في القرون الميلادية الوسطى كانت بعض المجموعات الدينية تؤمن بالألفية السعيدة، حيث تطلعت إلى من يخلص الجماهير المسحوقة من لدن كبار الإقطاعيين، ويحسن لها وضعيتها. وفي البلدان المستعمرة بالمناطق الأفريقية السوداء غيرت مجموعات دينية لون المسيح المخلص من الأبيض إلى الأسود ليكون مرآة لإخوته المقهورين، وفي عصرنا اعتنقت الفكرة مجموعات مقهورة اجتماعيا ونفسياً.

واستمدت الجماعات المعنية فكرة الألفية والانقلاب الكوني والسياسي من مقاطع الإنجيل خاصة كتب دانيال وكتاب سفر الرؤيا، وهي الكتب التي تتردد في الأذهان عند كل أزمة كبيرة واضطراب عظيم وسط المسيحيين. ووفرت للمجموعات الدينية الحجج لتحديد تاريخ نهاية العالم، وعودة المسيح، والقضاء على الأشرار، والعيش السعيد مدة ألف عام متواصلة. اليوم تتجسد هذه المجموعات في كنيسة الرب الكونية، وجماعات عشاء الرب، وجماعة ماهيكاري اليابانية، وعدد من المجموعات الإنجيلية الصغيرة والمتطرفة، وهذه الإعلانات تغذي الخيال، وتوقظ في كل فرد أسطورة الفردوس المفقود.

٢ـ شهود يهوه:
تنظيم دولي محكم ونشاط دائب:

هذه جماعة نموذجية للجماعات المتحدرة من الجذع المسيحي اليهودي، وطريقتهم الملحة في الدعوة والانتشار بطرق الابواب، والزيارات المتكررة، والمواجهة المباشرة في الطرقات والساحات أصبحت مألوفة معروفة لدى الجميع في الدول الغربية والدول المسيحية في كل بقاع العالم. والجماعة من الناحية العقائدية أقرب ما تكون إلى اليهودية منها إلى المسيحية، خاصة في تصورها للذات الإلهية (العهد القديم)، وتعد في الوقت ذاته جماعة أصولية بسبب قراءتها الحرفية للإنجيل.

مؤسس حركة شهود يهوه يُدعى تشارلز تاز روسل من مواليد ١٨٥٢ من أبوين ينتميان إلى كنيسة الادفنتست (أي السبتيون). لما كان في السادسة عشرة تأثّر بالواعظ **جوناس واندل الذي كان قد حدّد موعد مجيء المسيح الثانية بنظرية غريبة عام ١٨٤٢، إلاّ أن المسيح، وكما نعلم لم يأتِ**. ثمّ عاود الكرّة فَلَمّ شمل فريقه تحت اسم «المجيئيين» محدداً عام ١٩٨٠ للمجيء الثاني للمسيح، إلا أنه فشل أيضاً. ترك روسل المجيئيين عام ١٨٧٢ متخبطاً محتاراً بأمر مجيء المسيح، فترك كل أعماله، وتفرّغ مع مجموعة من الشباب إلى إقامة ملكوت اللـه على الأرض، وإلى دراسة الكتاب المقدّس محاولةً منهم لاستشفاف الموعد الدقيق لمجيء المسيح.. وفعلاً، فقد حدّدها في ١٨٧٤، لكنه فشل. **ولكي يغطي فشله هذا ادّعى بأنّ المسيح جاء بصورة سريّة غير منظورة**، لكن لم يلتفت إليه أحّد ثم عاد فحدّدها في عام ١٩١٤ آملاً بأن تُصيب ضربته الهدف هذه المرة. وكانت في السنة ذاتها الحرب العالمية الأولى، فراح كثير من الناس إلى الأخذ بهذه النظرية، فنصحهم بترك أموالهم تحت تصرّفه بحيث لم يبقَ لديهم من المال إلاّ ما ظنّوه كافياً إلى الوقت المحدّد. ادّعى روسل إتقانه للغة اليونانية (اللغة التي كتب بها العهد الجديد) فكان يسرد الآيات أثناء إلقائه لمواعظه باللغة اليونانية ثم يترجمها على مزاجه و هواه بلغة المخاطَبين. واتّهم الكنيسة الكاثوليكية غير مرّة بتحريفها للنصّ الأصلي، فقُدّم إلى المحاكم عام ١٩١٣ واعترف أنه لا يعرف حرفاً واحداً من الابجدية اليونانية. **وابتداء من سنة ١٨٧٩ـ١٨٨٠م أنشأ مجموعات رهبانية تحت اسم دارسي الإنجيل (تحولت في ١٩٣١م إلى شهود يهوه) بعد موته، خلفه كل من رادرفورد (١٨٦٩ـ١٩٤٢م) وكنورت (١٩٠٥ـ١٩٧٧م) وفرانز الرئيس الحالي.**

في سنة ١٩٩٢م كان عدد الأعضاء ٤ ٤٧٢٧٨٧ عضو، وأكثر من ١١ مليون متعاطف؛ أي عضو لكل ٤٧٥ نسمة بفرنسا، وواحد لكل ٣٧٥ نسمة ببلجيكا، وواحد لكل ٢٩٧ نسمة بإيطاليا، وواحد لكل٢٥٧ بكندا.. نسبة النمو على الصعيد العالمي هي + ٥،٤ بالمئة (في فرنسا + ٢،١ بالمئة)، **تعتقد** الجماعة بأن على كل راغب في أن يكون من أعضائها أن يؤمن بكل الحقائق الإنجيلية. وتعتقد الجماعة أن أكبر قضية تطرح على البشرية هي مشروعية هيمنة يهوه. وبسبب هذه القضية سمح يهوه بوجود الشر، والمسيح له وجود سابق على الإنسان، وهو مسبوق بأبيه السماوي، واليوم يوجد عبد مخلص ومتبصر على وجه الأرض عهدت إليه كل المصالح الدنيوية للمسيح. وهذا العبد يجسده حالياً المقر المركزي لجماعة شهود يهوه. وحدهم المسيحيون المختارون هم الذين سيتلقون الجزاء العلوي، ولن يتجاوز عددهم١٤٤٠٠٠، أما «هرمجدون» معركة اليوم العظيم للرب فقد اقتربت، وهي معركة ستتبعها مملكة المسيح الألفية التي ستجعل من هذا العالم جنة أرضية. ولسوف يكون أول داخل إليها أعضاء الحشد الكبير من دون أنعام المسيح الأخرى .ومن عقائد الجماعة توحيد الرب، والاجتهاد المتواصل لتجديد هذا التوحيد بعد أن شابه الشرك في أيام القرون الثلاثة الأولى لظهور المسيح، **ورد الاعتبار للاسم الحقيقي له، ألا وهو يهوه.** قيل عنهم «إن شهود يهوه حركة صهيونية شيوعية سرية، من أهدافها تدمير جميع الأمم على الأرض في معركة هرمجدون وإزالة جميع الفوارق والحدود بين القوميات، وفرض شريعة يهودية صهيونية على الجميع، تدّعي العمل بفرائض الدين، وليس لها أقل علاقة بدين ما، إنما تتخذه ستاراً لتحقيق مراميها واستغلال نشاطها. **إنهم يتسترون بوشاح الكتاب المقدس لهدم كنيسة المسيح،** وهم يُعلّمون ديانة سهلة المنال والممارسة، لأنها لا تحوي عقائد إيمانية ولا شرائع ولا وصايا ولا واجبات ينبغي العمل بمقتضاها والالتزام بها». **وكان قد أطلق في بادئ الأمر على أتباع شهود يهوه اسم فجر الحكم الألفي ثم تلامذة التوراة، ثم برج المراقبة، ثم حركة روسل. وأما اليوم فيطلقون على أنفسهم اسم شهود يهوه.**

يدّعي شهود يهوه أن إبليس هو منبع هذا التعليم، ومصدره خرافات تعود إلى البابليين والمصريين القدماء، وقد أدخلت في الديانة المسيحية. يقولون «لا وجود لكلمة ثالوث في كل الكتاب المقدس، من أول سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا، وإن كلمة ثالوث لم تتسرب إلى الكتابات والمؤلفات الدينية إلا في أواخر القرن الثاني ميلادي، وفي مجمع نيقية بالذات، المنعقد سنة ٣٢٥، جعل الثالوث العقيدة المركزية للديانة المسيحية التي اعتُرف بها يومئذ ديانة رسمية للحكومة، وأيد عقيدة الثالوث، الإمبراطور الوثني قسطنطين الذي كان رئيساً لذلك المجمع، وعلاوة على الاعتبارات السياسية التي حدت الإمبراطور على مناصرة عقيدة الثالوث، فإنه استسهل أمر تأييدها لأنها جزء من فلسفة أفلاطون الوثنية المنتشرة في ذلك الحين». وهم ينكرون ألوهية المسيح يسوع مستندين بذلك إلى ترجمتهم للنص اليوناني، الواردة في الآية الأولى من الفصل الأول من إنجيل يوحنا «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند اللـه وكان الكلمة اللـه». يقولون إن يسوع لم يقم بالجسد، بل إنه قام بالروح أو بالإيمان فقط، مدّعين بأن الرُسُل رأوا يسوع بعيون الإيمان، أما

جسده فبقي في باطن الأرض، في مكان ما مجهولاً عن الجميع. كما أنهم يعلنون بأن الباب للدخول إلى السماء قد أغلق، إلا على القلّة الباقية من النافذين منهم. وينادي شهود يهوه بملكوت اللـه الأرضي المخصص للصف الأرضي، وإن الدخول إليه بسيط جداً، ليس عليك سوى اعتناق تعاليمهم، والانتساب إلى نظامهم الجديد.

٣ـ حركات العهد الجديد عام ٢٠٠٠ وبرج الدلو:

يتميز موضوع العهد الجديد (المستوحى من الثقافة الأنكلوساكسونية) بالاقتناع بأن الإنسانية أوشكت على الدخول في مطلع العصر الفلكي المسمى «القوس»، حيث يتجدد الوعي الروحي العالم والانسجام والنور والتحولات النفسية العميقة. عصر سيشهد عودة ثانية للمسيح بدأت معالمها في الظهور بين الناس. ويعتقد أصحاب هذا المذهب أن الكون خاضع لتغيرات كبرى عند مطلع كل ألفية وفق قانون قاهر لا يمكن الفرار منه، **وأن الألفية الثالثة هي حافلة بالانعطاف الجماعي الدولي نحو التدين والروحانيات، بحيث تتجسد الإرادة العليا في الأجسام البشرية دون إرادة أو شعور. وهذا التوجه لا يزال في بدايته ويتوسع هو الآخر شيئاً فشيئاً ليضم بين طياته عدداً من الجماعات المتشابهة.**

ومن مراجعه بلافاتسكي، وأليس بايلي، وغودجيف، ور.شتاينير، ور.غينون، وأوروبيندو، وتيلار دوكاردان الكلمات وهذه المصطلحات المتداولة داخل هذه الأوساط تحمل دلالات رمزية تستخدم بمثابة كلمات السر بين المؤمنين، مثل الانسجام والوحدة والحب والنور والذبذبات والوعي بالذات والتصوف وتلقين المعرفة وولادة المتحولين وظهور المغامرين الروحانيين الجدد وانبعاث الكائنات الناجية من الانقلاب الكوني الوشيك. والمجموعات المنتمية إلى هذا المذهب كثيرة جداً ومتنوعة، لكنها كلها تقترح طرقاً روحية ليصبح العضو كائناً متحققاً (أو مسيحاً). والعبور من مجموعة إلى أخرى سهل جداً ومتداول، وهي مجموعات غربية خالصة، مثل الصليب الوردي، الأخوة العالمية البيضاء، غرال، وأركان، ومجموعات تستورد التجربة الآسيوية البوذية والهندوسية، مثل راجا يوغا، والتأمل المتصاعد ومجموعات تطوير الطاقة الكامنة في الإنسان، أو علاجه، ومجموعات الكائنات الفضائية.

طموح هذه المجموعات يتركز في اقتراح ديانة عالمية تعلو وتسود في برج الدلو، الألفية الثالثة مثلما سادت الديانة البابلية برج الثور، والديانة الموسوية برج الحمل، والديانة المسيحية برج الحوت، وحتى يحدث ذلك سريعاً، يستعجل هؤلاء اندثار المسيحية الحالية، وسيكون العصر الجديد عصر (إنجيل جان) بعد أن ساد (إنجيل بيار)، عصر المسيح الغنوصي الخفي، بعد مسيح الكنيسة الظاهر، وبما أن عودة المسيح الجديد قد أوشكت، في زعمهم، فإن كل واحد مدعو إلى تحقيق المسيح الذاتي الباطني، ولهذا السبب يدعي كثير منهم أنه المسيح المنتظر في العصر الجديد.

وبالإضافة إلى المجموعات المذكورة سلفاً، تزخر الخريطة الدينية بمجموعات أخرى، مثل «منتظري اليوم السابع»، وهي جماعة أصولية حرفية تعتقد أن المسيح المنتظر أوشك على الظهور، وتحرص كثيراً على التطهر من أجل لقاء رفيع معه، وهناك (أصدقاء الإنسان) المتحدرون من طائفة «شهود يهوه»، والذين زعموا أنهم تلقوا رسالة يعلمونها للناس؛ وهي معرفة الحياة الخالدة على وجه الأرض، لأنهم يعتقدون أن الجنة ليست في السماء، ولكنها في الأرض الحالية، وأن مهمتهم بناؤها ودعوة الناس إليها، وهناك شيعة «صليب دوزولي المجد» التي تزعم أنها تلقت رسالة عام ١٩٧٢م من أم لخمسة أطفال بمنطقة كالفادوس تعلن قرب عودة المسيح ممجداً معززاً مكرماً بعد اضطرابات كونية كبيرة. وهناك «كنيسة الرب الكونية» الأمريكية القريبة من «شهود يهوه»، وهي معروفة ببرنامجها الإذاعي «العالم القادم»، ومجلتها المجانية **الحقيقة الخالصة**، وفيها أكثر من ٨ مليون مشترك. وهناك شيعة «**المورمون أو كنيسة المسيح لقديسي الأيام الأخيرة»، وأسسها شاب مراهق أمريكي جوزيف سميث سنة ١٨٣٠م، زعم أنه تلقى زيارة من ملائكة دلته على كتاب غريب يروي قصة تاريخ شعب اللـه بأمريكا، حيث ظهر المسيح أول مرة .**

(من دراسة لنبيل إبراهيم
منشورة على موقع «شبكة ذي قار»، ١٣/ ١١/ ٢٠١٠)

الدراسات (*)

(*) إن الدراسات والمقالات الواردة هنا تعبّر عن آراء كتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن آراء تتبنّاها «معلومات» أو جريدة «السفير».

إسرائيل الجديدة.. والقديمة
لماذا يدعم الأميركيون غير اليهود الدولة اليهودية (*)

والتر راسل ميد (**)

في الثاني عشر من أيار/مايو ١٩٤٨ كان كلارك كليفورد، كبير مستشاري البيت الأبيض، يعرض رأيه أمام مجلس الرئيس هاري ترومان المنقسم على نفسه في شأن اعتراف الولايات المتحدة الاميركية بقيام دولة إسرائيل. وفيما كان وزير الخارجية جورج مارشال يحملق فيه، ونائبه المتشكّك روبرت لوفيت يطالعه بارتياب، حاول كليفورد أن يبرهن أن الاعتراف بالدولة اليهودية سيكون عملاً إنسانياً ينسجم مع القيم الاميركية الموروثة. وحتى يقيم الدليل على صحة زعم اليهود ومطالبتهم بالدولة قرأ هذا الاقتباس من سفر التثنية: «انظر. قد جعلت أمامكم الأرض. ادخلوا وتملّكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم».

لم يقتنع مارشال، وأخبر ترومان بأنه ينوي التصويت ضده في الانتخابات القريبة فيما لو كانت هذه سياسته، لكنه وافق في نهاية المطاف على ألا يخرج بمعارضته تلك إلى العلن. وبعد يومين منحت الولايات المتحدة الأميركية الدولة اليهودية الاعتراف بها، وذلك بعد إحدى عشرة دقيقة من إعلان إسرائيل عن قيامها كدولة. آنذاك، عزا كثيرون من المراقبين ـ سواء في الداخل الأميركي أم الخارج ـ قرار ترومان إلى نفوذ الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة، فقد رأوا أن أصوات اليهود، والنفوذ الإعلامي، والمساهمات في الحملات الانتخابية أمور من شأنها حسم المنافسة الرئاسية المحكمة عام ١٩٤٨.

هذا النموذج يتكرّر غالباً منذ ذلك الحين إلى اليوم. وينبّه خبراء السياسة الخارجية الأميركيون ذوو الاعتبار واشنطن دائماً إلى ضرورة الحذر في الشرق الأوسط، ويحذّرون الرؤساء الأميركيين من أن الدعم الفائق لإسرائيل ينطوي على أكلاف خطيرة على المستوى الدولي. وكلما عمد الرؤساء إلى مخالفة رأي الخبراء، واتخاذ مواقف داعمة لإسرائيل عزا المراقبون ذلك إلى «اللوبي» الذي تتحكم فيه إسرائيل، وأقروا له بالفضل في تغيير موقف الرئيس، أو ربما لاموه على ذلك. لكن هناك عاملاً آخر لا بد من أخذه في الاعتبار. لقد كتب ديفيد ماكغولو، مؤلف سيرة ترومان، أن دعم ترومان للدولة اليهودية كان «ذا شعبية واسعة» في أرجاء الولايات المتحدة. وفي استطلاع أجرته وكالة غالوب (Gallup) في حزيران/يونيو ١٩٤٨ تبين أن «عدد الأميركيين الذين يتعاطفون مع اليهود كان يفوق بثلاثة أضعاف تقريباً عدد المتعاطفين منهم مع العرب».

ذلك الدعم لم يكن مجرد زوبعة في فنجان. إن الدعم الواسع لإسرائيل في أوساط غير اليهود يشكّل واحدة من أشد القوى تأثيراً في السياسة الخارجية الأميركية. ويضاف إلى ذلك أنه في غضون الأعوام الستين الماضية لم يسجل ولو استطلاع واحد لغالوب تزايداً في عدد الأميركيين المؤيدين للعرب والفلسطينيين يفوق أعداد المؤيدين منهم لإسرائيل. بل أكثر من ذلك، فقد تصاعدت بمرور الوقت مشاعر التعاطف مع إسرائيل في الولايات المتحدة، ولاسيما في الأوساط غير

(*) **القسم الأول من دراسة بعنوان:** «The New Israel and the Old: Why Gentile Americans Back the Jewish State»، **نشرتها مجلة** *Foreign Affairs* **في عدد تموز/آب ٢٠٠٨، ترجمة بادية حيدر (جريدة «السفير»). تبرهن هذه الدراسة بوضوح أن الدعم الأميركي لقيام إسرائيل سابق على إصدار بريطانيا لوعد بلفور بمئة عام، وتعود أسباب هذا الدعم الى أصول دينية لدى غالبية الشعب الاميركي.**

(**) Walter Russell Mead **هو عضو أقدم في «مجلس العلاقات الخارجية»، ومؤلف كتاب حديث بعنوان:**
Of God and Gold: Britain, America, and the Making of the Modern World, New York: Alfred A. Knopf. 2007.

اليهودية. وقد شهدت سنوات إدارة جورج بوش الابن أعلى معدلات الدعم لإسرائيل في الرأي العام الأميركي، كما أن معدلات الدعم هذه لم تتبدل طوال حقبتي رئاسته. وهذا الارتفاع في مستوى الدعم لإسرائيل سجّل على الرغم من تراجع الأهمية الديموغرافية لليهود في الولايات المتحدة. ففي عام ١٩٤٨ شكل اليهود ما مقداره ٣,٨٪ من عدد السكان. فلو افترضنا أن كل أميركي من أصل يهودي أيد سياسة خارجية متعاطفة مع إسرائيل لوجدنا أن ١٠٪ فقط من المؤيدين لإسرائيل في أميركا هم من أصل يهودي في ذلك العام. أما مع عام ٢٠٠٧ فقد شكل اليهود ١,٨٪ فقط من عدد السكان، أي ما مقداره ٣٪ من مجموع المؤيدين لإسرائيل في الولايات المتحدة.

إن هذه الأرقام ـ المفاجئة كما نرى ـ تقلل أيضاً من حجم الدعم الفعلي لإسرائيل في أوساط الشعب الأميركي. ففي استطلاع مركز أبحاث بيو (Pew Research Center) أجراه عام ٢٠٠٦ حول السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، وهل هي متعاطفة مع إسرائيل، أو مع الفلسطينيين، أجاب ٤٧٪ من المستطلعين بأنها عادلة، و٦٪ بأنها متعاطفة مع الفلسطينيين، و٢٧٪ فقط أجابوا بأن تلك السياسة تحابي الإسرائيليين. لقد أجري هذا الاستطلاع أثناء تنفيذ إسرائيل هجماتها ضد «حزب الله» في جنوب لبنان، وفي وقت كان فيه الدعم الأميركي لإسرائيل موضع جدل أكثر على نطاق العالم. **لذلك، على المرء أن يستنتج أن كثيرين من المستطلعين الذين أجابوا بأن سياسات الولايات المتحدة عادلة إزاء الطرفين يؤيدون في الواقع سياسات قد يعتبرها مراقبون غير أميركيين منحازة بشدّة إلى إسرائيل، بل وبشكل غير مسؤول. قليلة هي المرات التي شهدت خيارات في السياسة الخارجية الأميركية على هذا القدر من الحسم والعمق والثبات لدى الرأي العام الأميركي، وعلى هذا المقدار من الخلاف مع الرأي العام السائد في البلدان الأخرى.**

أولاد دافيد

في الولايات المتحدة لا يمثل انتهاجُ سياسة خارجية مؤيدة لإسرائيل انتصارَ «لوبي» صغير على الإرادة الشعبية، بل يرمز إلى نفوذ الرأي العام الأميركي في تشكيل السياسة الخارجية مقابل الخبراء المحترفين وهواجسهم. وتماماً كالحرب على المخدرات، أو إقامة السياج على طول الحدود مع المكسيك، تستند السياسة الخارجية الأميركية المؤيدة لإسرائيل، والتي تسبّب القلق لخبرائها واختصاصييها، إلى تأييد شعبي عريض. هذا لا يعني على الإطلاق أن اللوبي الإسرائيلي غير موجود، أو أنه لا يساهم في تشكيل تلك السياسة في الشرق الأوسط.. كما أنه لا يعني أن على الأميركيين أن يشعروا دائماً كما يشعرون الآن.. (يبقى في رأيي أن الجميع ـ بمن منهم الأميركيون والإسرائيليون، سيفيدون أكثر لو توصل الأميركيون إلى فهم أشمل وأكثر تعاطفاً مع الفلسطينيين).. لكن ذلك يعني أن الأصول الفعلية للسياسة الأميركية في الشرق الأوسط تكمن في نهاية المطاف خارج شبكة الطرق السريعة التي تطوّق مراكز القرار في العاصمة واشنطن (Outside the Beltway)، وخارج حدود الجماعة اليهودية على السواء. **وللإحاطة بسبب تأييد هذه السياسة لإسرائيل، وبأنها ليست حيادية أو مؤيدة للفلسطينيين، على المرء أن يدرس أصول الدعم الشعبي للدولة اليهودية في غير أوساط النخب أو اليهود.**

ترجع قصة الدعم الأميركي لقيام دولة يهودية في الشرق الأوسط إلى وقت مبكر. آنذاك لم يكن في وسع الرئيس جون آدامز أن يكون أكثر وضوحاً إذ قال بعد انقضاء رئاسته: «إنني أتمنى بالفعل أن يقيم اليهود دولتهم ثانية في يهودا». ومنذ بداية القرن التاسع عشر إلى الآن انقسم الصهاينة من غير اليهود (Gentile Zionists) إلى معسكرين رئيسيين في الولايات المتحدة.

الصهاينة النبوئيون (Prophetic Zionists) رأوا في عودة اليهود إلى أرض الميعاد تحقيقاً للفهم الحرفي لنبوءة الكتاب المقدس، والتي غالباً ما تمّ ربطها بعودة المسيح ونهاية العالم. فمثلاً، تنبّأ جون ماكدونالد، راعي أبرشية الباني **المشيخية** (Presbyterian) عام ١٨١٤ بأن الأميركيين سوف يساعدون اليهود في استعادة دولتهم القديمة، وذلك بناء على تأويله للأصحاح الثامن عشر من سفر أشعياء. في ما بعد، أيّدته أصوات من **المورمونيين** (Mormons) (طائفة دينية أميركية أنشأها جوزيف سميث عام ١٨٣٠). وقال رئيسهم أورسون هايد عام ١٨٤١ إن عودة اليهود إلى الأرض

المقدسة ماضية قدماً، «فالعجلة العظيمة تتحرك بلا شك، وكلمة اللـه قد أعلنت أنها لسوف تدور».

وهناك طائفة أخرى من المسيحيين ـ أقل تمسكاً بالتفسير الحرفي للكتاب المقدّس، وأقل اهتماماً بالنبوءات ـ نما في أوساطها ما يعرف **بالصهيونية التقدمية** (Progressive Zionism) لن يلبث أن يترك صداه خلال العقود في أوساط المتدينين غير اليهود والعلمانيين على السواء. لقد كان المسيحيون الليبراليون يؤمنون في الغالب في القرن التاسع عشر بأن اللـه يريد أن ينشئ عالماً أفضل بواسطة التقدّم البشري. ويرون في الولايات المتحدة، الديمقراطية والقائمة على المساواة نسبياً، نموذجاً لهذا العالم، وكذلك الوسيلة القوية التي من شأنها دعم ذلك التصميم الجليل، وتعزيزه، ودفعه إلى الأمام. كما آمن عدد من البروتستانت الأميركيين بأن اللـه قد أخذ بالسعي لإعادة من اعتبروهم يهود العالم المضطهدين والمحتقرين إلى أرض الميعاد، تماماً كما يقوم برفع شأن أقوام أخرى جاهلة وغير متدينة، ويحسن من نوعية حياتها **بنشر المبادئ البروتستانتية فيها ودفعها إلى الأمام**. وكانوا يودون أن ينشئ اليهود دولتهم المستقلة، لانهم كانوا يعتقدون أن من شأن ذلك أن يوفر لهم مأوى من الاضطهاد، **ويلطف مما كانوا يعتبرونه أخلاقاً رثة وعادات صحية بائسة منتشرة بين اليهود المعاصرين في الدولة العثمانية وأوروبا الشرقية**. وقد كانوا يرجون أن يتم لهم ذلك بتأثير **الطاقات الشفائية للحرية والكدح الزراعي الشريف في الأرض**. ويشرح ذلك آدامز حين يقول: «فهم إذا ما استيعدوا في حكومة مستقلة، وتخلصوا من الاضطهاد فإنهم سرعان ما سيطرحون عنهم العديد من فظاظاتهم وغراباتهم. ومن الممكن أن يصبحوا بمرور الوقت مسيحيين ليبراليين «يونيتاريين» (Unitarian). لقد شكّلت الصهيونية الاميركية (American Zionism) إذاً بالنسبة إلى مثل هؤلاء المسيحيين جزءاً من برنامج أوسع يقوم على إحداث تحول في العالم من خلال الترويج لقيم الولايات المتحدة والإسهام في نشرها.

لم يعمد الصهاينة التقدميون جميعهم إلى التعبير عن رأيهم بالعبارات الدينية المنتقاة فحسب، فمنذ وقت مبكر يعود إلى عام ١٨١٦ تنبأت مجلة **نايلز ويكلي ريجيستر** (*Niles Weekly Register*)، وهي الرائدة في مجال الأخبار كما الرأي خلال القسم الأكبر من النصف الأول من القرن التاسع عشر، بعودة اليهود الوشيكة إلى دولة مستقلة عاصمتها أورشليم. وسلّطت هذه المجلة الضوء على أن عودة اليهود تلك سيكون من شأنها تمهيد الطريق لتحرير الأفكار من الجهل، وبالتالي التقدّم.. وأن ذلك سيكون بلا ريب لصالح الولايات المتحدة واليهود على السواء.

ومن جانبهم، أخذ عدد الصهاينة النبوئيين يتزايد أكثر فأكثر بعد الحرب الاهلية الأميركية. وشهدت آراؤهم بشأن الدور الذي ستلعبه الدولة اليهودية المستعادة في الأحداث ـ التي ستقود إلى القيامة كما وصفت في سفر الرؤيا في العهد الجديد ـ نمواً كبيراً. أما الكتب والمنشورات التي كانت تسلّط الضوء على العودة المتوقعة لليهود، والأخرى التي كانت تتأمل في هوية عشائر اليهود القدماء التائهة وتدرس زمن عودتها فقد أخذت تتصدر اللائحة الأكثر رواجاً عاماً فعام. **وزرع الالتقاء الفكري بين دوايت مودي، المرجع الإنجيلي الأبرز في البلاد** (Leading Evangelist)، **وسايروس سكوفيلد، أستاذ الدراسات التوراتية البارز فكرةَ مستقبل إسرائيل في قلب تصوّر البروتستانتية الأميركية المحافظة بقوة.**

ووجدت الجماعات الصهيونية غير اليهودية حلفاء جدداً لها ـ وإن كانوا أحياناً يتسمون بالفظاظة ـ وذلك بعد ١٨٨٠ إذ بدأت أعداد هائلة من اليهود الروس بالتدفق على الولايات المتحدة. وبعض هذه الجماعات، بالإضافة إلى يهود أميركيين من أصل ألماني كانوا يأملون بأن تكون فلسطين الوطن البديل لمن شكلوا آنذاك جماعة اللاجئين الأقل شعبية وتقبلاً بما لم يسبق له مثيل. أما بالنسبة إلى المعادين للسامية، فإن إقامة دولة يهودية بغض النظر عما إذا ستخلص اليهود من الخصال المذمومة التي ينسبها إليهم العديدون من غير اليهود أم لا، **فإنها على الأقل ستخفض من مستويات الهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة.**

وفي عام ١٨٩١ قيّض لهذه الحبال المتفرقة التي تشكلها الجماعات الصهيونية غير اليهودية أن تُجدل وتلتفّ معاً. فقد **رفع وليم بلاكستون، مرجع الميثوديين** (Methodists) **(طائفة بروتستانتية أسسها عام ١٧٣٠ جون ويزلي) عريضة إلى الرئيس الاميركي بنجامين هاريسون تحث الولايات المتحدة على العمل من خلال وزاراتها ودوائرها الفاعلة لعقد مؤتمر لقوى أوروبا الكبرى لحمل الأمبراطورية العثمانية على تسليم فلسطين لليهود.** التواقيع

الأربعمائة التي حملتها العريضة كانت بأغلبيتها الساحقة **غير يهودية**، وقد تضمّنت توقيع رئيس المحكمة العليا، ورئيس مجلس النواب، ورؤساء عدد من اللجان فيه منها لجنة الخارجية، والرئيس الأميركي القادم وليم ماكنلي، وعمدة كل من بالتيمور وبوسطن وشيكاغو ونيويورك وفيلادلفيا وواشنطن، وناشري الصحف الكبرى في الساحل الشرقي وفي شيكاغو، ومروحة متنوعة وواسعة من رجال الدين من الاسقفيين (Episcopal) والميثوديين (Methodists) والمشيخيين (Presbyterians) والروم الكاثوليك (Roman Catholics). ووقع العريضة أيضاً أبرز رجال الأعمال، من بينهم سايروس ماككورميك وجون روكفلر وج. مورغان. **وهكذا، في وقت لم تكن فيه الجماعة اليهودية واسعة الانتشار، ولا ذات نفوذ كبير، ولم يكن هناك بعد ما يطلق عليه «لوبي إسرائيل»، صرّح أعمدة المؤسسة الأميركية غير اليهودية علناً بأنهم يؤيدون جهوداً دبلوماسية أميركية في سبيل خلق دولة يهودية على أرض الكتاب المقدس.**

الوصايا المشتركة

لا بدّ لأي معالجة للمواقف الأميركية إزاء إسرائيل من أن تبدأ بالكتاب المقدس، فمنذ قرون والخيال الأميركي تستحوذ عليه الكتابات العبرية. هذا التأثير نشأ عند إعادة اكتشاف العهد القديم في حقبة الإصلاح الديني (Reformation) وقيام الكنيسة البروتستانتية. وتأكد مع تطوّر اللاهوت الكالفيني (**الذي شدّد على استمرار توزّع الذات الإلهية في العهد القديم والعهد الجديد على السواء**) ثم إنه أضحى أكثر حيوية بسبب التشابهات التاريخية في التجربتين الاميركية الحديثة واليهودية القديمة. ونتيجة لذلك ترسّخت لغة العهد القديم وأبطاله وأفكاره في الروح الأميركية بقوة.

ومنذ وقت مبكر، كان التدريب على العبرية التوراتية إلزامياً في الجامعات للتخرّج في مادة تاريخ الولايات المتحدة، وذلك في كولومبيا ودارتموث وهارفرد وبرينستون وييل. فمثلاً أتمّ جيمس ماديسون دراسته في برينستون خلال سنتين، لكنه مكث في حرم الجامعة سنة إضافية لكي يكمل التدريب في العبرية. الخطباء الدينيون في المستعمرات، وكذلك مؤلفو الكتيبات الدينية **وصفوا الولايات المتحدة المرة تلو المرة بأرض كنعان الجديدة**، الارض التي تطفح بالزبد والعسل، وأخذوا يذكرون مستمعيهم على الدوام بأن الأميركيين سيلاقون العذاب إذا ما عصوا اللـه الذي قادهم إلى أرضهم الموعودة هذه تماماً كما فرّط اليهود القدماء بنعمة اللـه عليهم إذ خالفوا الميثاق بينهم وبينه.

واليوم لا تزال الإشارات المقتبسة من العهد القديم تهيمن في الكتابات السياسية الاميركية وفي الخطابة وحتى في الجغرافيا. **فهناك أكثر ألف مدينة وبلدة في الولايات المتحدة أسماؤها مشتقة من الكتاب المقدس. ولعل التعبير الديني الأبرز لأهمية العهد القديم في الثقافة الأميركية يتجلى اليوم في صعود موجة الاعتقاد بقرب حلول الألفية السعيدة**، وهو تأويل لنبوءات الكتاب المقدس يعطي وزناً خاصاً لمفاهيم العهد القديم، ويسند دوراً حاسماً لتجميع اليهود في الدولة المستعادة (عاصمتها القدس) في مستقبل الأيام. ويظهر أن ما يقدر بـ ٧٪ من الأميركيين يؤيدون هذا الراي الديني (ما يجعل منهم أربعة أضعاف جماعة اليهود في الولايات المتحدة)، كما يبدو أن جماعة اكبر حجماً من هؤلاء تتأثر بهذا الرأي، وإن بدرجات متفاوتة. ويؤيد أنصار هذا الرأي غالباً ـ وليس دائماً ـ اليهود التقليديين (الأورثوذكس) ـ بأن على اليهود أن يصروا دائماً على الحصول على دولة تضم جميع الاراضي التي وعد اللـه اليهود بها، ويعارضون التسويات مع الفلسطينيين حول الأرض، ويدعمون إقامة المستوطنات في الضفة الغربية، على أن هؤلاء يشكلون أقلية حتى ضمن داعمي لإسرائيل بين الأميركيين.

وفي الجانب المقابل، ترتبط مواقف الصهيونية المسيحية التقدمية بالقواعد الأخلاقية المسيحية أكثر مما ترتبط بالنبوءة في الكتاب المقدس. وتعود في جذورها إلى الإحساس بالذنب، وإلى الشعور بأن إساءة معاملة المسيحيين لليهود في السابق هي التي تمنعهم الآن من قبول الدين المسيحي. فلأكثر من ألف عام عانى اليهود الاضطهاد في أوروبا، وأحياناً منتهى القسوة على يد مسيحييها. وعلى الرغم من أن بعض الاميركيين البروتستانت تناقلوا الإشارة إلى تاريخ التعصّب ضد اليهود، والعداء للسامية، وسجّلوا ذلك في مؤلفاتهم، رأى الكثيرون من البروتستانت الليبراليين الأميركيين ـ منذ القرن التاسع عشر إلى الآن ـ أن رفض ذلك الماضي، بل والتنكّر له بات يشكل إحدى المهمات الحاسمة

في وظيفة الكنيسة الأميركية القائمة على الإصلاح والتنوير.

لقد درج مثل هؤلاء البروتستانتيين على أن يستهجنوا الشعور الكاثوليكي المعادي للسامية - وقد قاموا بذلك على قدر ما شاءوا - وأن يعتبروه نتيجة للفساد المؤسف الذي طغى على الكنيسة البابوية. لكن كلمات مصلحين دينيين من أمثال مارتن لوثر وأفعالهم المعادية للسامية لم يكن من الممكن صرف النظر عنها بتلك السهولة. لذلك اعتبر الكثيرون من المنتمين إلى الكنائس البروتستانتية الليبرالية الاميركية أن إتمام العمل الذي شهدته حقبة الإصلاح الديني، وذلك بتنقية الدين المسيحي من شوائب العصور الوسطى كالخرافة والتطرّف والعداء للسامية هو واجب مقدس. وهكذا، ولوقت طويل، **شكّل التعويض عن خطايا الماضي بحماية اليهود اختباراً دينياً مهماً للكثيرين من البروتستانيين الأميركيين - وإن كان ليس لهم جميعاً على الإطلاق.**

وبالمقارنة مع ذلك يشعر معظم المسيحيين الأميركيين بقليل من الذنب بالنسبة إلى العلاقات التاريخية بين مجموعاتهم والعالم الإسلامي - أو لعلهم لا يشعرون بالذنب أبداً. ومع أن الكثيرين من المسلمين ينظرون إلى الصراع المسيحي-الإسلامي خلال الألفية السابقة كظاهرة ثابتة متجانسة، فإن البروتستانتيين لا يعتقدون ذلك، فهم يستهجنون قساوة الحروب الصليبية، ومبدأ الحرب المقدسة مثلاً، لكنهم ينظرون إليها على أنها أخطاء كاثوليكية بخاصة، لا مسيحية بعامة. وفي كل الأحوال، فهم يعتقدون أن الحملات الصليبية انتهت منذ وقت طويل، وأنها شكلت رداً على اعتداء سابق قام به المسلمون. إنهم يستهجنون أيضاً ضراوة حروب القوى الاوروبية الاستعمارية في القرون الاخيرة، لكنهم يرونها كجزء من الاستعمار القديم لا على أنها بسبب الدين المسيحي، وبالتالي فلا يعتبرون انفسهم مسؤولين عنها. (هناك استثناء مهم جدير بالإشارة هنا: إن عدداً كبيراً من الإرساليات الأميركية الفاعلة في الشرق الأوسط أقامت عند وصولها إلى المنطقة صلات وثيقة مع السكان العرب، وساندت بقوة فكرة القومية العربية لسببين: الأول نفورها من الاستعمار الأوروبي آنذاك، والثاني أملها بأن يؤدي نشوء حركة وطنية علمانية إلى تحسين وضع المسيحيين العرب. لقد أسهمت هذه المجموعات الإرسالية في تنمية كتلة مؤيدة للعرب في وزارة الخارجية، وكذلك في نشوء حركة مفاجئة في أوساط الكنائس البروتستانتية الأساسية ضد السياسات التي اتبعتها إسرائيل في الأراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧).

وهكذا، فمع حلول عام ١٩٤٨ كان الكثيرون من المسيحيين في الولايات المتحدة يشعرون بثقل عبء الدين التاريخي تجاه اليهود، وبالالتزام نحوهم، ولكن ليس نحو المسلمين. بل إنهم كانوا مقتنعين بأن العالم الإسلامي مدين للإرساليات المسيحية الأميركية لإنشائها العديد من الجامعات والمستشفيات البارزة فيه، وبأن الدعم المسيحي الأميركي لهم بعد الحرب العالمية الثانية قد عجّل في قيام عدد من الدول العربية والمسلمة المستقلة، والتي أخذت تنشأ آنئذٍ.

أقرباء مختارون

إن نظرة الولايات المتحدة إلى هويتها الذاتية، وإلى مهمتها في هذا العالم قد تشكّلت من خلال قراءة التاريخ العبري والفكر اليهودي. ويعبر الكاتب الأميركي هرمان ملفيل عن ذلك بقوله: «نحن الأميركيين مميزون، الشعب المختار، بنو إسرائيل زماننا. نحن نحمل على كاهلنا فُلك الحريات للعالم». ومن زمن طائفة البيوريتانيين (Puritans) إلى اليوم ينظر الخطباء الدينيون في الولايات المتحدة والمفكرون والسياسيون - سواء أكانوا علمانيين أم متدينين، ليبراليين أم محافظين - **إلى الاميركيين كشعب واحد مختار تجمعه مجموعة من المبادئ ومصير واحد أكثر مما تربطه صلات الدم. فالأميركيون يؤمنون بأن اللـه (أو التاريخ) قد جمعهم في الأرض الجديدة، وجعلهم عظماء وأثرياء، وأن دوام رخائهم رهن بأن يفوا بالتزاماتهم تجاه اللـه، وبتمسكهم بالمبادئ التي كانت سبب البركة التي عمّتهم الى الآن. وأي تجاهل لهذه المبادئ - أي تحوّل الى ناحية العجل الذهبي - كما فعل اليهود - فإن الكارثة ستحل بهم لا محالة.**

وقد تطلّع الأميركيون - المتدينون منهم وغير المتدينين على السواء - إلى النصوص العبرية للعثور فيها على مثال لشعب تميّز بالمهمة المنوطة به، وبنظره إلى مصير يغيّر العالم. هل الأرض التي يقيم عليها الأميركيون الآن كانت تخصّ آخرين في السابق؟ بلى، لكن العبرانيين القدماء احتلوا أيضاً، وعلى نحو مشابه، أرض الكنعانيين. هل تمكّنت المستعمرات

الأميركية الصغيرة الحجم ـ المسلحة فقط بعدالة قضيتها ـ من هزيمة أكبر أمبراطورية في العالم؟ كذلك جندل دافيد، الراعي الصغير الوضيع، غولياث العملاق. هل كان الاميركيون في القرن التاسع عشر معزولين ومحتقرين بسبب ما قدّموه من نماذج في الديمقراطية؟ كذلك كان العبرانيون محاطين بالوثنيين. هل هزم الأميركيون أعداءهم في الداخل والخارج؟ وهكذا، بحسب العهد القديم، انتصر العبرانيون القدماء أيضاً. هل شدّد الاميركيون قبضتهم على الملايين من العبيد، وهو ما ينتهك المبادئ التي يؤمنون بها، وهل عوقبوا وعذبوا؟ نعم.. تماماً كاليهود القدماء الذين عانوا تبعات خطاياهم أمام اللـه.

إن الفهم الميثولوجي لطبيعة الولايات المتحدة ومصيرها هو أحد أكثر عناصر الثقافة والفكر الأميركيين قوة ودواماً وثباتاً. ومثل العبرانيين يؤمن الأميركيون اليوم بأنهم تحقيق للرؤيا ـ كما في العهد الجديد ـ العادلة ليس بالنسبة إليهم فحسب، بل بالنسبة الى العالم أجمع أيضاً. وغالباً ما يعتبرون أنفسهم «بني إسرائيل» الجدد المختارين من اللـه. إن إحدى النتائج الكثيرة المترتبة على هذه القرابة المزعومة هي أن العديدين من الاميركيين يؤمنون بأن دعم شعب مختار لآخر مختار مثله هو أمر صائب وصحيح. وهم لا يقلقون البتة كلما جعل الدعم الاميركي لإسرائيل ـ المعزولة دائماً والمنبوذة دولة وشعباً ـ الولايات المتحدة مكروهة، أو سبّب لها مشكلات أخرى. إن تبني دور حامي إسرائيل وصديقة اليهود هو طريقة لشرعنة وضع الولايات المتحدة الخاص كبلد دعاه اللـه إلى إتمام مصيره الفريد.

أكثر من ذلك، ترى الولايات المتحدة في نفسها ـ ومنذ القرن التاسع عشر ـ الوكيلَ الذي اختاره اللـه لخلاص اليهود وحمايتهم. كان الاميركيون يؤمنون بأن اليهود لا بد من أن يتخلّصوا من حالتهم الوضيعة لدى انتقالهم من أحياء المدن المكتظة إلى أرض الريف ـ مثلما تقاطر المهاجرون الاميركيون من المدن في جميع أرجاء أوروبا الى الولايات المتحدة، وأقاموا فيها حياة أفضل وبُنى شخصية أكثر صلابة. إنهم من يطلق عليهم «المزارعون الجفرسونيين» Jeffersonian Farmers. وقد آمن مسيحيون ليبراليون مثل آدامز بأن من شأن ذلك أن يخرج اليهود إلى نور البروتستانتية الليبرالية، وهو ما يشكّل في اعتقادهم جزءاً من خطة إنهاض أشمل للبشرية جمعاء، وذلك عبر نشر التعاليم البروتستانتية.

أما الصهاينة النبوئيون فقد أملوا في أن يعجل ارتداد اليهود الجماعي إلى المسيحية الإحيائية Revivalist Christianity في مجيء القيامة وعودة المسيح.

وفي كلا الحالين كان من شأن الدور الخاص المناط بالولايات المتحدة في إعادة اليهود تحقيقُ توقعات الأميركيين من غير اليهود حول حركة التاريخ، وتأييدٌ لاعتقاداتهم بالنسبة الى هوية الولايات المتحدة، والرسالة المنوطة بها.

دولتا استيطان

الولايات المتحدة وإسرائيل تشتركان أيضاً في وضعهما كدولتي استيطان.. بَلَدان أقيما بواسطة شعوب أحكمت سيطرتها على أرضها الحالية بعد تهجير سكانها الأصليين. كلا الدولتين تمّت إقامتها باستخدام القوة وبتاريخ من الصراع والمواجهة مع السكان الذين قاموا بتهجيرهم والاستلاء على أرضهم. وكلتاهما حاولت البحث عن تبريرات لأفعالها تلك في مصادر متشابهة. فقد توجّه الاميركيون كما الإسرائيليون إلى العهد القديم مبدئياً للعثور فيه على تلك التبريرات، والذي تروي صفحاته المقدسة قصة الصراع بين العبرانيين القدماء والكنعانيين، السكان السابقين للبلاد التي يعتقد العبرانيون بأنها أرضهم الموعودة. لقد وجد الاميركيون في فكرة كونهم «بني إسرائيل الجدد» جاذبية قصوى، لأنها أسهمت جزئياً في تبرير تهجيرهم السكان الأصليين من الولايات المتحدة. يقول ثيودور روزفلت في كتابه الأكثر رواجاً عن **تاريخ الغرب الاميركي**: «إن عدداً كبيراً من خيرة السكان غير المتحضرين كانوا من قرّاء الكتاب المقدس، وقد ترعرعوا مع إيمان يستند كثيراً إلى مقولات العهد القديم، وأولوا بالتالي أقل قدر ممكن من الاهمية لمسائل مثل الشفقة، أو الحقيقة، أو الرحمة. لقد نظروا إلى أعدائهم كما نظر العبرانيون إلى أعداء إسرائيل. وهل تقارن الأمور المقيتة التي بسببها تم تدمير الكنعانيين أمام يشوع (Joshua) بأفعال الهمجيين الحمر البغيضة، والذين سيرث أرضهم بدوره

شعبٌ آخر مختار ؟» (إن روزفلت نفسه كان مسيحياً صهيونياً مثل ابني عمه فرانكلين وأليانور. لقد كتب في عام ١٩١٨: **«يبدو لي أن البدء بإنشاء دولة صهيونية حول القدس هو أمر صحيح تماماً».**

وبالإضافة إلى الوعد الإلهي الصريح، قدّم الاميركيون عاملين آخرين مهمين لتبرير نزاعاتهم مع سكان البلاد الأصليين، **الأول** هو زعمهم بقيامهم بالتوسع في «أراض خالية من السكان»، **والثاني** هو مبدأ جون لوك ذو الصلة بهذا الموضوع «الاستخدام العادل»، والذي يجادل بأن الارض غير المستعملة هي بور، وتشكّل إساءة بحق الطبيعة. لذا شعر المستوطنون الأميركيون بأنهم وحدهم الذين يقومون بالعمل في الأرض وتحسينها، وذلك من خلال استيطانها بكثافة، وإنشاء المزارع للزراعة الخفيفة فيها، وإقامة البنايات في بلداتها يملكون الحق الفعلي في حيازتها (!). وقد أشار إلى ذلك بجلاء عام ١٨٠٢ جون كوينسلي آدامز عندما قال: «هل يقضي الهنود الحمر على قسم كبير من الكرة الأرضية بأن يكون مصيره الخراب الأبدي؟»، وحذّر توماس جيفرسون سكان البلاد الأصليين الذين أخفقوا في التعلم من البيض الانخراط في العمل الزراعي المنتج بأنهم سوف يواجهون مصيراً قاسياً، وسوف «يرتدون إلى الهمجية والشقاء، ويخسرون أعداداً كبيرة منهم بفعل الحرب والحاجة، **ولهذا سنكون ملزمين بدفعهم إلى الجبال المليئة بالحجارة ليعيشوا هناك مع الوحوش».**

لقد تردّد صدى هـذه الآراء كثيراً خلال الجزء الأكبر من تاريخ الولايات المتحدة ـ ليس فقط بين المستوطنين غير المتحضرين، بل في أوساط المواطنين الليبراليين الأكثر دارية ورقياً أيضاً. وكانت هذه الآراء تحمل معنى خاصاً عندما أخذت تتحدث عن الأراضي المقدسة. وفيما أخذ المتمسكون بتعاليم الدين من الأميركيين يسهبون في وصف أمجاد أوروشليم وهيكل سليمان كانوا يقومون بوصف أرض عظيمة وخصبة هناك.. أرض تطفح باللبن والعسل، كما يصفها الكتاب المقدس. لكن مع حلول القرن التاسع عشر، عندما قام العشرات، فالمئات، ثم الآلاف من الأميركيين بزيارة الأراضي المقدسة ـ وعندما احتشد الملايين لسماع المحاضرات والعروض حول تلك الرحلات داخل الولايات المتحدة ـ كان في وصفها القليل من الزبد والعسل، ففلسطين كانت آنذاك أكثر الولايات العثمانية تخلفاً وتداعياً وفقراً. وقد بدت يهودا بهضابها وحقولها الملأى بالصخور جدباء خالية في عيون الأميركيين، حتى أن كثيرين منهم آمنوا بأن الله قد لعن تلك الأرض عندما طرد اليهود منها في شتاتهم الثاني، وهو ما رأوا فيه عقاباً لليهود على عدم اعترافهم بيسوع على أنه السيد المسيح. وهكذا، يعتقد الاميركيون اليوم بأن اليهود ينتمون إلى تلك الأرض، وأن الأرض المقدسة تعود إليهم، وأن اليهود لن يفلحوا إلا عندما يعودون أحراراً إليها، وأن الأرض لن تخصب وتزدهر إلا بعودة أصحابها ذوي الحق فيها (!)

في العهد القديم يصف النبي أشعياء (Isaiah) عودة اليهود إلى أرض الميعاد بأنها نعمة من الله، إذ يجعل وقتها «في البرية ماء أنهاراً في القفر». لقد راقب الأميركيون بدهشة من يرى تحقق النبوءة التوراتية أمام عينيه عودةَ خصوبة الأرض بفعل زراعة المستوطنين الصهيونيين الأوائل لها. وفي عام ١٩٤٦ كتبت مجلة **التايم** مرددة صدى لغة أشعياء: «إن جداول الحركة الاستيطانية اليهودية الحيوية، مطعمة بسخاء بأموال يهود العالم، قد تدفقت إلى الصحراء». وبعد سنتين، وبعد النصر اليهودي في عام ١٩٤٨، وصفت مجلة **التايم** العرب بعبارات ترفّ لها الأجفان اليوم، لكنها عبّرت آنذاك عن النظرة الأميركية إليهم ، فقالت: «إن العالم الغربي يميل إلى تصوّر العرب على أنهم محاربون لهم عيون الصقر على جياد بيض. ذلك النوع من العرب لا يزال موجوداً، لكن أعدادهم أقل بكثير من أعداد البؤساء منهم الذين نالت منهم الامراض، فرموا بأنفسهم على جانبي الطرقات تحت القيظ، وهم أضعف وأكثر مرضاً وأقل تحفيزاً من أن يدحرجوا أجسادهم نحو الظل». لقد رأى الاميركيون منافسة وصراعاً بين شعب عاجز ومتخلف، وآخر قادر على استيطان البرية، وجعلها تختصب محققاً بشكل خارق النبوءات القديمة حول دولة اليهود.

لطالما نُظر الى اليهود على أنهم الجماعة الأكثر بؤساً في سكان أوروبا الشرقية؛ جَهَلة ومتفسّخون ويؤمنون بالخرافات.. مجزّأون ومشاكسون ومتخلّفون على نحو ميئوس منه.

لذا، كان من شأن أن ينجح هؤلاء ـ وبعد تعرّضهم للوحشية غير المسبوقة التي تجسّدت في الاضطهاد النازي لهم ـ في إقامة أول ديمقراطية مستقرة في الشرق الأوسط، وبناء اقتصاد مزدهر في الصحراء، وهزيمة أعدائهم الأكثر عدداً وعتاداً المرة تلو المرة أن **يقدّم للأميركيين الدليل التاريخي المدهش عن إمكانية تحقيق أعز أفكارهم الذاتية ومبادئهم..**

البُعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني: نتائج الدراسة (*)

يوسف الحسن (**)

قامت هذه الدراسة على فرضية أساسية دارت حول وجود اتجاهات صهيونية في الحركة المسيحية الأصولية في الولايات المتحدة الأمريكية، ما جعل هذه الحركة أحد الأعمدة الأساسية للحركة الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة الأميركية ولإسرائيل.

وقد تركزت تلك الفرضية الرئيسية للدراسة في أن نفوذ اليهود الكبير، وقوة تنظيم المنظمات الصهيونية اليهودية، وجماعات الضغط الإسرائيلية لا يفسر وحده شدة التزام الولايات المتحدة الأمريكية رسمياً وشعبياً بدعم إسرائيل معنوياً ومادياً، ولا يوضح عمق واتساع هذا الالتزام، وشعور الانحياز إلى الصهيونية وإسرائيل لدى الساسة الأمريكيين والرأي العام الأمريكي. **وإنما تلعب الاتجاهات الصهيونية المسيحية بأسسها اللاهوتية ـ الحضارية دوراً رئيسياً في توفير المناخ الملائم لهذا الالتزام والتحيز، ما أثر في توجيه السياسة الأميركية نحو نزعة عامة متحيزة تجاه الصراع العربي ـ الإسرائيلي.**

وقد سعت هذه الدراسة إلى معالجة الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية. وافترضت أن هذه النزعة الصهيونية هي، مبدئياً، نتيجة لعقيدة دينية عميقة غير قائمة على أسس علمية أو سياسية أو اقتصادية أو على معرفة بملابسات السياسة الخارجية ومداخلاتها.

كما افترضت هذه الدراسة أن الدين في الولايات المتحدة الأمريكية في أكثر اعتباراته دين توراتي، وُضعت شروحه في قوالب عبرانية. وإن الفرضية الأساسية للصهيونية المترسخة في النظرة المسيحية الأصولية تقوم على قانون لاهوتي توراتي يتلخص في النقاط الثلاث التالية:

١ ـ كل مسيحي مخلص يجب أن يؤمن بالعودة الثانية للمسيح.

٢ ـ إن قيام دولة إسرائيل واستيلاءها على مدينة القدس هما إشارة إلهية إلى أن العودة الثانية للمسيح على وشك الحدوث.

٣ ـ وعلى ذلك، فإن كل دعم مادي أو معنوي لإسرائيل ليس أمراً اختيارياً أو مبنياً على أسس إنسانية أو أخلاقية أو استراتيجية، وإنما هو قضاء إلهي، لأنه يؤيد ويسرّع قدوم المسيح، وبالتالي فإن كل من يقف ضد إسرائيل هو ضد المسيحية وضد اللـه بالذات.

ومن هنا، فإن الدراسة تفترض أساساً أن الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية هي التي تفسر استعمال الولايات المتحدة الأميركية الاصطلاح «الالتزام الأخلاقي ـ الأدبي» بدعم إسرائيل. وهو الاصطلاح الذي لم

(*) من خاتمته لكتابه «البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني: دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية»، سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٥)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. ٤ ، بيروت، نوفمبر، ٢٠٠٥ ، ص.١٨٥ـ١٩٧.

(**) باحث وأكاديمي بارز، ودبلوماسي إماراتي من أصل فلسطيني.

يُستعمل، أمريكياً، مع أية دولة صديقة أخرى غير إسرائيل.

وحتى يمكن اختبار تلك الفرضية بطريقة علمية، كان من الضروري البدء في تحليل جذور الاتجاهات الصهيونية في الكنائس الأوروبية، ومن ثم الأمريكية. ولقد اتضح من هذا التحليل أن تلك الاتجاهات قد تبلورت إثر حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، حيث سادت عقيدة العودة الثانية للمسيح في الكنائس البروتستانتية. وصار الاعتقاد بأن عودة اليهود إلى فلسطين هي تحقيق للنبوءات التوراتية، وتمهيد للمجيء الثاني للمسيح. عندما يقيم مملكته ويتحول فيها كل اليهود إلى المسيحية.

وبعرض هذه الاتجاهات وتحليلها اتضح تزاوج المعتقدات الدينية بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم فيها بالأهداف السياسية والاستراتيجية للدول الاستعمارية في تلك الفترة، ما مهد المناخ لولادة الحركة الصهيونية السياسية لليهود، والهادفة إلى تحقيق المشروع الصهيوني بتجميع يهود العالم في وطن قومي لهم في فلسطين، واكتساب المشروعية والدعم الدوليين لهذا المشروع.

ولقد تم التوصل إلى تلك النتيجة من طريق تحليل الفكر الصهيوني في العقيدة البروتستانتية التي ما كانت لتنمو دون معرفة العهد القديم، وهو في مجمله سجل لتاريخ اليهود. وبذلك صارت اليهودية تاريخاً وعادات وقوانين جزءاً من الثقافة الإنكليزية على مدى القرون الثلاثة التالية. ودون هذه الخلفية التوراتية لدى ساسة إنكلترا والرأي العام فيها، فإنه كان من المشكوك فيه أن يصدر **وعد بلفور** في عام ١٩١٧ باسم الحكومة الإنكليزية، رغم وجود عوامل سياسية وتجارية وعسكرية واستراتيجية أخرى كانت قد برزت على المسرح السياسي في تلك المرحلة.

ولقد اتضح من الدراسة أن رموزاً دينية وسياسية وأدبية واقتصادية أوروبية كثيرة قد تأثرت بحماسة كبيرة بالفكر البروتستانتي النابع من العهد القديم، والداعي إلى عودة اليهود إلى فلسطين، فضلاً عما ستوفره هذه العودة من فوائد استعمارية وخدمة لمصالح القوى الإمبريالية الحاكمة. وقد جُسِّدت هذه الحماسة عملياً بالمساعدة على هجرة اليهود إلى فلسطين، ودعم إنشاء المستوطنات اليهودية فيها، إضافة إلى تأسيس الجمعيات واللجان والحركات المسيحية الصهيونية بهدف المساعدة في إعادة اليهود إلى فلسطين، باعتبار أن هذه العودة هي مفتاح الخطة الإلهية لعودة المسيح الثانية.

وقد استنتجت الدراسة أن مقولة «**أرض بغير شعب لشعب بلا أرض**»، هي مشروع مسيحي صهيوني قُدِّم إلى مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ وأن أول جماعة ضغط (Lobby) صهيونية قامت في الولايات المتحدة الأمريكية قد أسسها رجل دين بروتستانتي هو بلاكستون (Blackston) عام ١٨٨٧ لصالح إقامة دولة يهودية في فلسطين.

وبتحليل النزعات الصهيونية وتأثيرها الثقافي والفكري في معتقدات البروتستانتية، توصلت الدراسة إلى أن هذا التأثير قد أدى إلى **تهويد البروتستانتية**، مما كان له الأثر الكبير في الموقف السياسي لإنكلترا نحو تدعيم إقامة الدولة اليهودية، وفي الموقف السياسي للولايات المتحدة الأميركية نحو الالتزام بدعم الدولة اليهودية وتأييد سياساتها الاستيطانية والتوسعية.

واتضح من الدراسة أن قناعات لورد بلفور الدينية، والمعتقدات التوراتية للويد جورج، رئيس الوزراء، وتأثرهما بالفلسفة اليهودية وخلفيتها الفكرية المؤمنة بقصص العهد القديم وتفسيراته العبرية، كانت وراء بلورة مواقفها السياسية تجاه المشروع الصهيوني السياسي، وصدور وعد بلفور، والذي كان أول اعتراف دولي بالصهيونية السياسية، وبمشروعها إقامة دولة لليهود في فلسطين.

وفي مجال اختبار الفرضية الرئيسية للدراسة، تم أيضاً تحليل الجذور التاريخية للاتجاهات الصهيونية غير اليهودية في التاريخ الأمريكي، وفي الكنائس البروتستانتية، والكاثوليكية في الولايات المتحدة الأميركية. وتوصلت الدراسة إلى أن هذه الاتجاهات قد شكلت عنصراً بارزاً في الحياة الثقافية والسياسية الأمريكية منذ البداية الأولى لتأسيس الولايات المتحدة الأمريكية. وكان المهاجرون الأوائل من البيوريتانيين الذين حملوا معهم التقاليد

والقناعات التوراتية، وتفسيرات العهد القديم التي انتشرت في انكلترا بعد القرن السادس عشر.

وتبين من الدراسة أن المهاجرين الأوائل قد سموا أبناءهم بأسماء يهودية من قصص التوراة. كما تم تسمية مدن أمريكية كثيرة بأسماء عبرية قديمة. كما كانت المواعظ الدينية خلال الحرب الأهلية الأمريكية، تشبه الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يسعى إلى دخول الأرض الموعودة. **ومن خلال هذه العبرنة أمكن تفسير دوافع الاقتراح الذي تقدم به الرئيس الأمريكي جيفرسون المتعلق بالرمز الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية ليكون على شكل أبناء إسرائيل، إذ تقودهم في النهار غيمة وفي الليل عمودان من النار بدلاً من النسر.**

وبعرض تأثير الاتجاهات الصهيونية في الكنائس البروتستانتية الأمريكية، اتضح أن هذه الاتجاهات قد تبلورت على شكل مؤسسات ومنظمات كنسية صهيونية، تستخدم المسيحية وفلسطين، وتهدف إلى تعبئة الرأي العام، وممارسة الضغط على الجهات الرسمية في الحكومة والكونغرس لصالح الصهيونية السياسية، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهجرة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها.

كما اتضح أن هذه المؤسسات والمنظمات المسيحية الصهيونية قد تلقت الدعم العلني والسري من الحركة الصهيونية. **وبقيام إسرائيل تدعمت معتقدات المسيحية الأصولية اللاهوتية باعتباره حدثاً وإشارة على صحة هذه النبوءات. وصارت مسألة دعم وتقوية وتأييد إسرائيل بهدف تعجيل يوم الخلاص بالعودة الثانية للمسيح قضية رئيسية لدى الحركة المسيحية الأصولية، تحقيقاً لرضاء اللـه واعتبار أن معارضة إسرائيل هي معارضة للرب.**

***

من طريق تحليل أهمية الكنيسة في المجتمع الأمريكي وعلاقتها الدستورية والعملية بالدولة، ومناقشة أهم العوامل التي أدت إلى نهوض الحركة المسيحية الأصولية في العقدين الأخيرين والتعرف على منظمات وجماعات ضغط، وقيادات، ومنشورات وبرامج هذه الحركة، وعلاقاتها مع الجماعة اليهودية وحركتها الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، تم التوصل إلى النتائج التالية:

١ـ على الرغم من دستورية فصل الدين عن الدولة، فإن الجدار بينهما كان واهياً. وإن الفصل كان مقصوداً به حماية الدين من تدخل الدولة في شؤونه. وإن تنفيذه عملياً ظل عرضة للتغير تبعاً لموازين القوة داخل المجتمع، ولأطماع الدولة والكنيسة، وقدرة إحداهما على أن تسود على الأخرى، فتتجاوز حدود المستوى النظري لعملية الفصل.

وقد تبين أن الكنيسة الأمريكية نظام شمولي في أغراضه وأنشطته وعلاقاته. وتمزج الدين بالتعليم وبالخدمات الاجتماعية وبالطب وبالسياسة وبالفن والحرب والسلم.. إلخ. ولا يفلت من شباكها شيء يتعلق بالحياة اليومية للإنسان.

وقد استنتجت الدراسة أن البروتستانتية هي التي تمثل الأكثرية الغالبة للشعب الأمريكي وتكمن فيها مصادر النفوذ السياسي، ليس بسبب كثرة عددها فحسب، بل لكونها كنيسة الطبقة العليا أو ما يسمى كنيسة الإنكلوسكسون البيض التي تختصر عادة بكلمة «واسب» (WASP). وقد استخدمت الكنيسة الوسائل والأساليب نفسها التي تستخدمها المنظمات والمؤسسات المدنية، من حيث التأثير في السياسات العامة للمجتمع، وخاصة ممارسة أساليب الضغط المنظم المسمى اللوبي، ووسائل استطلاع الرأي العام، وأجهزة الإعلام الحديثة، وأدوات الاتصال الجماهيري. كما ملكت وأدارت جامعات ومؤسسات تربوية وتعليمية وإعلامية واستثمارية، مما وفر لها إمكانات مالية ضخمة. وملكت بذلك عقول الملايين من الأمريكيين وجيوبهم. وقد وجدت الدراسة أن العقدين

الأخيرين شهدا توسعاً في التعليم الديني في الولايات المتحدة الأمريكية، سواء من حيث عدد المؤسسات التعليمية أو في عدد التلاميذ. فضلاً عن انتخاب رئيسين للجمهورية يؤمنان بأهمية الدين وبدوره الجوهري في المجتمع. فالرئيس السابق جيمي كارتر أعلن عن شعاره وإيمانه بعقيدة «**الولادة ثانية**» كمسيحي أصولي، وجسد ما في هذه العقيدة من اتجاهات صهيونية نظرياً وعملياً. كما عبر عن ذلك ومارسه الرئيس رونالد ريغان، **واعتبر أن للدين دوراً أساسياً في الحياة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية**. وفي النتيجة فإن حركة المسيحية الأصولية التي هي في غالبيتها بروتستانتية هي أهم ظاهرة سياسية في العقدين الأخيرين من هذا القرن.

وقد مثلت إسرائيل في هذه الظاهرة محوراً مميزاً. وكثر استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي الأمريكي نتيجة تأثير المسيحية في المجتمع المدني، وبخاصة في ثقافته العامة، بحيث صُوِّر الصراع العربي ـ الإسرائيلي في الخيال العام الأمريكي وثقافته على أنه امتداد للصراع التوراتي بين اليهود وغير اليهود، وأن إسرائيل القرن العشرين هي إسرائيل التوراة نفسها التي يبشر قيامها باقتراب المجيء الثاني للمسيح، فضلاً عن جعل العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل علاقة خاصة ومميزة وقائمة على فهم توراتي تراثي مشترك.

٢ـ إن انتصار إسرائيل العسكري في حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ واحتلالها مدينة القدس كان لهما أثر أساسي في بعث الحركة المسيحية الأصولية في الولايات المتحدة الأمريكية التي قدمت هذه الحرب على أنها معركة بين قوى الشر والخير.

وقد تبين أن عدة عوامل أمريكية وإسرائيلية ساهمت في نهوض الحركة المسيحية الأصولية من بينها:

أ ـ ظهور نزوع في الرأي العام الأمريكي نحو الكنيسة، وما تطرحه من قيم، وتقاليد، ومثل في مواجهة ما عاناه المجتمع الأمريكي من هزائم عسكرية في فييتنام، وفضيحة التسجيلات المسماة «فضيحة ووترغيت»، والتي أسقطت الرئيس نيكسون في عام ١٩٧٤، الأمر الذي أدى إلى ولادة عديد من المؤسسات والتنظيمات والبرامج الكنسية، واعتبار عام ١٩٧٦ عام المسيحيين الأصوليين.

ب ـ وصول الرئيس جيمي كارتر إلى البيت الأبيض كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية، معلناً عن ولادته من جديد كمسيحي، ومؤمناً بأن تأسيس إسرائيل هو تحقيق للنبوءات التوراتية، وأن العلاقات الخاصة مع إسرائيل تقع ضمن التراث الأخلاقي المشترك، والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية.

ج ـ تولي مناحيم بيغن رئاسة الوزارة في إسرائيل في عام ١٩٧٧، إذ أعطى مجيئه الحكم مشروعية للتطرف الديني اليهودي، ولاستخدام الإشارات والتعابير التوراتية لتبرير الاستراتيجية الصهيونية، وكان حريصاً على إقامة علاقات متينة مع قادة الحركة المسيحية الأصولية.

د ـ تنبه المنظمات الصهيونية اليهودية إلى أهمية تأثير تنامي المجتمع المسيحي الأصولي، ومسارعتها إلى إقامة تحالف متين معه، ودعم اتجاهاته الصهيونية وأنشطته، باعتباره أسرع وأضخم كتلة مؤيدة لإسرائيل نمت في الولايات المتحدة الأمريكية.

هـ ـ بروز وانتشار شبكة واسعة من «الكنيسة المرئية» ببرامجها الاستعراضية الدينية المسيحية، وبقادتها من نجوم التلفزة، وبما تمتلكه من المحطات ا لمسموعة والمرئية، والمؤسسات الإعلامية، والاستثمارية، والتربوية، وبما تستخدمه من أجهزة تقانية حديثة في الاتصالات والإدارة والحركة.

و ـ صعود اليمين السياسي المحافظ لحكم الولايات المتحدة الأمريكية مع وصول الرئيس رونالد ريغان في عام ١٩٨٠ إلى البيت الأبيض، فقد أسس هذا اليمين الجديد برامجه السياسية والاقتصادية والثقافية على تحالفات مع حركة المسيحية الأصولية، وعلى مبادئ دينية محافظة ولقاء على أرضية مشتركة في دعم غير مشروع لإسرائيل.

وقد تبين من الدراسة أن هذه الصحوة المسيحية الأصولية تجسدت في تيار جماهيري واسع، ومؤسسات متعددة

الأغراض وإمكانات مالية ضخمة، ونفوذ سياسي ليس من السهل مقاومته. وقد بدا ذلك واضحاً في قدرة هذه الحركة على تعبئة عدة ملايين للانخراط في العملية السياسية الانتخابية.

٣ـ إن المسيحية الأصولية قد جسدت حركتها وفكرها في مؤسسات إعلامية، ومنظمات وجماعات وتحالفات متعددة. ومدت ذراعيها إلى خارج حدود الولايات المتحدة الأميركية. وتعاونت مع إسرائيل في تأسيس منظمة مسيحية أصولية في القدس، وأقامت محطتين للبث المرئي والمسموع في جنوب لبنان لخدمة سياسات إسرائيل. وتبينت الدراسة أن الحركة المسيحية الأصولية ملكت وأدارت شبكة واسعة، وعلى درجة عالية من التقانة الحديثة، من وسائل البث والاتصال الجماهيري، التي تعرف بالكنيسة المرئية. فجذبت اهتمام قطاعات واسعة من المجتمع الأمريكي تقدر بحوالى ٤٠ بالمئة من مشاهدي محطات التلفزة. وقد استنتجت الدراسة أن أغلبية مشاهدي برامج الكنيسة المرئية هم من البالغين، **وبخاصة في سن الخمسين فما فوق، وأن هذه السن تمثل أضخم كتلة انتخابية وأكثرها ثراء، مما يعني بالتالي أنها محل اهتمام السياسيين والطامحين للترشيح للمراكز التنفيذية والتشريعية.**

ووجدت الدراسة أن الكنيسة المرئية هي صناعة ثرية وتستخدم برامجها الاستعراضية لجميع أموال التبرعات، ولا تكتفي بمسائل الوعظ الديني، بل تهتم بالمسائل الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والترفيهية، وتهتم باكتساب القوة والنفوذ السياسيين أكثر من اهتمامها بالدين. وتقدّم رؤيتها السياسية لقضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي من خلال تفسيراتها التوراتية لإسرائيل واليهود، وتحيزها ضد العرب المسلمين.

ومن أجل جذب أكبر حجم من المشاهدين، فإن هذه الكنائس لم تكتف ببث برامجها من خلال ما تملكه من شبكات بث مسموعة ومرئية، بل قامت بشراء أوقات ملائمة في أوسع الشبكات انتشاراً، ما أدى إلى أن يكون لبرامجها الكنسية تأثير أساسي في فكر الأمريكيين وسلوكهم، ويقدّر عدد مشاهدي برامجها أسبوعياً بحوالى ٢٥ مليون شخص.

وخلصت الدراسة إلى أن قدرة قادة الكنيسة المرئية ونجومها على التأثير لا تعود لدرايتهم في علم اللاهوت فحسب، بل لأنهم في غالبيتهم من المتخصصين في مجال الإعلام أيضاً، ما زاد من قوة تأثير برامجها في المشاهدين والمستمعين، ولاسيما أن هذه البرامج تتجاوز مسائل الوعظ والإرشاد والتعليم الديني إلى القضايا اليومية، والاستشارات، والعلاقات الشخصية، والشفاء الروحي والجسدي.

وقدرت الدراسة أن ٨٥ بالمئة من مستمعي أو مشاهدي هذه البرامج قد تحولوا إلى متدينين، وأن أكثر من ربعهم قدّم أكثر من ١٠ بالمئة من دخله لدعم برامج الكنيسة المرئية والمسموعة، ما أدى إلى توافر ما يقارب من ملياري دولار سنوياً كمورد لهذه الكنائس.

وتبين من الدراسة، أن منظمات الكنيسة المرئية مثل «الأغلبية الأخلاقية» وزعيمها القس جيري فولويل، ومؤسسات بات روبرتسون المرشح لرئاسة الجمهورية في انتخابات عام ١٩٨٨، و«رعوية المغامرة الكبرى» و«رعوية مايك ايفانز» وغيرها من المنظمات، إضافة إلى جماعات الضغط المسيحية الأصولية التي تستخدم في ممارسة نشاطها وسيلة الضغط بقصد التأثير في صانعي القرارات في النظام السياسي، من أجل تحقيق غرضها ووفق مصالحها، قد حققت فعالية في حركتها، ونشر أفكارها وتأثيرها، وذلك بسبب وحدة جماعاتها وتنظيمها، وكبر حجم وانتشار أعضاء جماعات ضغطها، وتميز قياداتها بمهارات وكفاءات قيادية وجماهيرية. وقد دأبت على استخدام أحدث ما توصلت إليه أجهزة الاتصال الإعلامي، وإقامة علاقات مع الفعاليات السياسية والتشريعية، واتباع أساليب عصرية في التمويل وفي التكتيك لخدمة استراتيجيتها.

واستنتجت الدراسة أن دعم إسرائيل والدفاع عن سياساتها من دون شروط، وتأييد الحركة الصهيونية اليهودية، هي المحور الأساسي في فكر وسلوك هذا الكم الهائل من المؤسسات والقيادات وجماعات الضغط

المسيحية الأصولية. وقد جسّدته بأشكال وصيغ وأعمال ومواقف مختلفة، سواء على المستوى الأمريكي، أو في داخل إسرائيل، أو في الساحة الدولية، ومن بينها الإعلانات الصحفية، والأفلام، والكتب والمنشورات، والبرامج التلفزيونية والإذاعية، ومناهج التربية والتعليم، والمسيرات، والندوات، والمؤتمرات، والتظاهرات، والتبرعات، وإقامة صلوات إفطار من أجل إسرائيل، وغير ذلك من وسائل الضغط والتأثير لمصلحة الأهداف الصهيونية السياسية، ودعم وتأييد إسرائيل، وسياساتها التوسعية التهويدية والعنصرية.

٤ـ إن أبرز الاتجاهات الصهيونية لدى الحركة المسيحية الأصولية المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية تتمحور حول التبشير الإنجيلي بإسرائيل ودعمها نظرياً وعملياً. وتستخدم إسرائيل توراتية الحركة المسيحية الأصولية لغاياتها وأهدافها الخاصة. وقد خلصت الدراسة إلى أن أهم الاتجاهات الصهيونية لدى الحركة المسيحية الأصولية المعاصرة تتبلور في الخطوط العريضة التالية:

أ ـ إن دعم إسرائيل وتأييدها ليس قضية أخلاقية أو إنسانية، أو أمراً اختيارياً أو هو عائد إلى اعتبارات سياسية أو عسكرية، بل إنه قضاء إلهي. وبالتالي فإن معارضة إسرائيل خطيئة دينية، وإن دعمها وتأييدها هو في سبيل الخير وإرضاء اللـه.

ب ـ إن مدينة القدس، تحت السيطرة اليهودية، هي محور عودة المسيح الثانية جغرافياً وتاريخياً. وإن المعبد اليهودي لا بد أن يقام قبل هذه العودة الثانية، وعلى أرض المسجد الأقصى الذي لا بد له من الزوال. وما محاولة المسيحي الأصولي مايكل روهان، من أستراليا، حرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ إلا تنفيذ لهذه الاتجاهات الصهيونية المسيحية المؤمنة بوجوب المساعدة في استعجال عودة المسيح.

ج ـ إن الالتزام بتدعيم أمن إسرائيل، وبتقويتها عسكرياً واقتصادياً، وإقامة تحالف استراتيجي شامل معها، ومساعدتها بالتبرعات وشراء وتسويق منتجاتها وسنداتها، وإنشاء صناديق الاستثمار الدولية لمصلحتها وتشجيع الاستثمار الأمريكي الخاص داخلها، واستصلاح الأراضي، وبناء المستوطنات فيها وفي الضفة الغربية وغزة والجولان، والرحلات السياحية إليها، وتوفير فرص التدريب للإسرائيليين داخل مؤسسات تقانية أمريكية، هو التزام مسيحي مبني على اعتبارات روحية وتاريخية وأمنية.

د ـ اعتبار كل أراضي الضفة الغربية وغزة والجولان ملكاً للشعب اليهودي، وتبرير حروب إسرائيل التوسعية، والدفاع عن غزواتها، وعملياتها العسكرية الخارجية، وحث الولايات المتحدة الأمريكية على دعم هذه الحروب والسياسات باعتبار أن اللـه هو الذي عين حدود إسرائيل وأيد مطالبها في الأرض. وقد وجدت الدراسة أن دعم وتأييد الحركة المسيحية الأصولية لإسرائيل، في معظم الأحيان، هو أكثر تشدداً وتطرفاً من مواقف وآراء بعض اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية وفي إسرائيل.

هـ ـ وصم العرب بعامة، والفلسطينيين بخاصة بالإرهاب وممارسة الضغوط المنظمة على صانعي القرارات السياسية والتشريعية لمنع بيع الأسلحة الأمريكية إلى البلدان العربية ونبذ منظمة التحرير الفلسطينية وعدم الاعتراف بها، تنفيذاً لما ورد في التوراة حول مباركة اللـه من يبارك اليهود ولعن من يلعنهم.

وكذلك المطالبة بتوطين الفلسطينيين في البلدان التي نزحوا إليها، والدعوة إلى الاعتراف الدولي بإسرائيل، ومطالبة الولايات المتحدة الأمريكية بالانسحاب من أية منظمة دولية أو إقليمية أو خاصة ترفض عضوية إسرائيل أو الإسرائيليين فيها.

و ـ **وتأتي هذه الاتجاهات الصهيونية، ودعم وتأييد إسرائيل من خلال المواعظ في الكنائس، والتدريس في مدارس الأحد والجامعات الكنسية، والبرامج الاستعراضية في الكنيسة المرئية والمسموعة، والكتب والأفلام والمجلات الدينية والنشرات التي توزع مجاناً، والإعلانات الباهظة الكلفة في الصحف الأمريكية الواسعة الانتشار، وبرامج الرحلات السياحية لإسرائيل** ـ إذ دعت الحركة المسيحية الأصولية لأن يجعل كل مسيحي زيارة

إسرائيل من أهداف حياته الشخصية ـ وتنظيم الندوات والصلوات الدينية والمؤتمرات والدورات التدريبية لتطوير وتعميق قواعد فهم أفضل لاحتياجات وأهداف إسرائيل والصهيونية السياسية، وإنشاء التحالفات والمنظمات المسيحية من أجل توحيد الطوائف المسيحية المختلفة للتضامن مع إسرائيل، وخدمة ما تسميه أمن الوطن القومي اليهودي، وممارسة الضغوط المنظمة لصالح دعم إسرائيل، وتحسين صورة إسرائيل وقادتها في الولايات المتحدة الأمريكية.

٥ ـ إن النشاط المسيحي الأصولي المؤيد والداعم للصهيونية وإسرائيل والمبني على مبادئ ومعتقدات دينية وسياسية، والذي تدعمه المنظمات الصهيونية وإسرائيل مالياً ومعنوياً لم يحل دون قيام خلافات بين الحركة المسيحية الأصولية من جهة وبين يهود الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من جهة أخرى. فيهود الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض اليهود المتعصبين في إسرائيل، يخشون من عمليات تبشيرية وتنصيرية قد تمارسها بعض الكنائس والمنظمات المسيحية الأصولية بين اليهود، كما يعتبر بعضهم أن الحركة المسيحية الأصولية ساهمت بتأجيج المناخ الديني المسيحي داخل الولايات المتحدة الأمريكية. ورأى البعض الآخر أن تحالف الجماعات اليهودية مع هذه الحركة قد يؤثر سلباً في تأييد الكاثوليك والبروتستانت الليبراليين لإسرائيل وللحركة الصهيونية داخل الولايات المتحدة الأمريكية. فضلاً عن قلق يهودي من تنامي وانتشار الحركة المسيحية الأصولية لتصبح قوة سياسية مؤثرة قد يصعب السيطرة على حركتها دينياً، تجاه مسائل اجتماعية وتربوية وسياسية داخلية، ما قد يؤثر في النفوذ اليهودي ويزاحمه داخل الولايات المتحدة الأمريكية. واستنتجت الدراسة أن رؤية يهود الولايات المتحدة الأمريكية الحركة المسيحية الأصولية تتجاوز أحياناً مسألة الاتجاهات الصهيونية لدى هذه الحركة إلى مواقف وفكر هذه الحركة تجاه القضايا الأمريكية الداخلية، مثل الصلاة في المدارس الحكومية والإجهاض والمرأة.. إلخ. لكن هذه الرؤية تتركز باستمرار حول ضرورة تطوير الاتجاهات الصهيونية وتنميتها لدى منظمات الحركة المسيحية الأصولية الداعمة لإسرائيل، والعمل على توحيد الموقف المسيحي الأصولي واليهودي الصهيوني تجاه إسرائيل.

أما إسرائيل فهي أقل حساسية تجاه المواقف والآراء الخلافية مع المسيحيين الأصوليين، والمتعلقة بقضايا اجتماعية وثقافية وسياسية أمريكية داخلية. وتقدر إسرائيل مواقفهم وتثمن دعمهم لأمنها ولاقتصادها ولسياساتها. ولا تبدي اهتماماً بنقاط الخلاف اللاهوتي النابع من حكم «جيوسياسي»، وليس من نظرة لاهوتية لدى المسيحيين الأصوليين ما دام هؤلاء يؤيدون إسرائيل بنشاط وفعالية. ورأت إسرائيل أنها في وضع لا يسمح لها بانتقاء الأصدقاء، ورفض اليد الممدودة لدعمها وتأييدها من أية جهة كانت.

وفي هذا المجال استخلصت الدراسة أن الخلافات بينهما هامشية. وإن رؤيتهما الدينية الغيبية لإسرائيل وللأرض الموعودة لليهود في فلسطين، إضافة إلى ما تتحلى به إسرائيل وحركتها الصهيونية السياسية من ذرائعية كفيلة دوماً بتذليل أو تجميد الخلافات لمصلحة تقوية وتمتين النزعة الصهيونية ضمن الحركة المسيحية الأصولية. **وقد استنتجت الدراسة أن مجمل العلاقات بين الحركة المسيحية الأصولية والحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل مرشحة لمزيد من التعاون والتحالف لعدة اعتبارات:**

أ ـ اعتقاد صهيوني يهودي، وبخاصة في أوساط المثقفين، أن المسائل الاجتماعية التي تطرحها الحركة المسيحية الأصولية لن يُكتب لها النجاح في مجتمع متحرر علماني مثل المجتمع الأمريكي، وبالتالي فإن الحركة الصهيونية اليهودية لم تجعل من هذه المسائل قضية خلافية مع الحركة المسيحية الأصولية.

ب ـ تواجه مسألة تنصير اليهود مقاومة يهودية شعبية، فضلاً عن التحريم الرسمي الإسرائيلي لها. أما مسألة التنصير المستقبلي لليهود بعد العودة الثانية للمسيح، فهي مؤجلة ولا تستدعي الخوض فيها الآن، ما يبطل مفعول دعاوى بعض اليهود المتعصبين، ويزيل قلقهم.

ج ـ طالما تعتبر الحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل أن الدعم المالي والسياسي والعسكري والمعنوي الذي تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل وسياساتها هو عنصر أساسي في حفظ أمنها واستمرار بقائها، فإن من الضروري توفير رأي عام أمريكي مناصر وضاغط بشكل مؤثر ومتواصل على صانع القرار الأمريكي. وبالتالي يصبح اهتمام الصهيونية وإسرائيل بالقوة الصاعدة والمتنامية للمسيحية الأصولية أكثر من مجرد اهتمام لاهوتي أو أكاديمي، ليتعداه إلى مسألة حالة من التكالب لكسب الأصدقاء والحلفاء في الولايات المتحدة الأمريكية عند إسرائيل وحركتها الصهيونية. وهكذا فإنها تجد من غير الممكن استمرار ضمان التأييد الأمريكي الشعبي والرسمي لأهدافها من غير الاستخدام المنظم لتعاطف الأمريكيين من خلال ما توفره الحركة المسيحية الأصولية من مناخ مناسب ومؤيد للوطن القومي لليهود ولرؤيتها النبوئية التوراتية لإسرائيل.

د ـ نظراً لما تبديه الحركة المسيحية الأصولية من فكر ونشاط عملي، يبدو غالباً أكثر تشدداً من صهيونية قطاع غير قليل من يهود الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، فإن إسرائيل لن تبعد اليد التي تمتد لدعم قضاياها فضلاً عن أنها لا تستطيع أن تتحمل مسألة التدقيق في قبول الدعم، بل ستأخذه من أي مكان تستطيع الحصول عليه. ولعل الموقف المتشدد لقادة الحركة المسيحية الأصولية المجتمعين في مؤتمر لهم عقدوه في آب/أغسطس ١٩٨٥ في القاعة نفسها التي عقد فيها أول مؤتمر صهيوني يهودي عام ١٨٩٧ في مدينة بال، في سويسرا، من مسألة تسوية الصراع العربي ـ الإسرائيلي عن طريق مشروع يقضي باستبدال الارض المحتلة في عام ١٩٦٧ بالسلام لهو نموذج لمدى تطرف الصهيونية عند الحركة المسيحية الأصولية. فعندما اعترض أحد الإسرائيليين المشاركين في المؤتمر على قرار بضم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى إسرائيل، **مقترحاً تخفيفه بسبب استطلاعات الرأي في إسرائيل التي تشير إلى أن ثلث الإسرائيليين يرغبون في استبدال الأرض بالسلام، أجابه المتحدث باسم منظمة السفارة المسيحية الدولية ـ القدس، وهو الهولندي المسيحي الأصولي فإن هوفين قائلاً: «لا يهمنا تصويت الإسرائيليين، ما يهمنا هو ما يقوله اللـه، واللـه أعطى هذه الأرض لليهود». عند ذلك تم التصويت على الاقتراع بالإجماع.**

هـ ـ يوجد قاسم مشترك ما بين الفكر المسيحي الأصولي والفكر الصهيوني اليهودي من حيث الاعتقاد بالقوة والسلام طريقاً لتحقيق الأهداف السياسية. فحينما دمرت إسرائيل المفاعل الذري العراقي في حزيران/يونيو ١٩٨١، هنأت الحركة المسيحية الأصولية قادة إسرائيل بهذا الإنجاز وأعلنت عن افتخارها لأن الطائرات التي قامت بالقصف أمريكية الصنع.

و ـ تحقق إسرائيل وحركتها الصهيونية فوائد عديدة من تحالفها مع الحركة المسيحية الأصولية ذات الثقل المادي والشعبي والإعلامي والروحي، والضاغط بشكل منظم وفاعل على صانع القرار السياسي والتشريعي لتحقيق الأهداف الإسرائيلية والصهيونية داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وتشمل الفوائد تحقيق الدعم المالي والعسكري والسياسي المتواصل والمتصاعد والمؤسسي، وكذلك دعم وتأييد السياسة التوسعية والتهويدية في الأراضي العربية المحتلة.

٦ـ إن مخاطر وجود الاتجاهات الصهيونية لدى الحركة المسيحية الأصولية تتعدى المسائل الأكاديمية والفكرية، وتتجاوز حدود الكنائس إلى تطبيق فلسفتها الدينية، ومعتقداتها النبوئية التوراتية على الأحداث السياسية الجارية المتعلقة بالصراع العربي ـ الإسرائيلي، وإن مثل هذه الاتجاهات الصهيونية التي هي وليدة التفسيرات الحرفية للعهد القديم الذي تؤكد فلسفته على إخضاع كل القيم الإنسانية لامتيازات خاصة بجماعة قبلية عنصرية هي «اليهودية». وبالتالي، فإن هذه الاتجاهات هي إنكار لمثل العدل ومحبة الفرد الإنساني الواردة في تعاليم المسيح عليه السلام، في العهد الجديد.

وقد وجدت الدراسة أن النشاطات والاتجاهات الصهيونية لدى الكنيسة الأصولية ومؤسساتها وبرامجها

وأدبياتها المختلفة قد تُرجمت في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تأييد عملي لإسرائيل ولسياساتها. كما وجدت أن الحركة المسيحية الأصولية في ازدياد سواء من حيث العدد أو النفوذ، أو الأنشطة أو الإمكانات. كما يتعمق تأييدها النظري والعملي لإسرائيل.

وتبينت الدراسة أن الاتجاهات الصهيونية دفعت بالكنيسة الأصولية إلى الانخراط السياسي الفعلي في الصراع العربي ـ الإسرائيلي. فعلى ساحة الصراع نفسه، أنشأت منظمات ومكاتب ومحطات تلفزة وإذاعة، واشترت أراضي في فلسطين المحتلة، وموّلت بناء المستوطنات، ودعمت الاقتصاد الإسرائيلي تمويلاً وتسويقاً وسياحة واستثماراً، وخططت ونظمت أنشطة، **وجمعت أموالاً لبناء معبد يهودي يقوم على أرض المسجد الأقصى بعد هدمه**. وقد حاول أحد المتعصبين المسيحيين الأصوليين حرقه، ونظمت المسيحية الأصولية حملة مالية للدفاع عن اليهود المتعصبين الذين حاولوا اقتحام المسجد الأقصى وتخريبه. وحينما نسفت المقاومة الوطنية اللبنانية منشآت محطتي التلفزة والراديو المسيحيتين الأصوليتين الأمريكيتين في جنوب لبنان، تأكدت حقيقة كون الحركة المسيحية الأصولية جزءاً من الطرف الإسرائيلي في الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وفي الساحة الأمريكية، استنتجت الدراسة أن دور الحركة المسيحية الأصولية، باتجاهاتها الصهيونية وبإمكاناتها المادية والبشرية، وبنفوذها الروحي والسياسي، وبقدراتها المنظمة، قد أثرت بشكل أساسي في الموقف الأمريكي الرسمي والشعبي المتحيز لإسرائيل، ودفعت بالعلاقة الأمريكية ـ الإسرائيلية لتكون علاقة خاصة مميزة قائمة على التزام أدبي أو أخلاقي لا مثيل له بين الولايات المتحدة الأمريكية وأية دولة أخرى صديقة لها.

دور الأصوليات في إعاقة السلام (*)

ميشال سبع (**)

(١)

عندما بدأت محاكم التفتيش تتعاظم في نهاية القرن السادس عشر اصطدمت بغاليليو وكوبرنيكوس، فظهرت نتوءاتها، وبانت عظام شيخوختها بشكل أن نيوتن تجاوزها من دون أن تستطيع تجاوزه.

لقد طرق العلم باب اللاهوت فأحدث فيه نزفاً، وسرعان ما حاول ديكارت أن يرمم الأمر بالاستعانة بأرسطو كي يضع أسساً للبقية من خلال أسسه العقلانية للإيمان المسيحي. وقد استطاع أرسطو في غيبوبة أن يعطي كنزه للمسيحية التي احتضنته وما زالت تناضل به كسلاح أمام العلم حتى القرون الحديثة.

لقد أدى ظهور القومية إلى نوع من إيمان جديد حاولت الكنيسة استيعابه بحيث تصبح الوطنية سياجاً للدولة الدينية، لكنها لم تنجح كثيراً فسقطت تحت أقدام الغوغاء في الثورة الفرنسية. ولكنها سرعان ما التقطت أنفاسها، وأعادت الكرة، فجمدت انهيارها، ولو على غير قناعاتها، كما حدث مع الرايخ الذي وضع الصليب على شارته، لكنه بات صليباً معقوفاً.

وفي كل الثورات التي أعقبت الثورة الشيوعية بعيد الحرب الكونية الأولى، ظهرت مساحة جديدة لواقع قومي يرفض الهيمنة الدينية، ويطرح شعار الدولة الوطنية أو الدولة القومية على امتداد الساحة الأوروبية. فانكفأ الدينيون إلى الغرب المتغرب؛ أي إلى الولايات المتحدة الأميركية التي راحت تعمل جهدها بكنائس محلية نامية كالفطريات تكرس التكنولوجيا آلهة صغيرة تتحرك ضمن إطار مهيمن في شكلين: الشركات والإعلام.

ولأن التكنولوجيا صعدت بقوة صاروخية، والإنسان المتغرب لم يكن ربيب حضارة تاريخية، فقد استعان بعودة سلفية وردّة دينية لا تخلو من غلو في الخرافات والبدع، بحيث صار الدين مجرد طوائف غربية قد تحمل اسم المسيح ولا علاقة للمسيح بها، أو لا ترى به سوى بطل من أبطال التاريخ، أو تحمل المسيحية ما لا تحمل، أو يستغلها أصحاب المشاريع السياسية كالصهاينة مثلاً، فيجعلون من المسيحية مجرد تبشير وتأكيد لليهودية العنصرية.

ويمكن تعداد مجموعة من الصور السلفية للمسيحية الغربية:

أولاً: المشيخات أو الكنائس الإنجيلية، وهذه خصصت لاستغلال كبير في انتحال اسمها، بحيث إنه صار من الصعب معرفة الكنيسة الصح من الكنيسة المنحلة. وقد أصدرت الكنائس المشيخية والكنائس الإنجيلية أكثر من مرة نشرات تحذر المؤمنين من الوقوع في مطبة انتحال الاسم، وتغيير الفعل والمعتقد.

ثانياً: المجموعات المسيحية المتهودة، كشهود يهوه ومشتقاتهم. هؤلاء باسم المسيح والدعوة له يمزقون الإيمان

(*) نشرت في «السفير» في ٨/٩/٢٠٠٧.

(**) الأب الدكتور ميشال سبع من كهنة أبرشية بيروت للروم الكاثوليك، متخصّص في علم اجتماع العالم العربي، تخرّج في جامعة بوردو. وهو أستاذ جامعي له مؤلفات في الفلسفة الاجتماعية والتربية.

المسيحي ليدخلوا الفكر الصهيوني في عقول الناس. وعندما تصعب عليهم الأمور يلجأون إلى الشركات والإعلام، فيدفعون عن المريض فواتيره، وعن الطالب قسطه، ويؤمنون عملاً من أجل أن يشتروا نفوساً وعقولا كأنهم يأخذون مسرحية فاوست، ويلعبون دور الشيطان الشاري روحَ عالمه.

ثالثاً: الطوائف العلمية والخرافية، حيث يتداخل العلم بأقصى درجاته مع الخرافة بأحط مداركها. وقد سجلت الأبحاث في أكثر من بلد أميركي وأوروبي قصصاً عن مجموعات من العلماء في الكومبيوتر والبرمجة انتحروا لأن عام الالفين سوف ينهي الكون، أو لانهم ارادوا الدخول في عالم الأجرام الأخرى التي رأوها في حساباتهم العلمية. وهذه الطوائف لا تخلو من معتقدات مسيحية وغير مسيحية مبعثرة في أذهان مريديها.

رابعاً: المسيحية الغربية الآسيوية، حيث تقوم مجموعات مسيحية بربط الفواصل والجوامع بين الآيات وكلمات كونفوشيوس، أو بوذا، وإيجاد مسيحية صوفية تستطيع أن تتعامل مع العصر العلمي الحديث. ولعل هذه نتائج متأخرة للمحاولات التي قام بها اليسوعيون ذات يوم في الصين والهند من أجل إيجاد مسيحية آسيوية بعدما صارت المسيحية الشرق أوسطية أصلاً غربية فعلاً.

خامساً: السلفية الكاثوليكية، وهذه لم تنبثق فجأة، وإنما هي محاولات مثمرة عبر التاريخ للتعلق بالبابوية كطوق نجاة أمام طوفان الكنائس المتبدلة. وهذه السلفية تعتمد اللغة اللاتينية أساساً في القداس، وترفض أي تواجدات للكنائس المحلية، وتعتبر أن لا خلاص خارج روما قولاً وفعلاً.

(٢)

أمام هذه السلفيات المسيحية قامت سلفية يهودية تحت اسم الدولة الصهيونية شعارها العودة إلى جغرافية موسى، وبالتالي تهويد القدس، وإعادة إعمار هيكل أورشليم ـ هيكل سليمان ـ وتكريس الاحتلال للأرض الفلسطينية تحت شعار أن الارض هذه هي لليهود التاريخيين. ولعل هذه السلفية كانت الأقوى أمام كل السلفيات المسيحية، لا بل استطاعت أن تستقطب بعضها لصالحها. وإذا كانت السلفيات المسيحية تضر بأفرادها وبنفسها، فإن السلفية اليهودية المصهينة قد أضرت بالشعوب الأخرى، وخصوصاً الشعوب العربية. وما زالت هذه الشعوب تدفع ثمناً باهظاً منذ خمسين عاماً لقيام دولة إسرائيل العنصرية.

الدولة اليهودية في تراتبيتها السياسية بدأت **بعهد القضاة**، حيث إن العشائر اليهودية كانت تتصارع في ما بينها، لذا كانت تتفق في ما بينها على قاض يكون هو الحاكم والقائد العسكري لجميع العشائر. ومن أهم قضاتهم (دبورة) (القضاة ٥) الشاعرة و(ابيمالك) الذي قضى على إخوته واحتكر الملك، وعندما شجت رأسه امرأة طلب من خادمه أن يقتله حتى لا يقال إن امرأة قتلت ملكاً (القضاة ٩). وشمشون الجبار وقصته مع دليلة معروفة (القضاة ١٣).

وقد تجاوز حكم القضاة ثلاثة قرون كان أكثرهم أعماراً هود بن بنيامين (٨٠ عاماً)، وأقلهم ابيمالك بن جدعون (٣ سنوات) (راجع د. المراغي، **أشعيا نبي بني إسرائيل**، دار العلوم، صفحة ١٦).

ولقد انتقل اليهود من نظام القضاة إلى **نظام الملكية** بعدما وجدوا أن أقواماً غيرهم عليهم ملوك يسوسونهم فطلبوا من (صموئيل النبي) أن يختار ملكاً لهم، فاختار شاؤول (صموئيل الاول ٨). ولعل من أهم ميزات هذا الاختيار أن الملك كان أطول من كل الشعب (صموئيل الاول ١٣).

إن الشعب الذي كانت تحكمه عقدة اختياره ظل حتى في فترة الملك هذه ينحاز إلى الذي يمثل صوت (يهوه). لذا، فقد سقط شاؤول عندما تجاوز (صموئيل النبي) لما جعل النبي يشجع صهر الملك ويدعمه من أجل الوصول إلى الحكم مكان عمه. وهكذا كان، فقد انتصر داؤود، وملك مكان شاؤول.

وداؤود هو المؤسس للمملكة اليهودية. وتكمن قوته في أنه تعامل مع القضية الدينية كأساس جامع للشعب اليهودي، فكان أول ما فعله هو إعادة تابوت العهد (صموئيل الاول ٩). ومن ثم عهد إلى تثبيت ملكه بجعله وراثياً، فكان سليمان الذي أكد سياسة والده، فبنى الهيكل الذي سمي باسمه، والذي بناه له حيرام ملك صور (الأيام الأول ١٣).

إن فترة سليمان جديرة بالاهتمام، لأنها تلقي أضواء كثيرة على نظرة اليهودية للتعامل مع البلاد الأخرى، فسليمان أراد السلام مع الآخرين من أجل تعزيز حكمه، والسيطرة على بعض الطرق التجارية، فأقام علاقات مع ملكة سبأ، وعزز علاقاته بملك صور، وصاهر عدة ملوك أهمهم نبوخذ نصر، حيث كان الزواج وسيلة للسيطرة على قبيلة أو شعب حتى بلغت نساؤه سبعمئة (الملوك الاول ١١).

إن الإنفتاح السليماني هذا ترتب عليه تفاعل بين العبادات أيضاً، فالمهارات الفنية التي أتت من صور مع مهندس البناء الأعظم حيرام حملت معها معتقداتها. وكان من الطبيعي أن يتأثر بها العمال اليهود الذين لم يكونوا يصلحون لأكثر من قطع الاخشاب وحملها. وهذا ما جعلهم يرون في الوافدين عليهم أفكاراً غيرت الكثير من إيمانياتهم بإلههم يهوه.

كذلك فإن مصاهرة سليمان جعلته يكثر من إظهار كرمه أمام نسائه من أجل إظهار عظمته أمام القبائل، فصارت مصاريف بيته أكثر مما يتحمله شعبه، فطعامه مثلاً كان كل يوم ثلاثين كراً من السميد، وستين كراً من الدقيق، وعشرة ثيران مسمنة، وعشرين ثوراً من المراعي، ومئة خروف، عدا الأيائل والظباء واليمامير والإوز المسمن (الملوك الاول ٤).

لكن الأهم من هذا أنه سمح لنسائه بإقامة معابد خاصة لهن، وبالتالي دخلت عبادة الآلهة مع عبادة يهوه، ما جعل اليهود يشركون بإلههم آلهة أخرى.

إن الانقسام الذي حصل في مملكة اليهود بعد سليمان مرده إلى الضعف الذي أصاب اليهود في بنيتهم الدينية (الأيام الأول ١٥) وجعل مملكة الشمال تنفصل عن مملكة الجنوب.

إن رواية العهد القديم تركز كثيراً على ناحية الترابط بين الدين والأخلاق (يهوه)، وبالتالي فإن أي لحمة سياسية خارجة أو منفصلة عن اللحمة الدينية حول عبادة (يهوه) إنما مآلها هو التفتت. وهذا ما حدث لمملكة الشمال حين أنهاها شلمانصر ملك آشور عام ٧٢٢ ق.م. كما سقطت المملكة الجنوبية بيد نبوخذ نصر ملك بابل عام ٥٨٦ قبل الميلاد.

إن ضعف الملوك وعدم مقدرتهم على الثبات أمام القوات الغازية أعادا قوة رجال الدين ممثلة بالأنبياء المعارضين وعلى رأسهم إيليا (الملوك الأول ١١).

إن مفهوم النبي كان عبارة عن إنسان يأخذ أوامره من اللـه مباشرة دون المرور بالكاهن أو الملك، وهذا ما جعله بطلاً غرائبياً يخيف الملك والشعب على حد سواء. لكنه في كل الأحوال فهو يمثل الجانب الديني على حساب الجانب السياسي. ويؤكد أن نخبوية الشعب اليهودي هي قرار إلهي، وليس قوة عسكرية أو سياسية. وهذا تأكيد على أن الشعب وجد بإرادة إلهية (ابراهيم) وتحرر بيد (موسى) وأصبح قوة ومملكة بواسطة الأنبياء، وما الملوك إلا أتباع لهم.

الدولة اليهودية اليوم ليست منفصلة ولا كثيرة التغاير عن الماضي، وهي ترى في لحمتها الدينية أساساً وجوهراً. أوَلم تكن الدعوة الصهيونية في منطلقاتها المعاصرة مرتكزة بشكل أساسي على الانتماء الديني؟ وهل الاضطهاد بحسب كل الروايات اليهودية إلا نتيجة الإيمان بإله الأجداد؟ أوَلم يكن الاستيلاء على فلسطين إلا تحقيقاً لوعد الهي؟

إن ما جرى في الماضي لن يسمح له اليهود بأن يجري في المستقبل. ولن يكون هناك نبي آخر. إن هدم بابل الجديدة انتقام للماضي لا بد منه. وضرب كل احتمال لقوة عسكرية أو مدنية أو سياسية قائمة هو في أساس الاستراتيجية اليهودية. لقد تخلى اليهود عن الدفاع واستبدلوه بالهجوم وتبنوا نظرية أن الهجوم هو أفضل وسائل الدفاع.

وإذا كانت هذه سياستهم العسكرية فما هي سياستهم السلامية؟

لقد دخل (الغرباء) أرضهم مهندسين وعالمين، فانخدع بهم الشعب البسيط الساذج، لذا فإن أي تعامل بين اليهود والآخرين سنراه معكوساً؛ أي أن كل علاقة تجارية أو صناعية أو معمارية بين اليهودي وغيره يجب أن يكون فيها اليهودي هو المعلم والتقني، والآخرون هم العمال لديه.

لقد حصل اليهود على شيء من هذا، فالفلسطينيون يعملون عندهم، وكذلك لبنانيو الشريط الحدودي. وما دام اللبنانيون والفلسطينيون مجرد عمال عندهم وهم أرباب العمل فلا بأس. **ولا يظنن أحد من العرب أنه سيكون مسؤولاً أو في موقع المسؤولية في أي شركة ستنشأ بين اليهود والعرب.**

إن منطق الحفاظ على الأولية والرئاسة ضرورة دينية عند اليهود، ولا يمكن ليهودي مصطفى من عند اللـه أن يصبح تحت يد غريب.

إن السلام الإسرائيلي من منطلق الدين اليهودي في المفهوم الكهنوتي هو الذي يجعل الآخرين يخضعون لليهود ولا يتمردون عليهم.

إن الملوكية اليهودية لا يمكن إلا أن تكون كهنوتية، والكهنوتيون هم الحمائم، لذا فإن النبويين يتجاوزونهم إذا لم يكونوا على قدر من القوة يسمح لهم بإركاع الآخرين وهم يتمسكون بالصقور.

وتتقاسم الأدوار بين نبي الداخل والخارج.

فبقدر ما تسعى الحمائم لعقد سلام مع الجيران العرب يكون لمصلحة اسرائيل، يسعى الصقور من أجل إبقاء جذوة النخبة والتفوق في أذهان اليهود من أجل التعامل بسيطرة وفوقية مع الآخرين.

إن الإيمان اليهودي المرتكز على وعد اللـه يجعلهم متأكدين من أنهم سوف يمتلكون معظم أراضي العرب.

«ادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى الفرات ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم (تثنية ١).

إنهم مستعدون لامتلاكها على كل حال، فإن خضعت بالسلام كان ذلك أفضل من الحرب، فالسلام في هذا المعنى هو الخضوع دون قتال، وليس تكافؤاً أو مساواة.

اليهود لا يقبلون العلاقات المتوازية، فعندما عرض حمور الحوري على يعقوب المصاهرة والعيش معاً في الأرض قبل ظاهراً ورفض باطناً (تكوين ٣٤). إنه يريد أن يملك وهذا ما حدث. إذا كان يستطيع أن يمتلك الأرض والناس فلماذا يقبل بالعيش المشترك، وإذا كان يستطيع أن يكون عليهم فلماذا يكون معهم؟

إن السلام الإسرائيلي اليهودي يتمثل بهذه المقولة على لسانهم: سلامنا الذي نقدمه إليك هو أن تخضع لنا. نحن أصفياء اللـه، ويكفيك شرفاً أن تخدمنا لأنك بخدمتك لنا تكون قد خدمت اللـه.

(٣)

أما في **الإسلام**، فيعتبر الدكتور محمد عمارة أن السلفية هي تجديد لعقائد الإسلام في العصر العثماني، حيث أراد أتباعها تنقية الإسلام من الشعوذة والخرافة. من **هذه الحركات الحركة الوهابية التي وضعت القرشية شرطاً للخلافة ما يؤكد عروبة الإسلام، والسنوسية التي مزجت بين السلفية والصوفية، والمهدية التي اعتبرت أن الترك لا يطهرهم إلا السيف. بعدها تأتي حركة الإخوان المسلمين على يد حسن البنا التي افتقدت العقلانية بعكس تيار الجامعة العربية عند الأفغاني وعبده حيث اعتبر حسن البنا أن الإسلام لا هو قومية ولا عالمية بل أخوة إسلامية. واعتبر أن القومية العربية هي أعنف حرب على الإسلام والعروبة.**

وعندما قتل حسن البنا على أيدي رجال الملك فاروق عام ١٩٤٩ حاول من بعده الإخوان، وخصوصاً سيد قطب قبل أن يعدمه عبد الناصر عام ١٩٦٦ في كتابه **معالم في الطريق**، أن يبينوا فلسفتهم وهي ترتكز على ما يلي:

أولاً: إفلاس القيم في كل البشرية، وسقوط الأنظمة السياسية نتيجة هذا الإفلاس، الديموقراطية والاشتراكية والشيوعية. ومن ثم تبع هذا الشعب الأنظمة الفردية والجماعية.

ثانياً: الإسلام هو الخلاص، ولا يمكن لهذا الخلاص إلا أن يتمثل في أمة وهي الأمة الإسلامية.

ثالثاً: هذه الأمة الإسلامية ليست أرضاً كان يعيش فيها الإسلام، ولا أقواماً كان أجدادهم في عصر من عصور التاريخ

يعيشون بالنظام الإسلامي، إنما الأمة المسلمة جماعة من البشر تنبت حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من المنهج الإسلامي وهذه الأمة بهذه المواصفات قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة اللـه من فوق ظهر الارض.

رابعاً: العالم اليوم **يعيش جاهلية تعتدي** على سلطان اللـه في الأرض وعلى أخص خصائص الألوهية؛ وهي **الحاكمية** تسند إلى بشر يعتدون على سلطان اللـه وعباده.

خامساً: الحكم الإسلامي وحده بقوة الإخوان المسلمين يمكن أن يمارس **حاكمية اللـه.** وقد شرح سيد قطب في كتابه الآخر **الحضارة هي الإسلام** أن الإسلام لا يعرف سوى نوعين من المجتمعات، مجتمع جاهلي هو كل المجتمعات غير الحكم الإسلامي، والمجتمع الإسلامي (الإخواني). وهذا المجتمع الاخير يعني قيام مملكة اللـه في الارض وإزالة مملكة البشر، لذا التزم مصيرياً وعضوياً المصحف والسيف.

لقد قام أحد الإخوان، وهو شكري مصطفى، بتطوير السيف إلى حركة التكفير والهجرة، حيث هجر المجتمع، وأعلن أن العالم حرام، لأنه لم ينشأ نشأة إلهية، والأمية هي الأمل، واعتبر أن كل عمل في الوظيفة العامة هو ضد الإسلام.

أما جماعة الجهاد، وهي فرقة أخرى من الإخوان، فقد قامت باغتيال الرئيس أنور السادات تحقيقاً لكتاب **الفريضة الغائبة** الذي وضعه المهندس محمد عبد السلام فرج في مصر، ونفذه الملازم أول خالد الإسلامبولي. (مراجعة كتاب **التطرف الديني في مصر**، لجيلبير كيبل).

وإذا كان يمكنك الحديث عن قطب أساسي لحركة الأصولية الإسلامية في إيران ـ الخميني ومصر ـ حسن البنا، وتونس ـ راشد الغنوشي، والسودان ـ حسن الترابي، والجزائر ـ عباسي مدني، إلا أنه في تركيا يصعب ذلك.

لقد تأسست الدولة العثمانية على اسم الإسلام، وباسمه توسعت وتمددت واحتكرت الخلافة ولو عن غير حق تاريخي. وفي عام ١٩٢٣ أعلن أتاتورك الجمهورية، وحاول إنهاء الحضور الإسلامي من أساسه. ألغى الخلافة والنصوص الدينية من الدستور، كما ألغى الدلائل الدينية كالحجاب والطربوش والابجدية العربية والتقويم الهجري وعطلة الجمعة.

وقد استطاع خليفته عصمت إينونو أن يحصن العلمانية ضد التيارات الإسلامية، لكن نجاح عدنان مندريس في انتخابات ١٩٥٠ أعاد الوهج إلى الدعوة الإسلامية السياسية، خصوصاً عام ١٩٦٩ عندما فاز نجم الدين أربكان على كرسي (قونيه) وأسس أول حزب إسلامي سياسي هو «حزب النظام الوطني».

وعندما تحول أربكان إلى «حزب السلامة الوطني» استطاع حشد مئة الف شخص عام ١٩٨٠ ينادون بقيام دولة إسلامية. واستطاع أوزال أن يكون أول رئيس حكومة تركي يؤدي مناسك الحج، ويشارك بصلاة الجمعة، كما أن وزراءه اقتدوا به، فمنع وزير التربية تدريس نظرية داروين، وأمر الفتيات بلباس أكثر حشمة في الاستعراضات، ومنع إعلانات المشروبات الكحولية في التلفزيون..إلخ.

إن قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ أعطى التيار الأصولي في تركيا زخماً كبيراً، كذلك ساعد هذا التيار انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفياتي. وقد تبلور النشاط الإسلامي في إنشاء «حزب الرفاه» عام ١٩٨٣ بقيادة أحمد تكدال، ومن ثم عاد بقيادة أربكان ابتداء من عام ١٩٨٧.

إن انتفاء صورة رجل الدين عن زعامات «الرفاه» سهل نشاطه، وساعد في إفهام الناس برنامجه الذي أطلق عليه اسم النظام العادل. وهو نظام يستند إلى الحق لا إلى القوة. ويشرح فيلسوف هذه النظرة سليمان قره غوللـه فيقول: في العالم نظرتان: نظرة القوي ونظرة الضعيف. القوي يسود فيها ويجب أن يحمي الضعيف. ومقابل نظرة القوة التي تتوسل الانتخابات صيغة متطورة لسيطرته، هناك نظرة الرسالات السماوية، وهو نظام يستند إلى الحق. يعني هناك نظامان:

واحد يستند إلى القوة والاحتكار والقانون المركزي. وآخر يستند إلى الحق ونظام الاجتهاد. لذلك كان هدف الرفاه إنهاء علمانية أتاتورك والعودة إلى نظام الشريعة الإسلامية. (للمزيد مراجعة كتاب **قبعة وعمامة**، لمحمد نور الدين).

الأصولية التركية لم تستطع النجاح أمام قوة العسكريين الذين تصدوا لها بقوة، وحافظوا على النظام بحيث شكلوا سداً منيعاً أمام أي محاولة جدية لاستلام الإسلاميين الحكم. **إلا أن ذلك السد سقط أخيراً أمام تسلم غول الرئاسة.**

(٤)

عموماً للأيديولوجيا الدينية أن تكون مرقاة للإنسان، ودافعاً أساسياً في تعامله مع الآخر على أساس التعاون وبناء المجتمع. وإذا كانت الحضارة هي نتيجة قمع الإنسان لغرائزه في بعض جوانبها، إلا أنها في جوانبها الاخرى حصيلة تعاون بين الأفراد في سبيل رفاهية الجماعة. إنما هذا يتطلب من الأيديولوجيا أن تكون إيجابية الجانب لا تقوم على الاصطفائية وإنهاء الغيرية.

اليهودية والمسيحية والإسلام تدعو إلى التعاون، لكن هذا التعاون لا يخلو من الاصطفائية. ولعل اليهودية هي أكثر الأديان الثلاثة القائمة على هذه الاصطفائية لدرجة الانغلاق. فالمرء لا يمكن أن يتهود، بل يولد يهودياً، في حين أن المسيحية مسحنت الآخرين تارة بالتبشير وبالكلمة والمعمودية، وتارة بإغراء العلم والمال والقوة العسكرية. وكذلك فعل الإسلام تحت شعار الفتح والجهاد. الأصولية في الأديان الثلاثة أخذت الاصطفائية حداً نهائياً لها.

المسيحية وصلت في الايديولوجيا المعتدلة إلى أن تعترف بإيمانيات الآخر وقبول الآخر، وكذلك فعل الإسلام في حواراته مع الآخرين. أما الأصولية المسيحية فهي التي ما زالت لا ترى خلاصاً خارج روما أو خارج التعاليم المسيحية، في حين أن الاصولية الإسلامية اعتبرت أن كل عدل إنما هو عدل الإسلام، وكل صلاح هو صلاح الدين الإسلامي.

وهنا تلتقي الأصوليات اليهودية والمسيحية والإسلامية في حين أن واقع الأيديولوجيا الدينية العامة يختلف، بحيث إن الإسلام والمسيحية يمكنهما التلاقي، في حين أن هذا التلاقي يستحيل مع اليهودية.

الأصولية الدينية تؤثر في الفرد سلباً في محيطه الاجتماعي، وفي كونيته، بحيث تنزعه من عالم الانفتاح إلى عالم الانغلاق. وتمنع على الحضارة تعدديتها وشموليتها بحيث تحصرها ضمن إطار المنطق الاحادي الجانب السلبي. وبالتالي، يصبح الأصولي رافضاً أي علامات لحضارة لا تدخل ضمن مفاهيمه الدينية المغلقة. فلا يمكن للأصولي اليهودي أن يرى عالماً لا تحكمه الصهيونية، ولا يمكن للمسلم الأصولي أن يرى عالماً لا يسوده الإسلام وشريعة الله وحكمه. ولا يمكن للمسيحي أيضاً الأصولي أن يرى خلاصاً للبشرية خارج الإيمان بالمسيح. هذه الرؤية المغلقة تجعل الفرد الأصولي يتوخى شراً من الآخر، وتجعله منافقاً في تعاطيه: وبسمة مصطنعة، وشراكة آنية، ووطنية مشكوك فيها إلا إذا كانت قائمة على رباط الأخوة الدينية.

كل دين يدعو إلى التلاقي الإنساني لا يمكنه أن يكون أصولياً، ولا يقبل الأصولية لأنها تتعارض مع دعوته. لذا كانت المعركة ضد الأصوليين إنما هي أولاً وأساساً تبدأ من معركة بين الدين في وجهه الإيجابي ضد الدين في وجهه السلبي.

فلا يمكن لمسلم أن يتلاقى مع مسيحي إلا إذا تحرر المسيحي من أصوليته، والمسلم من أصوليته. وبالتالي لا يمكن أن تقوم علاقة حقيقية إلا بالوصول إلى قناعة راسخة في الذهن بإلغاء الاصطفائية، وإنهاء مقولة زيادة عدد المؤمنين والحلم بالدولة الدينية. **لا أحد يمكنه أن يصدق أن باراك الصهيوني ينادي بالسلام العادل وهو يتمسك بأبدية القدس كعاصمة يهودية. ولا أحد يصدق أربكان أنه يريد أن يكون مع الاوروبيين وهو ينادي بالسوق الإسلامية. ولا أحد يصدق واحداً من شهود يهوه ينادي بالمحبة والأخوة وهو يرى الشيطان في كل آخر لم يؤمن بمقولته.**

في لبنان دعوة نحو الحوار والتعايش وأخبار عن قرب السلام الشامل. من أجل أن تكون الارضية مؤهلة لذلك على المسيحيين إلغاء الفكر الأصولي من الزوايا والخبايا وتجريد رجال الدين الأصوليين من إمكانية غزو الأهلين.

وعلى المسلمين إنهاء المعالم الإسلامية للشأن الوطني العام، فلا يجوز الحديث عن إسلامية القدس أو إسلامية المقاومة أو إسلامية بيروت.

ومن العبث بمكان مجرد التفكير أن السلام الأمني مع إسرائيل يمكنه أن يوصل إلى تعايش معها لأنها إذ تلغي أصوليتها تلغي ذاتها.

المسيحيّون المشرقيّون لا أُصوليّة لديهم (*)

غريغوار حداد (**)
وانطوان ضو (***)

غريغوار حداد:
أصالة مسيحية..لا أصولية بوجهها السلبي

○ **كيف نشأت الأصولية المسيحية؟ وما هي أهم مظاهرها؟**

●الأصولية لها معان مختلفة، فمعناها كـ«إيمان الملتزم» موجود مع المسيحيين الأوائل الذين كان لديهم الإيمان القوي والمستمر. وهذه تعتبر أصالة. فالأصالة شيء والأصولية شيء آخر. الأصولية ترفض الآخر، حيث أعتبر أنني وحدي على حق، أما الآخرون فلا، وهذه هي الأصولية بوجهها السلبي.

لقد ظهرت الأصولية في العديد من المرات، لكنها لم تكن يوماً من أساس المسيحية، كإيمان مسيحي. وكانت مرفوضة في أكثر الأيام من قبل المؤمنين الملتزمين فعلياً. لكن الأصولية موجودة اليوم لسوء الحظ كما طرحها بوش الذي اعتبر أن العالم مقسوم إلى قسمين: قسم من المؤمنين الملتزمين، وقسم ثان مرفوض بنظره، ويتكون من غير الملتزمين. وهذا التوجه لا يزال موجوداً في الولايات المتحدة الأميركية لسوء الحظ مع أن بوش نفسه لم يعد موجوداً كرئيس. لا يوجد الكثير ممن يتحدثون بها، فهي بعيدة عن المسيحية الحقيقية.. **المسيحية الحقيقية التي تقول لا إله إلا اللــه وأن المسيح للجميع، وليس للمسيحيين فقط. وهو ابن اللــه للإنسانية جمعاء. وهذه المسيحية موجودة أينما كان، لكنها لم يعد لديها تنظيم لتعمم. وهذه هي المسيحية الحقيقية.**

لذلك أفضل الحديث عن الأصالة المسيحية، وليس عن الأصولية، فالأصالة أصلها المسيح الموجود في كل زمان ومكان، فهو ابن اللــه، وكما جاء في إنجيل يوحنا في البدء كان الكلمة والكلمة هي اللــه الكلمة صارت جسداً حل فينا، وسكن بيننا. وهذه المسيحية للجميع، لذلك يجب إلغاء الأصولية التي يجب أن تكون ممنوعة منعاً باتاً. ويجب نسيانها كلياً من اللغة المسيحية، لكن الالتزام بالمسيح هو التزام بالإنسان.. هذا المسيح لا يزال موجوداً في العالم كله. في أميركا الجنوبية هناك تيار نوعاً ما لديه إيمان مسيحي حقيقي يؤمن بأن المسيح هو لأجل الفقراء وليس لأجل الأغنياء فقط، فهو لأجل الإنسان الضعيف كما يقول: كنت جائعاً فأطعمتموني، وعطشاناً فسقيتموني، ومريضاً فزرتموني.. هذه هي المسيحية الحقيقية، لكنها غير منظمة.. وربما نعود إليها يوماً ما، ونعيدها إلى ما كانت عليه.

(*) عنوان لحوارين أجراهما لـ«معلومات» د. علي شكر مع المطران غريغوار حداد في١٣/٦/٢٠١٢، والأب الدكتور انطوان ضو في ١٥/٦/٢٠١٢.

(**) من أساقفة الكاثوليك اللبنانيين. تميز بطروحاته العميقة على صعيدي الإيمان والالتزام الاجتماعي بالعدالة.

(***) الأمين العام للجنة الأسقفية للحوار المسيحي ـ الإسلامي.

في لبنان لسوء الحظ فقد الكثير من المسيحيين إيمانهم الحقيقي، وصاروا طائفيين ومذهبيين. لم يعودوا مسيحيين أصيلين. صار لديهم العنف المسيحي، العنف المسيحي هو ضد المسيح أولاً، فهو يقول: باركوا لاعنيكم وأحبوا أعداءكم.. يعني ذلك أن لا أحد مرفوض لديه. وأعتقد أنها ستعود إلى أصلها يوماً ما. نجد في المقابل العديد من الأفراد وليس التيارات ممن يؤمنون بالمسيحية الحقيقية، وهم يلتقون من وقت لآخر كأفراد، لكنهم لم ينظموا أنفسهم كتيار يتكلم عن المسيح الحقيقي. آمل أن يتحولوا إلى تعميم التجربة وإيجاد تيار.

○ **ما هي أبرز تجليات الأصولية؟**

● ظهرت الأصولية بشكل واضح في أسبانيا خلال العصور الوسطى مع إنشاء محاكم التفتيش. لقد جرّبت تلك المحاكم إلغاء إمكانية وجود غير المسيحيين، حيث كانت أسبانيا لا تزال تحت الاحتلال العربي الإسلامي، وسعت إلى تحرير المسيحيين من هذا الاحتلال، وإعادتهم إلى المسيحية الحقيقية، فأجبر جميع من كان يعيش فيها على اعتناق المسيحية، أو ترك البلاد، أو القتل.. فهذه أهم مظاهر الأصولية المسيحية.

في إيرلندا أيضاً عندما حصل الانقسام بين الكاثوليك والبروتستانت، فصار كل حزب بما لديهم فرحون كما يقول القرآن الكريم، صاروا يقتلون بعضهم بعضاً ليلغي كل منهم وجود الآخر. الآن لم تعد هذه الحالات موجودة مع دخول هذه الدول إلى الاتحاد الأوروبي.

○ **كيف يمكن مواجهة الأصولية اليوم؟**

● من الصعب اليوم عودة الأصولية على هذا النحو. نحن في لبنان نعمل عبر تيار المجتمع المدني الذي يبشر بالعلمانية الشاملة، وهي فيها نوع من التفكير الذي يسعى لتحرير المسيحية من السياسة المتزمتة. والحديث اليوم الرائج في كثير من الدول هو عن الديمقراطية والمدنية. نحن نسعى لذلك، ونأمل أن تكبر هذه التجربة مع الوقت وتشمل المسلمين والمسيحيين على السواء، فالتزمت موجود لدى المسيحيين وكذلك لدى المسلمين. وهناك تيار إسلامي متزمت يرفض القبول بالاختلاف.

في الإسلام ـ كما في المسيحية ـ نجد هناك تيارات منفتحة نأمل التقاءها مع الوقت لخلق أصالة إسلامية – مسيحية.

○ **هل تمكنت الأصولية من السيطرة على الحكم؟**

● في لبنان المسيحيون الطائفيون المتزمتون يجربون إعادة الحكم إلى أيديهم، وهذا لن يحصل إن شاء اللـه.

○ **ما هو موقف الفاتيكان من الأصولية؟**

● هناك إضاءة مهمة جداً في المجمع الفاتيكاني الثاني الذي شهد انفتاحاً وتحولاً.. بعد أن كان المجمع الأول يقول بأن لا خلاص إلا للمسيحيين جاء المجمع الثاني ليقول بخلاص الإنسان بحسب إيمانه ودينه. وجد هذا التوجّه إقبالاً في أميركا الجنوبية التي وجد فيها تيار يعتنق أو يؤمن بنتائج المجمع الثاني، لكنه للأسف لم ينتشر كثيراً.. لكن بقيت أميركا الشمالية تعتنق فكر المجمع الفاتيكاني الأول. وظهر ذلك بخاصة مع بوش الابن.. لكن العودة إلى الإيمان الأساسي والأصيل لا بد من أن تحصل في يوم ما. المطلوب لمواجهة الأصولية العودة إلى الإيمان المسيحي الأصلي والإسلامي الأصلي لدى كل من المسيحيين والمسلمين.

○ **ما هي قضية «شهود يهوه»؟ وهل ترتبط بالأصولية المسيحية؟**

● «شهود يهوه» نوع من الانحراف الإيماني المسيحي، فهم يعتبرون أنفسهم مسيحيين، ولكنهم ليسوا كذلك. هم مهرطقون، ولا يعتبرون المسيح إلهاً بل إنسان. هناك كثير من الشيع في المسيحية، لكن «شهود يهوه» لا يعتبرون مسيحيين. إنهم يسعون للتاثير في المسيحيين المؤمنين لتغيير إيمانهم، لكن تأثيرهم قد خف كثيراً. وهم يسعون لأن يتنبأوا بنهاية العالم، فهم تنبأوا بذلك في عام ١٩١٤ لكنه لم ينته! هم بعد ذلك تنبأوا مرات عدة، لكن هذه التنبؤات لم تصح.

انطوان ضو:
الأصولية المسيحية كما يطرحها العالم السياسي اليوم تخويف من الإسلام

○ **ما هي ظروف نشأة الأصولية المسيحية؟ وكيف تبلورت؟**

● الأصولية المسيحية هي من صنع الغرب، وبخاصة من صنع العالم البروتستانتي، إذ إنها حركة سياسية تهدف إلى خدمة الصهيونية وإلى كل فكر عنصري. هذه الأصولية شوهت معنى المسيحية، وعطلت رسالتها وانعكست على المسيحيين المشرقيين سلباً، فالمسيحيون الشرقيون لا أصولية لديهم. تجربتهم مع الإسلام منذ ١٤٠٠ سنة برهنت على أنهم يحترمون الأديان والثقافات والحضارات. نحن لا نرذل شيئاً من الحضارات والثقافات والأديان، وندعو إلى الحوار والتلاقي والتعاون والتفاهم والمعية (العيش مشترك) والتفاعل بين مكوّنات الشرق العربي وحضارته التاريخية والغرب وحضارته. نحن كشرقيين نعتز بأن الأديان السماوية انطلقت من عندنا، وانتشرت في العالم كله. ونحن نعتز بهذا الشرق الغني بحضاراته وتنوّعها وتعدّدها. هذا الشرق علينا أن نفهمه لأن حضاراته أيضاً كانت أساساً لحضارة الغرب. فالمسيحية والإسلام مدعوتان إلى التعاون معاً. وإذا كان العالم قد توحد بفضل التكنولوجيا وليس بفضل الدين أرى أننا مقصرون في مسألة التقريب والتقارب والوحدة بين المسيحية والإسلام.

الدين في جوهره دين الله. ونحن آتون من الله. ونحن أمة الله ونعيش على أرض واحدة. مستقبلنا واحد. لقد تكاثرنا ولقد كنا نياماً في حمل رسالة الوحدة. لذلك النهضة الجديدة التي دخلنا فيها من تجلياتها يجب أن يكون حمل هم الوحدة ما بين الأديان ووحدة هذا الشرق والعالم العربي والوحدة مع العالم، نحن لم نعد في عوالم، إننا أصبحنا في عالم واحد هو عالم العولمة. وكما قبلنا بعصر النهضة والحداثة علينا أن نقبل بعصر العولمة، لكن العولمة الإيجابية، لأن العولمة في كثير من أبعادها المادية لا تتناسب مع فكرنا وديننا ومشروعنا الحضاري. من هنا أعتبر أن العودة إلى روح الإسلام، وروح المسيحية، وروح العروبة، وروح مشرقيتنا الحضارية، والتكامل مع العصر هو الذي سيؤمن الأمان والاستقرار والعدالة والسلام في منطقتنا من أجل أن نعود فنلعب دورنا في قيادة العالم نحو هذه القيم الروحية والحضارية والإنسانية والثقافية التي بشرنا بها. ونحن لن نتخلى عنها، وسنكون رسلها في المستقبل.

الأصولية كما يطرحها العالم السياسي اليوم تخويف من الإسلام. وإسرائيل وراء هذا النهج، لأنها تريد أن تخوف العالم من الإسلام والمسلمين، ومن العرب. مشروعها هو تفتيت هذا الشرق، وإنزال التهم بأبنائه، وتفتيته بإدخال روح العنصرية والتمييز بين أبنائه.

○ **ما هي المخاطر الناجمة عن الأصولية المسيحية ؟**

● كلمة أصولية في الأساس هي العودة إلى الأصل والجذور والينابيع. من منطلق ثقافي ولاهوتي وفقهي نحن ندعو

إلى تعزيز هذا الفكر، لذلك لا يجوز لنا أن نتخلى عن ثقافتنا الجديدة، لكن إذا كانت اسرائيل تريد تشويه هذا الفكر الأصولي فلا نقبل بذلك، وإذا كان الأمر سياسياً – كما هو مطروح – فنحن نرفض هذه التهمة. وندعو أجيالنا للوعي وعدم التخلي عن أصولهم وجذورهم وينابيعهم، لأننا وسط وحدة العالم والعولمة تبقى الهوية والخصوصية والإيمان اموراً جوهرية في حياتنا.

نحن نتحدث عن الشركة في المحبة لكل الناس، والوحدة في التنوّع لأجل بناء حضارة العدالة والسلام والمحبة والتنمية. إذاً نرى في مسألة هذه الحركات الوافدة إلينا من الغرب، والتي تتبع أيضاً الفكر الصهيوني، والتي تؤثر وأثرت فعلاً في مجتمعاتنا العربية بأننا استوردنا فكر الأصولية والعنصرية من إسرائيل. ليس إسرائيل الجغرافيا فقط، بل ومن أتباعها في الغرب.

الأصوليون المسيحيون في الغرب قلة نادرة. ولا يجوز أن نعمم على الغرب بأنه كله أصولي. نحن لسنا على خلاف مع الغرب، لكن على خلاف مع بعض تياراته السياسية والفكرية، مع الحكم والإدارة وليس الشعب والحضارة، لذلك ما صنعته إسرائيل بالتعاون مع الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا قد أثر كثيراً فينا، وزرع في مجتمعاتنا سياسات التفرقة والتجزئة على أنواعها سياسياً ودينياً وطائفياً ومذهبياً وثقافياً وعشائرياً وأمنياً..هذه هي ثقافة الصهيونية، ونحن وإن كان البعض منا يمارسها في مجتمعاتنا إلا أنها ليست من عندنا، ولا يمكن أن نتغذى منها، أو نتربى عليها، أو ندعو الناس للالتحاق بها، بل ندعوهم لمقاومة هذه العنصرية والصهيونية، وكل ما يتجلى منها، ويصدر عنها.

○ ما هو الأشد خطراً على المسيحيين لناحية العبادات والوجود في المشرق، الأصولية المسيحية أم الإسلامية وكيف يمكن ان نواجه ذلك؟

● من هنا علينا الدخول في ثقافة المقاومة. هذه الثقافة التي يجب أن نتربى عليها، ونتعمق فيها، ونزداد إيماناً بها، وأن تجمعنا، وأن نبدع معاً ثقافة المقاومة التي تطال كل الحقول. ومع احترامنا للمقاومة العسكرية لكن نقول إن **المقاومة هي مقاومات تصب في نهاية الأمر في بحر هذا العالم العربي** الذي يدعو لاحترام الإنسان والاديان والثقافات والحضارات، والذي لا يمكن أن يقبل بأي مشروع صهيوني استيطاني عدواني عنصري وتهجيري على أبنائنا في فلسطين، وعلى كل الشعوب العربية، لان المقاومة وثقافة المقاومة هي التي ستحرر العقل العربي للتضامن والتعاون في سبيل مناهضة هذا المشروع الصهيوني مناهضة هي من حقنا وواجبنا. وهذه المقاومة هي مقاومة للسلام والحرية والاستقلال والانفتاح على العالم كله، وحمل رسالتنا إلى العالمين.

وإذا كانت إسرائيل اليهودية قد زرعت من قبل الغرب، وتأثر كثيرون بفكرها، وأدت الحروب عندنا بسببها منذ العام ١٩٤٨ إلى اليوم إلى إنهاك القوى العربية والإسلامية، فعلينا تجديد أنفسنا لنشر ثقافة المقاومة والحوار والانفتاح في العالم الغربي والعالم كله.

المقاومة هي مقاومات: مقاومة الشر والاحتلال والفقر والتمييز والتخلف، الرجعية والتفتت والجهل لذلك ستصبح هذه الثقافة ثقافة العالم بأجمعه، لكن إذا كنا نحن خزاناً لهذه الطاقة، كما نحن خزان الطاقة للعالم فعلينا أن نستفيد ونفيد العالم بهذه الثروة الحضارية. نحن لا نستفيد من ثروتنا المادية، ويستغلها العالم، ولا تعود بالخير على مواطنينا بسبب الفساد والاستغلال والظلم الحاصل علينا من أنظمة العالم الراسمالية، وأنظمة عالمنا العربي. لذلك نحن مدعوون للاستفادة من ثرواتنا الروحية والمادية والأخلاقية لكي نبني عالمنا العربي، ونبقى مشرقاً مشرقاً في هذا الشرق، وفي العالم كله.

نحن ضد هذا الفكر الأصولي سواء أتى من الغرب أم من الشرق. نحن ضده كما هو مطروح سياسياً لأننا لا نؤمن به، ولا نستلهمه، ولا نريده أن يدخل عقول الناس، ولا سيما الشبيبة والأجيال الجديدة في العالم كله. علينا أن نظهر للعالم بأن إسرائيل خطر على العالم كله، وليس على فلسطين والعرب فقط. لماذا؟ لان العالم بدون القيم لا قيمة

ولا معنى له، وبلا فلسطين هو عالم مجروح، وبدون القدس لا حياة له، ولا سلام، ولا قداسة، ولا اتصال، ولا تواصل، ولا حوار، ولا تفاعل.

من هنا أرى أن فعل المقاومة له اختصاصاته. نحن في الثقافة والإعلام والتربية علينا تربية الأجيال بشكل حديث فتكون المقاومة موضوعاً للتربية عليها والبحث منها والإعلام منها وتوسيع الشراكة فيها واعتبار الموضوع من أولوياتنا. نحن عندما نحرر فلسطين سنحرر العالم العربي كله. ونحن سننتقل هذا العالم العربي من عالم الحرب والجراح والآلام والعذاب والإضطهاد إلى عالم الهدوء والسلام والمحبة لأجل أن نكون قوة جديدة لأجل بناء أوطاننا والمساهمة في بنيان العالم كله.

من منطلق ثقافة الحوار، وبخاصة العلاقات المسيحية – الإسلامية أنا أدعو إلى وعي أكبر لضرورة تعميق هذه العلاقات، وبخاصة نحن علينا أن نثقف أولادنا على أهمية الإسلام والمسيحية، ليس من ناحية التعصب، بل ناحية معرفة ورسالة، لأننا نحمل رسالة المحبة، ولا نميز بين بعضنا البعض، لأننا خلائق اللـه وعياله وخليفة اللـه وأمة اللـه وأبناء اللـه، لذلك لا يجوز أن نخاف من بعضنا، إنما علينا مد اليد بعضنا لبعض وأن نتحابب ونتصالح للدخول في ورشة جديدة هي أن نجعل من الإسلام والمسيحية قوة عالمية للسلام بين المسلمين والمسيحيين وللسلام في العالم كله.

نحن أمام مشروع حضاري مشترك بخدمة الإنسان والإنسانية والعالم والعولمة نريد خلاص العالم كله.

لأن الحرب في هذا العصر التكنولوجي تنعكس على كل إنسان وليس على إنسان واحد، فإذا سقط إنسان بريء في العالم نقف بجانبه، ونحزن عليه، ونرفض كل أنواع القتل. لذلك فهذا العالم المتحد والمتواصل بعضه مع بعض يلزمه قوة روحية. نحن مع التكنولوجيا والعولمة، لكنهما تبقيان بلا روح. الإنسان يعطي الروح وبضميره وأخلاقه يعطي معنى لكل شيء، فالذرة يمكن أن تكون للحرب والقتل، ويمكن أن تكون للسلم والتنمية. وما يعاني منه الغرب هو جفاف روحي، نعم أصبح أغنى منا، ومجتمعه استهلاكي يبحث عن المادة، لكنه في تراجع روحي. من هنا اعتقد أن علينا أن ننمي الروح، ونحيي الضمائر، لكن علينا عدم الخوف من العلم والتقارب والحوار والسلام لأننا بالأساس أبناء حضارات وأديان وثقافة. لماذا لا نستعيد دورنا في هذا المشروع الحضاري الإنساني؟

○ **ما هو موقف الكنائس المسيحية عموماً والفاتيكان خصوصاً من مسألة تهويد القدس؟**

● الكنيسة هي كنائس، كما أن الإسلام مذاهب.. وضمن الكنائس والمذاهب هناك تيارات فكرية وسياسية ودينية متنوعة. فعندما نتحدث عن الإسلام نتحدث على الإسلام الحقيقي، ولا نأخذ في الاعتبار التيارات الاخرى. وهكذا فعندما نتحدث عن المسيحية نتحدث عن المسيحية الأصلية. لذلك المسيحيون عموماً مع القضية الفلسطينية، فهم يعتبرون القدس أم الكنائس. وفي القدس تم خلاصنا، وفيها مات وقبر وقام السيد المسيح، فهي عاصمة روحية للأديان، وعربية لفلسطين **لأن فلسطين العربية هي فلسطين المسلمين والمسيحيين معاً**. وإذا كان الاضطهاد والحرب هجرا المسيحيين من فلسطين، فإن الضمير المسحي لا يزال حياً، ويتوجه بصلاته ودعائه وقلبه إلى القدس وفلسطين. ويحلم بعوده السلام إلى هذه البقعة من الارض..لا بل إلى عامة الكون.

المسيحيون لا يتخلون عن القدس إطلاقاً إيمانياً وحضارياً وسياسياً وإنسانياً. بعض الغرب بعيد عن القدس وفلسطين. لقد قصرنا كثيراً نحن في تعريف الغرب بالقدس وفلسطين والقضية الفلسطينية والعربية. من هنا علينا التواصل مع الغرب لإقناعه بأن قضينا عادلة. وهي تخص الشرق والغرب والإنسانية. **قلنا إن المسيحية عدة كنائس المشرقية منها لا تزال أكثر وعياً من الغربية، لأنها أكثر إيماناً وارتباطاً وتفاعلاً مع القدس.** والمسيحيون المشرقيون يعتبرون أن القدس العربية المسيحية الإسلامية هي المعبر الأكبر عن دعوتها ورسالتها. عندما تصبح القدس عاصمة أبدية لإسرائيل أو للدولة اليهودية تنزع عنها دورها ورسالتها، وتعريها أمام العالم كي تظهر مظاهرالعالم الفاسدة، ولكي تغيب وجهها الحقيقي عن العالم. لذلك أعتبر أن للمسيحيين المشرقين دوراً مميزاً بخدمه فلسطين. وعندما نخدم فلسطين نخدم العرب والإسلام والمسيحيين.

المسيحيون قادرون على مخاطبة الغرب مخاطبة عقلانية وموضوعية وحقيقية حول هذا العالم العربي بإسلامه ومسيحيته وحضاراته ودوره ورسالته. إن المسلمين والمسحيين الذين يشكلون عالماً عربياً واحداً عليهم التضامن والتفاعل، لأن الغرب يسمع من المسيحيين أكثر مما يسمع من المسلمين، ولأننا أقرب إلى الغرب من المسلمين، لكن من دون التخلي عن تراثنا ووحدتنا الإسلامية ـ المسيحية. لذلك نحن رسل، وعلى كل واحد منا أن يأخذ قطاعاً ولكل فرع من المقاومة تخصصاته. فالمسلمون عليهم إراحة المسيحيين في الشرق من المشكلات التي تعترضهم من الخارج والداخل ليتفرغ المسيحيون لخدمة القضية بفلسطين، وبخاصة القضية الإسلامية ـ المسيحية.

إن تاريخ النهضة العربية يخبرنا بأن روادها كانوا من المسيحيين الذين انتشروا في العالم كله. وبهذا فالمسيحيون هم أصل العروبة وروادها وشعراؤها ومفكروها وحافظو لغتها. أول مطبعة عربية أتت للشرق أتى بها الرهبان وضعوها في دير مار انطونيوس قزحيا في الشمال بقرب الأرز، وكانت المؤلفات كلها تدافع عن القضية العربية. وترجمنا التراث العربي والمشرقي في الغرب، فالغرب يسمع عنا، لكننا لا نستطيع أن نفعل الكثير وحدنا، فالقدس مشروع لكل الناس. وتحتاج لتعاونهم جميعاً. وعلى المسلمين أن يفهموا بأن للمسيحيين دورهم المتميز. وعلينا التشارك معاً لنخلق مراكز للتواصل مع الغرب لإقناعه بعدالة قضيتنا، فهو سبب وجود إسرائيل على أرض فلسطين بسبب أطماعه، وسياساته العدوانية، واضطهاده لليهود، وطمعه بمواردنا. وهو يريد الهيمنة على العالم، ولا سيما الشرق لاستغلال الثروات، ووضع اليد على البترول والإنسان الذي هو قوة كبرى.

العالم العربي يمتلك طاقات بشرية كبرى، وعلى العالم عدم الخوف من الديمغرافيا الإسلامية لأنها ستكون صانعة السلام والاخوة بين البشر.

الفاتيكان لم يعترف بإسرائيل، لكن عندما اجتمع العرب بمدريد، وبدأوا الحوار مع الإسرائيليين ووقعوا اتفاق أوسلو، ولما لم يسألوا عن الفاتيكان ودوره اضطر للاعتراف بإسرائيل لخدمة مصالح المسيحيين هناك. يعني الفاتيكان حتى الآن لا يعترف بالقدس كعاصمة لإسرائيل، وإذا كان اعترف بإسرائيل فليس للشأن السياسي، وإنما للمحافظة على الأوقاف المسيحية في فلسطين والقدس التي تعرضت للهيمنة ولوضع اليد والخراب والدمار. ما قام به الفاتيكان عملية إنقاذ للمؤسسات المسيحية في فلسطين، وعندما تكون موجوداً في فلسطين عليك التعامل مع الإدارات الموجودة هناك.

على أن الفاتيكان لا يزال من أهم الدول الداعمة لحق الفلسطينيين في أرضهم. ويطالب بإقامة دولتهم. ويريد إبقاء القدس على ما كانت عليه في الماضي، لتكون القدس العربية عاصمة روحية لكل الأديان.

عن تحميض حلم تركيا الأوروبي (*)

أورهان باموك (**)

بدت أوروبا في الكتب المدرسية التي درستها وأنا صبي في الخمسينيات والستينيات أرض الأسطورة الوردية. وفيما كان مصطفى كمال أتاتورك يمضي بصعوبة شاقة في تشكيل جمهوريته الحديثة من أنقاض الإمبراطورية العثمانية ـ التي كانت قد سُحقت وجزئت في الحرب العالمية الأولى ـ فإنه قاتل فعلاً الجيش اليوناني. على أنه وبدعم من جيشه الوطني تمكن لاحقاً من إدراج مقدار وافر من الإصلاحات التحديثية في المجالات الاجتماعية والثقافية، والتي لم تكن البتة معادية للغرب، بل مؤيدة كثيراً له.

وبهدف إكساب هذه الإصلاحات الشرعية، والتي كانت قد ساعدت في شد أزر النخب في الدولة التركية الجديدة (مع أنها ظلت مثار جدل دائم في تركيا للأعوام الثمانين القادمة) دُعينا إلى أن نتقبل فكرة إقامة حلم أوروبي غربي وردي واعد في تركيا، أو حتى أن نقلد هذه الفكرة تماماً.

وبقدر ما كانت الكتب المدرسية في طفولتي مصممة لتعلمنا بدقة لماذا يجب رسم خط لا يمكن تخطيه بين الدولة والدين، ولماذا كان من الضروري إقفال الزوايا وبيوت الدراويش، ولماذا كان علينا أن نهجر الألفباء العربية إلى اللاتينية كانت أيضاً تطفح بالأسئلة التي تفتح مغاليق سر قوة أوروبا ونجاحها العظيمين. «صف أهداف عصر النهضة ونتائجه»، قد يسألنا أستاذ التاريخ في امتحان المدرسة الإعدادية، و«لو تبيّن أننا نجلس على كمية من النفط تعادل ما يمتلكه العرب منه، فهل نصبح أغنياء وعصريين كالأوروبيين؟» قد يسأل أحد أكثر تلاميذ الصف سذاجة في مدرسة الليسيه. أما في سنتي الأولى في الجامعة فكان زملائي كلما اعترضتهم هذه الأسئلة يضطربون كثيراً إزاء «لماذا لم نشهد في بلدنا مثل ذلك التنوير».

يقول ابن خلدون، المفكر العربي من القرن الرابع عشر: «**المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده**». ولأنه لم يسبق للأتراك في أي وقت أن استعمرتهم قوة عالمية ما فإن «عبادة أوروبا» أو «تقليد الغرب» لم يحملا لهم الأصداء نفسها المُدينة والمُهينة للغرب المستعمر كما وصفها فرانز فانون أو نيبول أو ادوارد سعيد. إن التطلع نحو أوروبا كان ينظر إليه في تركيا كأمر تاريخي لازم، أو حتى كمسألة تقنية للتطبيق فيما يتعلق بالتحديث. على أن هذا الحلم بأوروبا الوردية الواعدة الذي كان يوماً ما قوياً إلى درجة أن حتى أشد مفكرينا وسياسيينا ضراوة ضد التغريب كانوا يؤمنون به سراً.. قد ذوى الآن. وربما يرجع ذلك إلى أن تركيا لم تعد فقيرة كما كانت، أو يمكن أن يكون السبب أنها لم تعد مجتمعاً فلاحياً يحكمه الجيش، بل صارت أمة ديناميكية فيها مجتمع مدني قوي.

لقد شهدت السنوات الأخيرة، بلا شك، تباطؤاً في وتيرة المحادثات بين تركيا والاتحاد الاوروبي مع الانعدام لوجود حل ما في المدى المنظور. وليس ثمة أمل واقعي في أن تنضم تركيا إلى أوروبا أيضاً. والاعتراف بفقدان هذا الأمل نهائياً من

(*) نشرتها «الغارديان» البريطانية في ٢٣ / ١٢ / ٢٠١٠ تحت عنوان: «The Souring of Turkey's European Dream». ترجمتها عن التركية Maureen Freely ونقلتها عن الإنكليزية بادية حيدر.

(**) كاتب تركي بارز حصل على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٦. له روايات عديدة أبرزها: «الكتاب الأسود»، و«اسمي الاحمر»، و«ثلج»، و«متحف البراءة». ترجمت رواياته إلى أكثر من أربعين لغة.

شأنه أن يكون ساحقاً بقدر رؤية العلاقات مع أوروبا تنقطع تماماً.. ولذلك لا يجرؤ أحدٌ على التفوه بذلك بالكلمات.

القول بأن تركيا ـ وغيرها من الدول غير الغربية ـ قد أزالت الغشاوة عن عينيها فيما يتعلق بأوروبا هو أمر أعرفه شخصياً من خلال أسفاري وحواراتي. لا شك في أن سبباً أساسياً في توتير العلاقات بين تركيا والاتحاد الأوروبي يتمثل في الحلف المشكل من قطاع من الجيش التركي والمجموعات الإعلامية الرائدة من جهة، والأحزاب السياسية القومية من جهة أخرى، وفي حملتهم الناجحة لتخريب المحادثات. هذه الحملة نفسها هي التي كانت أطلقت سلسلة الملاحقات القضائية ضدي وضد كثير من الكتّاب، فيما قتلت آخرين بالرصاص، بالإضافة إلى قتل المبشرين ورجال الدين المسيحيين.

وهناك أيضاً ردود الفعل العاطفية القوية في تركيا. ولعل خير سبيل لإبراز أهميتها القصوى هو أن نأخذ فرنسا كمثال: فخلال القرن الماضي بأكمله درجت أجيال النخب التركية المتعاقبة على اتخاذ فرنسا مثلاً أعلى لها بصدق والتزام، ناسجة على منوال فهمها للعلمانية، ومحتذية حذوها في ميادين التربية والأدب والفن.. لذلك فإن ظهور فرنسا بالذات بمظهر البلد الأشد ضراوة في الاعتراض على فكرة ضم تركيا إلى أوروبا كان أمراً مبدداً للوهم ومفتتاً للأكباد على نطاق واسع. على أن تورط أوروبا في الحرب على العراق هو الذي أحدث خيبة الأمل الكبرى في البلدان غير الغربية، أما في تركيا فإنه أثار غضباً حقيقياً. **لقد شهد العالم كله أوروبا وقد خدعها بوش تنضم إلى هذه الحرب اللاشرعية والوحشية، فيما تبدي هي طواعية هائلة للانخداع والانضمام!**

عند استعراض منظر أوروبا الطبيعي من استانبول أو ما وراءها أول ما يشاهده المرء أن أوروبا (كما الاتحاد الأوروبي) مضطربة وحائرة بشأن مشكلاتها الداخلية. ومن الواضح أن شعوبها تمتلك تجربة أدنى كثيراً مما يمتلكه الأمريكيون عندما يتعلق الأمر بالعيش مع أولئك المغايرين لهم في الدين أو اللون أو الهوية الثقافية. وهم لا يشعرون بالدفء إزاء ذلك العيش أبداً: هذه المقاومة تجعل مشكلات أوروبا الداخلية أكثر استعصاء على الحل. والجدال الذي شهدته ألمانيا مؤخراً حول الاندماج والاستيعاب والثقافات المتعددة هو حالة وثيقة الصلة بهذا الموضوع.

وفيما الأزمة الاقتصادية تتعمق وتنتشر، قد تكون أوروبا بانكفائها على ذاتها تؤجل الصراع للحفاظ على الطبقة الوسطى ـ بمفهومها الفلوبيري ـ لكن ذلك لن يحل المشكلة. عندما أنظر إلى استانبول التي تصبح تركيبتها شيئاً فشيئاً أكثر تعقيداً وكوزموبوليتانية في كل عام يمر، والتي باتت تجتذب مهاجرين من جميع أنحاء آسيا وأفريقيا، لا أجد عناء في التوصل إلى هذا الاستنتاج: الفقراء، والعاطلون عن العمل، والمتروكون بلا حماية من الآسيويين والافارقة الذين يبحثون عن أمكنة جديدة للعيش والعمل لا يمكن إبقاؤهم خارج أوروبا إلى ما لا نهاية. وإقامة جدران أعلى على الحدود، وتنفيذ إجراءات أكثر تشدداً في منح الفيزا، وتزايد أعداد السفن الخافرة للحدود البحرية.. ذلك كله سيكون من شأنه فقط تأجيل يوم الحساب. **على أن الأسوأ من ذلك كله أن سياسات مكافحة الهجرة والإخلالات بالقانون وسياسات التحامل قد بدأت فعلاً تدمر صميم القيم التي جعلت من أوروبا ما هي عليه.**

لم يكن في كتب طفولتي المدرسية التركية الإعداد ثمة نقاش حول الديمقراطية أو حقوق المرأة، لكن على علب سجائر الغولواز التي كان يدخنها المثقفون والفنانون الفرنسيون (أو هكذا كنا نعتقد) كانت تطبع الكلمات التالية: «حرية، مساواة، إخاء» (بالفرنسية). وكانت علب السجائر هذه متوافرة بكثرة ومتداولة على نطاق واسع. **«الإخاء» كانت ترمز إلى روحية التضامن والمقاومة التي أطلقتها حركات اليسار. لكن أن نكون قساة القلوب أمام عذابات المهاجرين والأقليات، وإزاء معاقبة الآسيويين والأفارقة والمسلمين الذين يعيشون حياة صعبة في ضواحي المدن الأوروبية وهوامشها، وأن ننتقدهم بقسوة إلى حد اعتبارهم المسؤولين وحدهم عن ويلات الأوروبيين وهواجسهم.. فهذا ليس من الإخاء في شيء.**

يمكن للمرء أن يتفهم إلى أي حد تعاني أوروبا القلق، وربما الرعب، في سعيها للحفاظ على تقاليدها الثقافية العظيمة، وعلى أرباحها من الثروات المشتهاة في البلدان غير الغربية، والإبقاء على الفوائد التي كسبتها بعد قرون عديدة من الصراع الطبقي، وحروب الاستعمار، والحروب الأخرى المهلكة. **ولكن إذا كان هدف أوروبا أن تحمي نفسها، فهل من الأفضل لها أن تنكفئ على ذاتها، أم أن الأجدر بها ربما أن تتذكر جوهر قيمها الذي جعلها في يوم من الأيام مركز الثقل والجذب لجميع مفكري هذا العالم؟**